اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية الآداب / اللغة العربية

الدلالة النَّحويّة

في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة لـ (محمد تقي التُستُريّ ت١٤١٥هـ)

رسالة تقدَّم بها

علي حسين فرحان

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في فلسفة اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الدكتور: مصطفى كاظم شغيدل

١٤٣٣ هـ

٢٠١٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

المجادلة : ١١

شكر وتقدير

أتقدّمُ بالشكر والامتنان الكبيرينِ إلى الأستاذ الفاضل الدكتور كاطع جارالله سطام الذي دلّني على هذا الموضوع ، وفتح لي قلبه ومكتبته وبيته ، وتابع معي هذا البحث وقرأه كلمة كلمة ، وأبدى نصائحه وإرشاداته القيّمة بروحٍ طيبةٍ وقلبٍ رحبٍ واسعٍ ، والتي كان لها الأثر الكبير في تقويم هذا البحث وإخراجه بهذا الشكل ، ويقيناً أنَّ هذه الكلمات لا تفي ولو بشيءٍ قليلٍ من حقّهِ وفضلهِ عليَّ ، فجزاهُ اللهُ عني جزاء المحسنين ، ووفقه لكل خيرٍ في الدنيا والآخرة .

الباحث

إقرار لجنة المناقشة

نشهد أنّا أعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على الرسالة الموسومة **بـ (الدلالة النحوية في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة لـ (محمد تقي التُستُريُّ)** التي تقدّم بها الطالب**(علي حسين فرحان)** في كلية الآداب / جامعة بغداد ، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونقرّ بأنَّها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية بدرجة ( ) .

التوقيع

أ . د : مهدي صالح الشمري

رئيساً

/ ١٠ / ٢٠١٢

التوقيع

أ . م . د : كاطع جار الله سطام

عضواً

/ ١٠ / ٢٠١٢

التوقيع

أ . م . د : رجاء خلف عوّاد

عضواً

/ ١٠ / ٢٠١٢

التوقيع

م . د : مصطفى كاظم شغيدل

عضواً

/ ١٠ / ٢٠١٢

صادق مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد على الرسالة

الأستاذ المساعد الدكتور

فيصل غازي مجهول

عميد كلية الآداب

التاريخ / / ٢٠١٢

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ – ٣
التمهيد :	٥ – ٢٠
المطلب الأول : التستري حياته وآثاره	٥
اسمه ونسبه	٥
مولده ونشأته العلمية	٥
مؤلفاته	٦
وفاته	٨
المطلب الثاني : بهج الصباغة ، منهج التأليف ، موارد الشرح ، وسائل التوثيق	٩
أولاً : منهج التأليف	١٠
ثانيا ً: موارد الشرح	١٤
ثالثاً : وسائل التوثيق	١٧
أ . القرآن الكريم	١٧
ب . الحديث الشريف	١٩
ج . كلام العرب	١٩
مفهوم الدلالة النحوية : توطئة	٢٢
الفصل الأول : الدلالة الإعرابية في بهج الصباغة	٢٦ –٦٣
توطئة	٢٦
المبحث الأول : دلالة النصب	٢٩
المبحث الثاني : دلالة الرفع	٤٥
المبحث الثالث : دلالة التعاقب بين الحركات	٤٨

المبحث الرابع : دلالة المحل الإعرابي	٥٨
الفصل الثاني : الدلالة التركيبية في بهج الصباغة	٦٥ -١٢٣
توطئة	٦٥
المبحث الأول : دلالة التعريف والتنكير	٦٧
توطئة	٦٧
١ . دلالة المعرّف بـ (أل) على العهد	٦٨
٢ . دلالة الخبر المعرفة على الحصر	٧٠
٣ . دلالة التنكير على الإبهام	٧١
٤ . دلالة التنكير على التخصيص	٧٢
المبحث الثاني : دلالة الضمائر	٧٣
توطئة	٧٣
١ . دلالة الإضمار قبل الإظهار	٧٤
٢ . دلالة الضمير العائد على غير مذكور	٧٥
٣ . دلالة عود الضمير على أحد المذكورين قبله	٧٦
٤ . دلالة الضمير المفرد على مذكورينِ قبله	٧٧
٥ . دلالة ضمير الجمع على المفرد	٧٨
٦ . دلالة ضمير المؤنث على المذكر	٧٩
٧. دلالة ضمير الجمع على العموم والتشريف	٨٠
٨ . دلالة الضمير المؤنث على الجمع	٨١
٩ . تعدد أوجه دلالة الضمير	٨٣
المبحث الثالث: دلالة الإضافة	٨٥
توطئة	٨٥
١ . دلالة إضافة الشيء إلى ضدّه	٨٦
٢ . دلالة إضافة الشيء إلى نظيره	٨٦
٣. دلالة إضافة الصفة إلى الموصوف	٨٩

٤. دلالة الإضافة إذا كانت بمعنى اللام	٩٢
٥ . دلالة إضافة الشيء إلى أصله	٩٣
٦ . دلالة إضافة الشيء إلى غير أصله	٩٤
٧ . دلالة إضافة الصفة إلى مفعولها	٩٥
المبحث الرابع: دلالة التقديم والتأخير	٩٧
توطئة	٩٧
أولاً : تقديم الخبر على المبتدأ	٩٨
١ . حصر معنى الخبر بالمبتدأ	٩٨
٢ . بيان أهمية الخبر	١٠٠
٣ . التخصيص	١٠٠
ثانياً : تقديم المفعول به على الفاعل	١٠٢
١ . مراعاة الترتيب المعنوي	١٠٢
٢ . بيان أهمية المفعول	١٠٣
ثالثاً : تقديم أحد المفعولين على الآخر	١٠٤
١ . مراعاة الترتيب المعنوي	١٠٤
٢ . بيان أهمية المفعول الثاني	١٠٥
رابعاً : تقديم متعلقات الجملة الفعلية	١٠٥
خامساً : التقديم والتأخير في سياق الكلام	١٠٧
المبحث الخامس : دلالة الحذف والذكر	١٠٩
توطئة	١٠٩
١ . حذف المبتدأ لإعمام دلالته	١١٠
٢ . حذف المبتدأ للعلم به	١١١
٣ . حذف الخبر لدلالة المبتدأ عليه في جملة القسم (أيمُ اللهِ)	١١٣
٤ . حذف الموصوف للعلم به	١١٣
٥ . حذف الفعل والفاعل للدلالة على الإغراء والتحذير	١١٥

٦ . حذف الفاعل للعلم به	١١٦
المبحث السادس : دلالة الجملة	١١٧
توطئة	١١٧
١ . دلالة الجملة الفعلية	١١٩
دلالة الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي على الدعاء	١١٩
٢. مجيء الجملة الاسمية فاعلاً للدلالة على اللزوم	١٢٠
٣ . دلالة الجملة الاسمية الحالية على اللزوم	١٢٢
٤ . دلالة الجملة الاسمية المُعْتَرِضَة على التنزيه	١٢٣
الفصل الثالث: دلالة حروف المعاني في بهج الصباغة	١٢٥ – ١٨٤
توطئة	١٢٥
المبحث الأول : دلالة الحروف الأحادية	١٢٧
١. الباء	١٢٧
٢. الفاء	١٣٣
٣. اللام	١٣٦
٤. الواو	١٣٩
المبحث الثاني : دلالة الحروف الثنائية	١٤٧
١. إذ	١٤٧
٢. إنْ	١٤٨
٣. عن	١٥٠
٤ . لا	١٥٢
٥ . ما	١٥٥
٦ . مِن	١٦٥
٧ . يا النداء	١٦٨
المبحث الثالث : دلالة الحروف الثلاثية	١٧٠
١. ثُمَّ	١٧٠

٢ . على	١٧٢
٣ . كأنْ	١٧٥
٤ . كان	١٧٦
٥ . كيف	١٧٨
٦ . لات	١٧٩
٧ . متى	١٧٩
المبحث الرابع : دلالة الحروف الرباعية	١٨١
١ . أنّى	١٨١
٢ . لمّا	١٨٢
٣ . لولا	١٨٣
الخاتمة	١٨٦
المصادر والمراجع	١٩١
الملخص باللغة الانكليزية	٢٠٨-٢١٠

المقدمة

الحمد لله الذي ليس لصفتهِ حَدٌّ محدودٌ ، ولا نعتٌ موجودٌ ولا وقتٌ معدودٌ ، ولا أجلٌ ممدودٌ ، والصلاة والسلام على أفضلِ المرسلين وخاتمِ النبيين محمدٍ وآلهِ الطيبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين ، أَمّا بعدُ:

فنهج البلاغة نصٌ فصيحٌ تسنَّمَ منزلةً راقيةً وصفت بأنّها فوق كلام المخلوقين ، ودون كلام الخالق ، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) ورسائله ، وحكمه ؛ لذا عُنيَ به علماء اللغة منذ ظهوره عنايةً فائقةً بين ناسخٍ ، وشارحٍ ، ومحققٍ ، ومستدركٍ ، وقد وصلت إلينا طائفة من شروح النهج منها : معارج نهج البلاغة للبيهقي(ت٥٥٦هـ) ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لقطب الدين الراوندي (ت٥٧٣هـ) ، وحدائق الحقائق في شرح نهج البلاغة لقطب الدين الكيدري (ت٦١٠هـ) ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت٦٥٤هـ)، وشرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ) ، وشرح نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية(ت١٤١٨هـ) ، وشرح نهج البلاغة لمحمد عبده (ت١٣٢١هـ) ، ومنهاج البراعة لحبيب الله الخوئي (ت١٣٢٤هـ) .

ولمّا لم تنل مكتبة نهج البلاغة متناً وشرحاً من الدرس والتحليل الكافيينِ ، فقد وقع اختياري على واحدٍ من هذه الشروح ، وهو شرح (**بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة**) لمحمد تقي التستريّ ، الذي يُعدّ من الشروح المفصّلة ، والمميزة ؛ لأنَّه الشرح الوحيد الذي اتبع وحدة الموضوعات، إذ انتهج الشارح في شرحه نهجاً مستقلاً يختلف عن الشروح الأخرى برمتها، إذ ألّفه على أساس وحدة الموضوعات ، فجعله في ستين فصلاً ، بدأها في فصل التوحيد ، وفيه ثلاثة وخمسون عنواناً ، وختمها في فصل موضوعات مختلفة وفيه مئة عنوان وأربع.

وفي هذا الشرح برز التستريّ عالماً موسوعياً في معارف وعلوم شتّى ، ولمّا كانت شروح المتون النثرية والشعرية تعنى بالجانب الدلالي بمستوياته الأربعة ، فقد كثرت المباحث الدلالية في شرح التستريّ أيضاً في الجوانب (الصوتية ، والصرفية ، والنحوية ، والدلالية) ولكثرة المادة الدلالية في النهج اخترت المستوى النحوي منها ، فكان عنوان البحث (**الدلالة النحوية في بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة لـ محمد تقي التستريّ**) موضوعا لدراستي لنيل شهادة الماجستير ، وبعد قراءة متأنية لـ (بهج الصباغة) لتحديد

موضوعات الدلالة النحوية عند التستري تجمعت لديَ مادة نحوية دلالية كثيرة ، اقتضت منهجيّة البحث أنْ تكون هذه الدراسة في مقدَّمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول، وخاتمة بأهم النتائج ، ففي **المقدّمة** عرضت لأهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، وخطة البحث ، وأهم مصادره ، وأمّا **التمهيد** فقد جعلته في مطلبين : تناولت في الأول حياة التستريّ اسمه ونسبه ، ونشأته العلمية ، ومؤلفاته ، ووفاته ، وفي المطلب الآخر: درست منهجه ، ودوافع تأليفه ، وموارد شرحه ، ووسائل توثيق الدلالة في شرحه .

وأمّا **الفصل الأول** : فقد خصصته في (الدلالة الإعرابية في بهج الصباغة) وكان في أربعة مباحث :الأول : دلالة النصب ، الثاني : دلالة الرفع ، الثالث : دلالة التعاقب بين حركات الإعراب ، الرابع : دلالة المحل الإعرابي .

وأمّا **الفصل الثاني**: فكان بعنوان (الدلالة التركيبية في بهج الصباغة) وقد كان في ستة مباحث: الأول : دلالة التعريف والتنكير، والثاني : دلالة الضمائر ، والثالث : دلالة الإضافة ، والرابع : دلالة التقديم والتأخير، والخامس : دلالة الحذف والذكر ، والسادس : دلالة الجملة .

وأمّا **الفصل الثالث** : فكان بعنوان (دلالة حروف المعاني في بهج الصباغة) وقد تضمن أربعة مباحث ، تناولت في أولها : (دلالة الأدوات الأحادية) ، وفيه درست معاني (الباء ، والفاء، اللام ، والواو) ، والثاني : (دلالة الأدوات الثنائية) وشملت (إذ ، عن ، لا ، ما ، من ، يا النداء) والثالث : (دلالة الأدوات الثلاثية) ، وشملت (، ثُمَّ ، على ، كان ، كأنْ ، كيف ، لات ، متى) ، والرابع : (دلالة الأدوات الرباعية) وتضمنت (أنّى ، لمّا ، لولا) ، وأُنهي البحث بخاتمة سجلت فيها أهم النتائج التي توصل إليها ، وقد رُفِدَ البحث بمصادر الدراسة ومراجعها . وقد حرصت في هذه الفصول على تحقيق موازنة منهجية بين حجم الفصول .

أمّا **مصادر البحث**، فهي كثيرة ومتنوّعة ، في مقدمتها شروح النهج المطبوعة كشرح ابن أبي الحديد ، وشرح ابن ميثم البحراني ، وشرح الخوئي ، وكتب النحو ككتاب سيبويه ، والمقتضب ، والأصول في النحو ، وشرح الكافية في النحو وغيرها وكتب تفسير القرآن الكريم على اختلاف أنواعها ، مثل التبيان في تفسير القرآن للطوسي ،

والكشاف ، والبحر المحيط ، والمعجمات اللغويّة ، كالصحاح ، والجمهرة ، ولسان العرب ، وكان لابُدَّ من الرجوع إلى المراجع الحديثة في الدلالة والنحو ، كعلم الدلالة، ودلالة الألفاظ ، ومعاني النحو وغيرها ، وقد وثّقتُ مَتنَ النهج من طبعته التي عني بها الدكتور (صبحي الصالح) لدقَّتها في ضبط المتن واحتوائها على فهارس توضيحية كثيرة .

وبعدُ ، فيستدعي الوفاء أنْ أتوجه بالشكر والعرفان بالجميل إلى الدكتور(**مصطفى كاظم شغيدل**) المشرف على إعداد هذه الرسالة ، لجهده المتميز في الإشراف العلمي الدقيق على البحث في مراحل إعداده جميعها ، بدءاً بوضع خطته ، وتقسيمه الفصول، ومروراً بجمع مادته ، وكتابة فصوله ، ثم حرصه الشديد على قراءة كلِّ فصلٍ منه قراءة دقيقة متأنية وانتهاءً بقراءته قراءةً شاملةً بعد طباعته وتحمّل عناء قراءته حرصاً منه على أن يأتي البحث على أحسن حال ، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وقد بذلت ما استطعت من جهد في هذا البحث الذي توخّيت فيه الصواب قدر ما أستطيع ، بل أزعم أني لم أدّخر وسعاً لا نجازه على أحسن وجه ممكن ، والله ولي التوفيق وله الحمد أولا وآخرا .

الباحث

التمهيد :

المطلب الأول : التُستُريُّ ، حياته ، وآثاره :

. اسمه ونسبه :

هو الشيخ محمد تقي بن الشيخ كاظم بن الشيخ محمد علي بن الشيخ جعفر بن الشيخ حسن بن الملا علي بن علي بن حسين التستريّ[١].

. والده :

العالم المجتهد الشيخ محمد كاظم التستريّ ، ولد سنة ١٢٩٧ للهجرة ، ومات سنة ١٣٧١ للهجرة[٢] .

. مولده ، ونشأته العلمية ، وأساتيذه :

ولد الشيخ المحقّق (محمد تقي التُستُريّ) في النجف الأشرف ١٣٢٠هـ في بيت علمي معروف بالتقوى ، وعاش في تلك المدينة حتى السابعة من عمره ، ولمّا أتمَّ والده دراساته الحوزيّة العليا ، ونال درجة الاجتهاد عاد إلى مدينة (تُسْتُر) ثمَّ التحق به ابنه (محمد تقي) مع والدته وخاله ، فاشتغل بتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم ، ثمَّ واصل دراسته بكل جدٍ ، فأقبل على دراسة العلوم الإسلامية عند أساتذة تلك البلدة أمثال:

١ . السيد حسن النوري (ت١٣٦١هـ) .

٢ . علي أصغر الحكيم (ت١٣٦٥هـ) .

٣ . الشيخ محمد تقي شيخ الإسلام (ت١٣٦٩هـ) .

٤ . والده الشيخ محمد كاظم التُستُريّ (ت١٣٧١هـ) .

٥ . السيد مهدي آل طيب (ت١٣٨٨هـ) .

٦ . السيد محمد علي الإمام (ت١٣٩٤هـ) .

ونال درجة الاجتهاد ، وحين بدأ رضا شاه بهلوي معارضته للمظاهر الإسلامية ولا سيّما (الحجاب) إذ أمر برفع الحجاب عن النساء ، تصدَّى له العلماء بشدّة ، وكانت

---

[١] ينظر : طبقات أعلام الشيعة للشيخ (آغا بُزُرك الطهراني) ١ / ٢٦٥ ، و قاموس الرجال (التحقيق) ١ / ٥ ، وبهج الصباغة (التحقيق) ١ / ٣ .

[٢] ينظر قاموس الرجال (التحقيق) ١ / ٥ .

المهاجرة من جملة ذلك التصدي ؛ ولذلك هاجر إلى كربلاء سنة (١٣٥١هـ) ، وواصل دراسته لدى شيخ الباحثين العلاَّمة آغا بُزُرك الطهراني ، ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة (١٣٥٤هـ) وبقي فيها ست سنوات نال فيها إجازة الرواية من الشيخ آغا بُزُرك الطهراني ، ثم عاد في سنة (١٣٦٠هـ) إلى بلدته (تُستُر)[١] .

مؤلفاته:

للشيخ التُستُريُّ كتب ومؤلفات قيمة ، استفد في كتابتها عمره وقد تنوعت مؤلفاته ، بين التاريخ ، والتراجم ، والفقه ، والأصول ، والعقائد ، والحديث ، وهذه المؤلفات قسمٌ منها مطبوع ، وقسمٌ آخر ما زال مخطوطاً ، وهي[٢] :

أولاً : الكتب المطبوعة :

١ . الأخبار الدخيلة : طبع في أربعة مجلدات ، في مكتبة الصدوق بطهران ، ذكر فيه الروايات التي فيها تحريف أو وضعٍ ، وقد كتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الكَلبايكَاني كتاباً في الرد عليه اسماه (النقود اللطيفة على الكتاب المسمّى بالأخبار الدخيلة) .

٢ . الأربعون حديثاً :

٣ . الأوائل : ويشتمل على مطالب متفرقة ولطيفة حول الأوائل ، نحو أوّل من آمنَ بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأوّل مَن يحشر يوم القيامة ... الخ .

٤ . آياتٌ بيناتٌ في حقيقة بعض المنامات : وقد طبع أول مرة في طهران عام ١٣٩٣هـ، ويحتوي على مقدمة حول الأحلام وتفسيرها وأنواعها ، ثمَّ مطالب في تفسير الأحلام مقسّمة على ٢٥ فصلاً ، تناول كل فصل منها أحلام أحد المعصومين ، نشرته مكتبة فدك لإحياء التراث في النجف الأشرف .

٥ـ بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة : وهو أول شرح موضوعي لنهج البلاغة ، يقع في ستين موضوعا ، شرحه المؤلف شرحاً لطيفا ، اشتمل على الحوادث التاريخية ،

---

[١] ينظر : معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢ / ٦٩٠ ، وبهج الصباغة (التحقيق) ١ / ٤ ، وقاموس الرجال (التحقيق) ١ / ٥ ، والأوائل : ٦ ، وتواريخ النبي والآل (التحقيق) : ٥

[٢] بهج الصباغة ١ / ٣ ، وينظر : قاموس الرجال ١ / ٨ ، والنجعة في شرح اللمعة ١/ ١٠ .

والشواهد الأدبية ، والمسائل النحوية ، والمعجمية ، ويقع في أربعة عشر مجلداً ،وقد طُبِع (بهج الصباغة) طبعتين ، الأولى في إيران سنة(١٤١٨هـ) في أربعة عشر جزءاً ، بتحقيق دار أمير ، والثانية في بيروت سنة ٢٠١١ م ، بتحقيق مؤسسة التاريخ العربي في أربعة عشر مجلداً وهو موضوع البحث .

٦ـ البدائع : وهو كشكول فيه مطالب شتّى كثيرة الفائدة من منثور ومنظوم ، وقصص ونكت وطرائف ،فضلاً عن نوادر الظرفاء ، ومغبة أعمال السوء ، وأخبار الحمقى والمغفلين ، نشرته مؤسسة مطالعات وتحقيقات في طهران ١٣٦٩هـ.

٧ـ تاريخ أعلام الهداية (النبي صلى الله عليه وآله وسلّم) : يقع في ١٩٢ صفحة ، يضم تسعة فصول .

٨ . رسالة في محاكمة بين الشيخ الصدوق والشيخ المفيد في مسألة كلامية .

٩ . الرسالة المبصرة في أحوال البصيرية ، أو الدر النظير في المُكَنّين بأبي بصير .

١٠ـ رسالة في تواريخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) والآل (عليهم السلام) : اشتمل على ١٢١ صفحة ، مقسمة على تسعة فصول ، في ولادات النبي الكريم وآل بيته الأطهار ، ووفياتهم ، وأماكنهم ، وأزواجهم ، وأمهاتهم ، وأبناء الممدوحين ، وأبناء المذمومين ، ومكارم أخلاقهم ، طبعته مؤسسة النشر الإسلامي ، التابعة لجماعة المدرسين بقم في إيران .

١١ . رسالة سهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

١٢ . الرد على الدكتور علي شريعتي .

١٣. قضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) : وهو كتاب يشتمل على قصص ، وشواهد تاريخية ، ومسائل فقهية في القضاء ، أبدى الشيخ التستري فيها رأيه ، وقد طبع الكتاب أكثر من طبعة في النجف الأشرف ، وقم وبيروت ، ويضم الكتاب (٣٢١) صفحة .

١٤ـ قاموس الرجال في تحقيق رواة الشيعة ومحدثيهم : حاشية وتعليقة ألّفَه في كربلاء على كتاب (رجال المامقاني) ، ثمَّ صدّره مستقلاً ، وأعدّه للطبع بعنوان (القاموس) ، ثُمَّ استدرك عليه زيادات نافعة وطبعها بعنوان (قاموس الرجال في تحقيق رواة الشيعة ومحدثيهم) ، وقد شهد كثير من العلماء ، والمراجع ، والمحققين والرجاليين بحذافة مؤلف

الكتاب ، والإمامه ، وسعة إطلاعه ، وأعيد طبعه في السنوات (١٣٧٩هـ) ، و(١٣٨٠هـ) و(١٣٨٦هـ) ويقع الكتاب في أربعة عشر مجلداً [١].

١٥ . مقدمة توحيد المفضل : وهو باللغة الفارسية .

١٦ـ النجعة في شرح اللمعة: ألّفه بين سنتي ١٣٦٠ و ١٣٦٤ هـ . في(تُسْتُر) ، وهو كتاب قلَّ نظيره في كتب الشيعة الفقهية ، يشتمل على شرح روائي استدلالي في غاية الجمال والدقّة والإبداع ، اعتمد في تأليفه على كثير من الروايات ، يقع في أحد عشر مجلداً .

ثانياً : الكتب المخطوطة[٢] :

١ . تفسير على قرآن خطي يرجع إلى القرن الحادي عشر .

٢ . حواشٍ واستدراكات على (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال) .

٣ . الأدعية والأذكار .

٤ . شرح وجيزة الشيخ البهائي .

٥ . نوادر الأخبار وجواهر الآثار .

وفاته :

توفي المحقق الشيخ محمد تقي التستريّ يوم ١٩ ذي الحجة الحرام ، من عام (١٤١٥هـ) ، ودُفِن في (تُستُر)[٣] .

المطلب الثاني : بهج الصباغة ، منهج التأليف ، موارد الشرح ، وسائل التوثيق :

لعلَّ من أهم دوافع تأليف شرح (بهج الصباغة) التي صرّح بها الشارح في خطبته ، أَنَّهُ أراد شرحاً جامعا فيه من الأخبار الموثوقة ، والآثار التي يحتج بها عند عامّة

---

[١] ينظر : معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٢ / ٦٩١ ، وينظر : قاموس الرجال ١ / ٨ ، والنجعة في شرح اللمعة ١/ ١٠ .

[٢] ينظر: بهج الصباغة ١ / ١٢٦ ، وينظر : الأوائل : ٩ ، وتواريخ النبي والآل : ١١ .

[٣] ينظر: قاموس الرجال ١ / ١٣ ، وينظر : الأوائل : ١٠ ، وتواريخ النبي والآل : ١٢ .

المسلمين ، إذ يقول :((فرأيت أن أكتب بعون الله تعالى شرحاً جامعا فيه من التأريخ والأدب واللغة ، والأخبار القويّة ، والآثار التي تكون حجة بقدر الحاجة ، وفي محلّ يكون فيه مناسبة ، مع ذكر عناوين الكتاب بقدر الوسع ، وأمَّا الشرَّاح المتقدّمون فلم يقفوا في كثير منها على مداركها أصلاً))[١].

وفي شرحه هذا اجتهد التستريّ في بيان ما وقع به الشرّاح السابقون من أوهام وتكلّف ، وتأويلات غير صحيحة وأخبار ضعيفة ، وقلة اطلاع على الحوادث التاريخية ، وغير ذلك ، وقد بيّنها التستري بقوله : ((وشرح ابن أبي الحديد وإنْ ادَّعى أَنَّهُ تأريخي أدبي إلاَّ أنَّ فيه معايب ، ففي بعض الموارد يفرّط في نقل التأريخ حتَّى يمكن أنْ يجعل ما نقل تأريخاً مستقلاً ، وكان عليه أنْ يقتصر على المقدار المناسب للعنوان ، وفي بعض الموارد لا ينقل شيئا أصلاً وأمّا شرح ابن ميثم فمذاقه مذاق الفلاسفة ، يرتكب كثيراً تأويلات غير صحيحة ، ويعلّلُ بِعللٍ عليلة ، وشرح الخوئي ليس فيه سوى الإكثار من الأخبار الضعيفة ، مع اقتصاره على ما ورد من طريقنا الذي لا يكون حجة على غيرنا ، مع قلّة إطلاعه على التأريخ ، فتبع ابن ميثم في كثير من خبطاته المتقدّمة))[٢] .

فضلاً عَنْ أَنَّ الشارح أراد أنْ ينتهج في شرحه نهجاً مستقلاً يختلف عن الشروح المستقلة برمتها ، إذ ألّفهُ على أساس وحدة الموضوعات ، فجعله في ستين فصلاً ، بدأها في فصل التوحيد وفيه (ثلاثة وخمسون) عنواناً ، وختمها في فصل موضوعات مختلفة وفيه (مئة عنوان وأربع)[٣] .

أولاً : منهج التأليف :

تبيّن سابقاً أنَّ التستري اختار لشرحه منهجا مختلفا عمّن سبقه من الشرّاح ، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه ، قائلاً : ((وليس دأبي دأبَ أكثر الشرّاح يذكر اللاحق ما قاله السابق في صورة الإنشاء منهُ ، فإنَّه نوعٌ من السرقة ، فما كان من غيري أنسبه إليه ، وما فيه بلا نسبة فهو منّي ، وحيث إنَّ ترتيب المصنِّف للكتاب بالخطب ، والكتب ،

---

[١] بهج الصباغة ١ / ١٢٦ .

[٢] بهج الصباغة ١ / ١٢٤ . ١٢٥ .

[٣] ينظر : بهج الصباغة ١ / ١٢٦ . ١٢٨ .

والكلمات القصار ترتيب لفظي ، أحببتُ ترتيبه بالمعنى ، فجمعت ما يكون راجعاً إلى التوحيد مثلاً في موضع ، وما يكون راجعاً إلى النبوّة في موضع ، وإلى الإمامة في موضع ، وهكذا كلّ موضوع))[١] .

ثمَّ زاد فقال : ((واقتصرت في شرح الفقرات من الإعراب واللغة والتفسير على المشكلات التي تحتاج إلى ذلك ، لا في كلِّ فقرة كما فعله بعضهم لكونه لغواً ، كما أنَّهُ ذكرت اللّغة عند كل فقرة وكلمة ، ولم أجمعها بعد العنوان كما فعل الشراح لئلاّ يكون الفهم في محلِّ الحاجة صعباً))[٢] .

ويمكن بيان منهج التستريّ في ما يأتي :

١ـ أَنَّه عُنيَ كثيراً بسرد الروايات التاريخية في بداية شرح كل فقرة ، مفصلاً آراء الفرق الإسلامية ، محاولاً بذلك ضبط سند النهج ومتنه ؛ وصولاً إلى المعنى المقصود من كلام أمير المؤمنين وهذا موافق للدافع الَّذي ذكره من تأليف شرحه .

٢. اعتماده على النسخ المعتبرة من شروح نهج البلاغة في تصويب متن النهج وتوثيقه، ك (شرح ابن أبي الحديد ، وشرح ابن ميثم ، وشرح الخوئي) وتخطئته الكثيرة للنسخة المصرية شرح نهج البلاغة لـ (محمد عبده) ؛ لما فيها من التصحيف الكثير ، وتصحيح متن النهج اعتماداً على ثقافة التستري اللغوية ، والإتيان بلفظ جديد مراعاة للسياق ، مثال ذلك في قوله (عليه السلام) : ((فَنَشَجُوا نَشِيجَاً ، وَتَجَاوبوا نَحِيبَاً))[٣] فقد استظهر التستري تحريفا في قوله (تجاوبوا) والصواب (ونحبوا) ، والنحيب رفع الصوت بالبكاء ، ولا معنى للتجاوب هنا ؛ لأَنَّ كُلاً منهم يبكي على نفسه ، ولقوله (نحيباً) ، فيكون (نحبوا نحيباً) مثل (فَنَشَجُوا نَشِيجَاً)[٤].

٣. عنايته الكبيرة بذكر المعنى الأصلي ، أو الوضعي ، وما يلحقه من تغيرات لغوية ، ثم انتقاله إلى بيان المعاني المجازية البلاغية ، من مجاز وكناية وتشبيه واستعارة ومقابلة .

---

[١] بهج الصباغة ١ / ١٢٦ .

[٢] بهج الصباغة ١ / ١٢٦ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٢١٧ .

[٤] ينظر : بهج الصباغة ١٢ / ٤٠٥ .

٤ـ تحقيق الروايات اللغوية لنهج البلاغة، لإعادة تفسير ألفاظ النهج ، لما يخالف به الشرّاح السابقين ، مثال ذلك في قوله (عليه السلام) : ((وَخَلَّف فِينا رَايَةَ الحَقِّ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ ... دَلِيلُهَا مَكِيْثُ الكَلاَمِ بَطيءُ القِيامِ))[١] إذ ذكر ابن أبي الحديد أن قوله (عليه السلام) : (مَكِيْثُ الكَلاَمِ) أي : قليل الكلام وهو من صفات المدح ، وكثرته من صفات الذم [٢] ، لكنَّ التستري رفض هذا المعنى وقال : ((مكيث الكلام ، أي : غير قليل ، وإنّما هو من يتكلَّم عن رُويَّة وتَدَّبر ولو كثر كلامه))[٣]

٥ـ العناية بالإعراب ، والتوجيه النحوي لألفاظ النهج ، والكشف عن الدلالة المعنوية المقصودة من كلام أمير المؤمنين ،وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على الدلالة الإعرابية لاحقاً ،وأنَّه يعضّد آراءه النحوية بالأدلة النقلية والعقلية ، كالشواهد القرآنية ، والأبيات الشعرية ، وأمثال العرب ، وأقوال الفصحاء منهم .

٦ـ الاستدلال بكلام أمير المؤمنين لبيان وجه الاستعمال الصحيح للكَلِم العربي ، وذلك نحو قوله (عليه السلام) : ((وَكُونُوا عَنْ الدُّنْيَا نُزَّاهاً))[٤]، قال التستري : ((قال ابن السّكيت : ((ومما يضعه الناس في غير موضعه قولهم : خرجْنَا نَتَنَزَّه ، إذا خرجوا إلى البساتين ، وإنَّما التنزّه التباعد عن المياه والأرياف ، ومنه قيل : فُلان يتنزَّه عَنْ الأقْذارِ وَيُصَدّق ما قاله مورد كلامه (عليه السلام) في الأمر بالتنزَّه عن الدُّنيا وقولهم أنَّه تعالى مُنَزَّه عن النقائص))[٥] .

٧. دفاعه عن الراوندي من ردود ابن أبي الحديد ، ومثال ذلك في قوله (عليه السلام) : ((قَدْ ارْتَسَخَت أَسْمَاعُهُمْ بِالهَوامِّ فاسْتَكَّتْ))[٦] إذ قال التستري في ردِّه على ابن أبي الحديد : ((لا بدَّ أنْ الراوندي ذكر معنى مجرد (ارتسخ) لأَنَّ معنى الباب معلوم ، وحينئذٍ فيعلم أنَّ المراد تثبيت أسماعهم بالهوام ، ولا يرد عليه شيء ، ويحتمل أنْ يكون (ارتسخت) مُصَحَّف من

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٩٨

[٢] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٢ / ١٩٠ .

[٣] بهج الصباغة ٣ / ٣٣٦ .

[٤] نهج البلاغة الخطبة ١٨٦ / ص ٣٤٦ .

[٥] بهج الصباغة ١٢ / ١٥ وينظر : لسان العرب ١٣ / ٥٤٨ (نزه) .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢١ / ص ٤٢٤ .

(اتسخت) من الوسخ بمناسبة قوله بعد ((واكْتَحَلَتْ أبْصَارهُم بالتراب)) وتكون (الراء) حدثت من كسرة الهمزة))[١] على حين قال ابن أبي الحديد : ((ليس معنى (ارتسخت) ثبتت كما زعم الراوندي ؛ لأَنَّ الأسماع لم تثبت ، وإنَّما تثبت الهوام فيها ، بل الصحيح أنَّهُ من رسخ الغدير إذا نَشَّ ماؤه ، ونضب))[٢]

٨ . ردوده على الشرّاح والمعجميين : كثرت ردود التستري اللغوية والنحوية على الشرّاح ، والمعجميين المتقدّمين ، ولا سيّما الشارح ابن أبي الحديد ، وذلك واضح في كل أجزاء شرح بهج الصباغة ، ومن أمثلة ذلك ، ما في قوله (عليه السلام) يصف تثاقل أصحابه عن الجهاد : ((اللَّهُمَّ إنِّي قَدْ مَلِلْتُهُم وَمَلُّونِي ، وَسَئِمْتُهُم وَسَئِمُونِي ، فابْدِلْنِي بِهم خَيْراً مِنْهُم ، وأبدلهم بِي شَرّاً مِنِّي)) [٣]، ذكر التستري في ردِّه على ابن أبي الحديد في بيان (أفعل) التفضيلية ، إذ قال : (((أفعل) إذا كان بعده (مِن) يكون للأفضلية لا غير ، بخلاف ما إذا لم يكن ، وفي الآيتين اللتين استشهد بهما ابن أبي الحديد لم تكن (مِنْ) بخلاف كلامه (عليه السلام) ، وإنّما كلامه بمنزلة قوله تعالى:﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾[٤]، مع أنَّ الجزاء ليس بسيئة ، وإنَما أطلق عليه السيئة لكونه في شكل السيئة وفي صورتها ، وحيث إنَّهُ (عليه السلام) كان يكلّفهم بجهاد العدو ويؤنّبهم على تقاعسهم ، فكأنَّهم اعتقدوا أنَّ فيه (عليه السلام) شراً بذلك ، فدعا عليهم بأنْ يبدّلهم الله منه(عليه السلام) بمن لم يقنع على التحريض والتأنيب))[٥] ،على حين قال ابن أبي الحديد أنَّ قوله (عليه السلام) : (((فأبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرَاً مِنْهُمْ ، وأبدلهم بِي شَرَّاً مِنِّي) لم يكن خيرٌ فيهم ، ولا شرٌ فيه (عليه السلام) ، وأنَّ (أفعل) ها هنا بمنزلة قوله تعالى : ﴿**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[٦]

---

[١] بهج الصباغة ١١ / ١٧٦ .

[٢] شرح ابن أبي الحديد ١١ / ١٦٢ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٥ / ص ٥٨ .

[٤] الشورى : ٤٠ .

[٥] بهج الصباغة ١٠ / ٣٥٥ .

[٦] سورة (فُصّلت) : ٤٠ .

، وقوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا**﴾[١]))[٢] .

أمّا ردوده على المعجميين ، فمنه ما في قوله (عليه السلام) يحث أصحابه على القتال : ((وَأَنْتُمْ لَهَاميمُ العَرَبِ ، والسَّنَامُ الأعْظَمُ ، إنَّ في الفِرَارِ مَوْجِدةَ اللهِ))[٣]، فقد ورد لفظ (لهاميم) في (الصحاح) اللهموم : الجواد من الناس والخيل ، قال الشاعر :

لاَ تَحْسَبَنَّ بَيَاضاً فِيَّ مَنْقَصَةٌ إنَّ اللَهَامِيمَ فِي أَقْرَابِهَا بَلَقُ[٤] .

وقال التستريّ : ((قد وَهِمَ (الجوهري) ، وإنّما قال (ابن دريد) : فرسٌ لَهِمُ وَلَهِيم وَلَهمُوم ، إذا كان جواداً غزير الجري ، ومعنى ذلك أنَّهُ جيدٌ أصيلٌ كثير العَدْوِ لا جُودِ الإنسان كما توهّمَ[٥] ، وحينئذٍ فقوله (عليه السلام) (لهاميم العرب) استعارة من ذلك الفرس ، وإلاَّ فالجود لا يناسب الحرب ، وحينئذٍ فالمراد أنَّكُم مُقَدّمُون في الحرب كالأفراس اللهاميم))[٦] .

ثانيا : موارد الشرح :

اعتمد التستريّ على عدد كبير من الكتب في شرحه ، وقد تنوعت هذه المصادر ما بين النحو ، واللغة ، والأدب ، والبلاغة ، والتفسير ، والتأريخ ، والحديث ، وكتب الرجال ، وشروحات النهج المتقدّمة عليه ، وكان للنحو واللغة أثر بيّن وبارز ،فلا نكاد نجد نصاً من النصوص التي يعالجها الشارح إلاَّ وفيه مسألة نحويّة ، أو أكثر ، وفيها بيان لرأي نحوي ، أو ردّ عليه ، وقد استقى مسائله النحوية واللّغوية من موردين رئيسين هما : النقل عن العلماء ، والنقل عن كتبهم ، مع أَنَّ قسماً من هولاء العلماء لم يؤثر عنهم مؤلفات ، وإنّما نَقَلَتْ أقوالهم وآراءهم كتبٌ متأخرة عنهم ، ومن أشهر النحويين واللغويين الذين نقل عنهم :

---

[١] الفرقان : ١٥ .

[٢] شرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٤٧ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١٢٤ / ص ٢٢٨ .

[٤] ينظر : صحاح اللغة ٤ / ٢٠٣٧ مادة (لَهَمَ) .

[٥] ينظر : جمهرة اللغة ٩٨٧ مادة (لَهَمَ) .

[٦] بهج الصباغة ١٣ / ٤١٠ .

أبـــو الأســـود الـــدؤلي(ت٦٩هـ)[١]، والخليـــل (ت١٧٥هـ)[٢]، والأخفـــش الأكبر(ت١٧٧هـ)[٣]، وسيبويه (ت١٨٠هـ)[٤]، ويونس بن حبيب(ت١٨٢هـ)[٥]، والكسائي (ت١٨٩هـ)[٦]، والفرّاء (ت٢٠٧هـ)[٧]، وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٣هـ)[٨]، والأصمعي (ت٢١٦ هـ)[٩]، وابن السّكّيت(ت٢٢٤هـ)[١٠]، وابن قتيبه(ت ٢٧٦هـ)[١١] والمبرد(ت٢٨٥هـ)[١٢] ، وثعلب (ت٢٩١ هـ)[١٣]، وابن كيسان(ت٢٩٩هـ)[١٤] ، والزجاج (ت٣١١هـ)[١٥] ، وابن دريد (ت٣٢١هـ)[١] ، وأبو بكر بن الأنباري(ت٣٢٨هـ)[٢] ، وابن

---

[١] ينظر : بهج الصباغة ٦ / ٢٠١ و ٢٠٢ و ٣٠٤ .

[٢] ينظر : المصدر نفسه ٤ / ١٠ و ٢٨٤ ، ٥ /٢٧ ، ٧ / ٢٧٩ و ٢٨٨ ، ٨ / ١٤٣ ، ١٠ / ٢٣ ، ١١ /٤٥ ، ١٤ / ٤١٣ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه ٤ / ١٥٥ .

[٤] ينظر : المصدر نفسه ٦ / ١٧٠ ، ٨ /٧٧ ، ١٣ / ٢٠٣ ، ١٤ / ٤١٣ .

[٥] ينظر : المصدر نفسه ٤/ ١٥٥ ،٥ / ٢٧ و ٥٨ ، ٦ / ١٩٦ ، ١٤ / ٤٧ .

[٦] ينظر : المصدر نفسه ١ /٤٤٧ ،٣ / ٣٠٥ ، ١٠ / ٢١٥ ، ١١ /٢١٩ ، ١٢ / ١٣٠ .

[٧] ينظر : المصدر نفسه ٢ / ١٧١ ، ٨ / ٧٧ ١١ / ٢٨٧ ، ١٢ / ١٥٩ .

[٨] ينظر : المصدر نفسه ١ / ٤٤٧ ، ٢ / ٢٨ ، ٨ / ١٣٢ ، ١٠ / ١٥٣ ، ١١ / ٢٨٧ .

[٩] ينظر : المصدر نفسه ١٢ / ١٣٠ ، ١٣ / ٢٢٧ .

[١٠] ينظر : المصدر نفسه ٥ / ٢٠٣ ، ٦ / ٢٢٠ ، ٧ / ٢٥٦ ، ٨ / ٧٦ ، ١٠ / ٤٥ ، ١١ / ١٣ ، ١٢٢ .

[١١] ينظر : المصدر نفسه ٣ / ٤٩و١٥٠ ،٦ / ١٧٤ و ١٩٥ و٢٠٢ ، ٧ / ٤٢ و ٢١٧ و ٢٨٨ و ٤٠٠ ، ٨ / ١٦٦ و ٢٤١ و ٤٠٩ ، ١٢ / ٧٢ .

[١٢] ينظر : بهج الصباغة ٢ / ٢٢١ ، ٣ / ١٣٧ ، ٤ / ٢٥٩ ، ٥ / ٣٣ و ٣١٥ و ٣٢٣ ، ٦ / ١٨ و ٥١ و ١٠١ و ١٣٣ ، ٨ / ١٣ و ٢٤٩ و ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٨ / ١٣ ، ٩ / ٥٥ ، ١١ / ٧٥ ، ١٤ / ١١٨ .

[١٣] ينظر : المصدر نفسه ١ / ٤٣٣ ، ٧ /٣٧٦ ، ٨ / ١٦٨ ، ٩ / ٦٥ ، ١١ / ٥٧ ، ١٢ / ٤٢٨ ، ١٣ / ٢٤٩ .

[١٤] ينظر : المصدر نفسه١ / ٤٤٧ .

[١٥] ينظر : المصدر نفسه ٦/ ٢٠٢ ، ٨ / ٣٢٢ .

خالويه (ت٣٧٠هـ)[٣]، والجوهري(ت٣٩٣هـ)[٤] ، وأبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩ هـ)[٥] ، وعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)[٦]، والزمخشري (ت٥٣٨هـ)[٧] ، وابن الأثير الجزري(ت٦٠٦هـ)[٨] ، وابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)[٩]، والسيوطي(ت٩١١ هـ)[١٠] .

أمّا أهم الكتب النحوية واللغوية التي اعتمدها التستريّ في نقل كثير من المسائل التي تعزز ما ذهب إليه في تعضيد شرحه لنصوص نهج البلاغة فهي :

الكتاب لـ (سيبويه)[١١] ، ومعاني القرآن (للفرّاء)[١٢] ، ومجالس ثعلب[١٣] ، وإصلاح المنطق لـ (ابن السكّيت)[١٤] ، والكامل في اللغة والأدب لـ (للمبرد)[١٥] ، وجمهرة اللّغة لـ(ابن دريد)[١٦] ، وليس في كلام العرب لـ(ابن خالويه)[١٧] ، وصحاح اللغة (للجوهري)[١] ، وفقه

---

[١] ينظر : المصدر نفسه ١ /٢٤٢ و٢٩٠ و٣٢٠ و٣٣٢ و٣٤٥ و ٣٩٠ ، ٦ / ١٠٩ و١٢٩ و٢٠٩ ، ٨ / ٧٨ و ١١٩ و ١٧٦ و ١٨٩ ، ...

[٢] ينظر : المصدر نفسه ٤ / ١٢ و ٢٣١ ، ٥ / ٣٦٣ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه ٧ / ٣٨ .

[٤] ينظر : المصدر نفسه ١ / ٢٣٠ و٢٧٢ و ٢٧٦ و٣٢١ و ٣٣٢ و ٣٨٤ و ٣٨٧ ٤٢٥ ، ٢ /٧٦ و ٨٠ و١٣٠ و١٥٨ و١٩٢ ، ٦ / ١٠٥ و١١٠ و١١٧ و١٣٢ و١٦٨ و٢٩٣ ...

[٥] ينظر : المصدر نفسه ٦ / ٥٩ ، ٨ / ٤٠١ ، ١٠ / ١٣٩ ، ١٢ / ٣٨٧ ، ١٤ / ٢٩٦ .

[٦] ينظر : المصدر نفسه ٥ / ١١ .

[٧] ينظر : المصدر نفسه ٢ / ٣٣٢ ، ٣ / ٣٥١ و٣٦١ و ٣٦٩ ، ٦ / ١١٦ و ١٤٨ و٢٩٢ و٢٢٢ ، ٩ / ٦٥ ، ١٠ / ٧٧ و١٢٠ و ١٥٥ و ١٩٠ ، ١٣ / ٣٩ ، ١٤ / ٢٨٦ .

[٨] ينظر : المصدر نفسه ١ / ٤٥٨ ، ٢ / ٤ و ٢٢ و ١٨٥ و ٢٦٠ و ٣٤٣ ...

[٩] ينظر : المصدر نفسه ٥ / ١٦٢ ، ١١ / ٤٣٩.

[١٠] ينظر : المصدر نفسه ٣ / ٤٣ ، ٥ / ٢٤٢ ، ٧ / ١٩٣ ، ١٢ / ١٢٩ ، ١٤ / ١١٤ .

[١١] ينظر : بهج الصباغة ٨ / ٧٧ ، ١٤ / ٤١٣ .

[١٢] ينظر : المصدر نفسه ٨ / ٧٧ ، ١١ / ٢٨٧ .

[١٣] ينظر : المصدر نفسه ٧ / ٣٧٦ ، ٩ / ٦٥ ، ١٢ / ٤٢٨ .

[١٤] ينظر : المصدر نفسه ٥ / ٢٠٣ ، ٧ / ٢٥٦ ، ١١ / ٢٩٥ .

[١٥] ينظر : المصدر نفسه ٤ / ٢٥٩ ، ٥ / ٣١٥ ، ٦ / ١٠١ ، ٨ / ٢٤٩ .

[١٦] ينظر : المصدر نفسه ١ / ٢٩٠ ، ٢ / ٣١٣ / ، ٤ / ١٦٧ ، ٧ / ١٢٨ ، ٨ /٤٨٦.

[١٧] ينظر : المصدر نفسه ٧ / ٣٨ .

اللغة وسر العربية (للثعالبي)[٢] ، والكشاف (للزمخشري)[٣] ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لـ (ابن الأثير الجزري)[٤] ، ومغني اللبيب لـ(ابن هشام)[٥] والقاموس المحيط (للفيروز آبادي)[٦] .

ثالثاً : وسائل التوثيق:

١ . القرآن الكريم :

لشواهد القرآن الكريم عند التستريّ مكانة عالية ، فهو أصحُّ نص عربي وصل إلينا ، وهو ((عماد الأدلّة النقلية جميعها ، وقد نزع النحاة جميعاً إلى الاعتماد عليه وعلى قراءاته في الاستدلال على قواعدهم وأصولهم))[٧] ، والدليل القرآني في شرحه (بهج الصباغة) يمكن أن يقف منفرداً لإثبات قاعدة نحوية ، أو تقرير أصل نحوي ، كما في قوله (عليه السلام) يعظُ النَّاس : ((فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ ، وَفَازَ عَمَلُهُ ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا ، وَاعْمَلُوا لِلجَنَّةِ عَمَلَهَا))[٨] ، إذ قال التستريّ : ((اهْتَبِلُوا هَبَلَهَا ، أي: اغتنموا غنيمتها ، فيكون (هبلها) مفعولاً به ، ويكون مساوقاً لقوله تعالى : ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً**﴾[٩])[١٠] ، على حين ذكر ابن أبي الحديد أن ((هبلَهَا منصوب على المصدرية ؛ كأنَّهُ من (هَبَلَ) مثلَ (غَضَبَ غَضَباً) ، أي : اغتنموا وانتهزوا الفرصة الانتهاز الذي يصلح لهذه الحال)) [١١]، وردَّ التستري ذلك قائلاً :((فلو كان (هَبَلَهَا) مفعولاً مطلقاً

---

[١] ينظر : المصدر نفسه ١ / ٢٧٢ و ٣٢١ و٣٢٢ ، ٢ / ١٩٢ ، ... .

[٢] ينظر : المصدر نفسه ٨ / ٤٠١ ، ١٠ / ١٣٩ ، ١٣ / ٢١٨ .

[٣] ينظر : المصدر نفسه ٣ / ٣٦٩ ، ٦ / ٢٩٢ ، ٩ / ١٥٥ .

[٤] ينظر : المصدر نفسه ٢ / ٢٢ ، ٣ / ١٠٨ ، ٤ / ١٩٧ ، ٥ / ٢٠١ ، ٩ / ٨٤ ، ١١ / ٤٣٨

[٥] ينظر : المصدر نفسه ٥ / ١٦٢ ، ١١ / ١٤٩ .

[٦] ينظر : المصدر نفسه ١ / ١٤٠ ، ٣ / ٢٩ / ٤ / ٨٤ و ٥٩ ٢٨٤ ، ٥ / ٣١٧ ، ٩ / ٤٠ .

[٧] في أدلة النحو : ٣٠ .

[٨] نهج البلاغة ، الخطبة ١٣٢/ ص ٢٤٠ .

[٩] التوبة : ٤٦ .

[١٠] بهج الصباغة ١١ / ١٥٣ .

[١١] شرح ابن أبي الحديد ٨ / ٢٧٠ .

لقال :(فاهتبلوا لها اهتبالاً) ، وبالجملة لا ريب في أنَّ(هَبَلَهَا) مثل (عَمَلَهَا) في قوله بعدُ))[١] بعدُ))[١] .

ويبدو أَنَّ الذي حمل التستريّ على إعراب (هَبَلَهَا) في قول أمير المؤمنين على أنَّهما مفعولٌ به ، أنَّ الفعلين متعديانِ ، وقد وردَ المفعول به من لفظ الفعل في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى :﴿ **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ** ﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا**﴾[٣] .

وكذلك في نيابة الحروف في تأصيل حكم نحوي ، مجيء(على) بمعنى (مع) في قوله (عليه السلام) يصف خلق الأرض :((وَأَرَّزَهَا فِيْهَا أَوْتَادًا فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيْدَ بِأَهْلِهَا))[٤]، إذ ذكر التستريّ أنّ قوله (عليه السلام) (على حركتها) أي :مع حركتها متحركة ، فإنَّ (على) في مثل هذا الموضع بمعنى (مع) كقوله تعالى : ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾[٥]، ، أي : وهب لي مع مع الكبر الذي لا تحصل معه في الغالب ولادة[٦] ، وسيأتي تفصيل هذه المسألة لاحقاً[٧]. لاحقاً[٧].

٢ ـ الحديث النبوي الشريف :

كانت عناية التستريّ بكلام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) عناية كبيرة في شرحه ، فقد أثبت فيه الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة ، ولكن هذه الأحاديث لم ترد عنده لإثبات المسائل النحوية واللغوية والاحتجاج لها ، وإقرار أحكامها ؛ بل أوردها التستري لبيان مقصد كلام أمير المؤمنين ، ومن ذلك قوله (عليه السلام) في إمامته : ((وُقِرَ

---

[١] بهج الصباغة ١١ / ١٥٣ .

[٢] يوسف : ١٩

[٣] المزمل : ١٥ .

[٤] نهج البلاغة الخطبة ٢١١/ ص٤١٣ .

[٥] إبراهيم ٣٩

[٦] ينظر : الكشاف ٢ / ٥٤٤ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٤٣ .

[٧] ينظر : ص١٧٢ . ١٧٣ من الرسالة .

سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الواعِيةَ ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النّبْأةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ ؟))[١] ، إذ قال التستريّ في قوله (عليه السلام) (وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الواعِيةَ) : ((أي : الصوت المرتفع ، والمراد من أنَّ مَنْ لم يسمع صراخ النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) بذكر مقاماتنا أهل البيت ، كقوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) : ((إنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلين : كِتَابُ اللّهِ وَعِتْرَتِي وأنَّهما لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَليَّ الحَوْض))[٢]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلّم) : ((مَثَلُ أَهلُ بَيْتِي مثلُ سفينة نوح مَنْ رَكَبَهَا نَجَا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرَقَ))[٣] لم يراعِ تأكيدات النبي فيهم))[٤].

٣ . كلام العرب :

ويراد به : ما ثبت عنهم من الشعر والنثر الفصيح ، وهما من أقدم المصادر السماعية وأهمها ، إذ أكثرَ النحويون واللغويون من الاستشهاد بهما في إثبات صحة قواعدهم وتأصيلها ، وللتستريّ شواهد شعرية كثيرة ، توزعت على الاستدلال في إثبات المعنى المقصود من كلام أمير المؤمنين ، وكذلك تقويم وتأصيل الآراء النحوية الكثيرة التي أيَّد بها الشرّاح ، والنحويين ، واللغويين ، أو خالفهم فيها ، وذلك قوله في التعجب بـ (شَدَّ مَا) في قول الإمام (عليه السلام) في الخلافة : ((فَيَا عَجَباً بَيْنَا هوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ ، إذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، لَشَدَّ مَا تَشَطَّرا ضَرْعَيهَا !)) [٥] ، إذ قال التستريّ : ((إنَّ (مَا) في (لَشَدَّ ماَ) للتعجب ، فيكون (شَدَّ ماَ) في معنى (مَا أَشَدَّ) ، أي أنَّ الشيءَ كان في غاية الشدّة ، ولمَّا قرأ يزيد كتاباً للحسين (عليه السلام) في معنى حجر وعمرو بن الحمق إلى معاوية ، قال لأبيه : لَشَدَّ مَا فَخَرَ عليكَ الحسنُ ، ومنه قول الشاعر :))[٦]

لَشَدَّ مَا نَالَ منّي الدَّهرُ واعْتَقَلَتْ يَدُ الزمَانِ وأَوْهَتْ مِنْ قِوَى مَرَرِي .

وقال أعرابي :

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٤ / ص ٣٤

[٢]، صحيح مسلم ٤ / ١٨٧٣ ، وسنن الترمذي ٥ / ٦٦٢.

[٣] بهج الصباغة ٣ / ٦ ، المستدرك على الصحيحين ٢ / ٣٤٢ ، و مسند أبي يعلي ٤ / ٧٥ .

[٤] بهج الصباغة ٣ / ٧ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ٣ / ص ٢٩ .

[٦] بهج الصباغة ٥ / ٧٢ .

فَلَمَّا كَتَمْتُ الحُبَّ قَالَتْ لَشَدَّ ما صَبَرْتُ ، وَمَا هَذا بِفِعْلِ شَجَى القَلْب

ومنه ما في قول أمير المؤمنين في إعراضه عن الخلافة : ((وطَوَيتُ عَنّهَا كَشْحاً))[١] فقد بيَّن التستريّ دلالة (كشحاً) في ردِّه على ابن أبي الحديد ، إذ قال :((إنّما يجيء (طوى بطنه) بمعنى الجوع ، وأمّا (طوى كشحه) فلا يجيء إلاَّ بمعنى الإعراض إذا عُدِّيَ بـ (عَنْ) كما في كلامه (عليه السلام) وقول الشاعر:))[٢]

وَصَاحبٌ لِي طَوَى كَشْحَاً ، فَقُلْتُ لَهُ إنَّ انْطُواءَكَ هّذا عَنْكَ يُطْوِينِي .

أمّا إذا عُدِّيَ بـ (على) فبمعنى الإخفاء ، كما قال زهير بن أبي سلمى في حصين بن ضمضم في حرب داحس والغبراء [٣] :

وَكَانَ طَوَى كَشْحاً عَلَى مُسْتَكَنّةٍ فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ .

ومن وصية له للحسن (عليه السلام) : ((فإنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ ... وإنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إنَّمَا تَخْبِطُ العَشْواءَ))[٤] ، ، قال التستريّ : ((أي : كالناقة العشواء التي في بصرها ضعف فتخبط ولا تتوقى شيئاً في مشيها ، والأصل (تخبط خبط العشواء) ، فحذف المصدر ، وقد يحذف الفعل))[٥]، كما في قول زهير بن أبي سلمى[٦] :

رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخطِىءْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ .

أمّا شواهده من **أمثال العرب** التي يعضّد بها مسائله اللّغوية فقد قلّتْ ،إذ لم تتجاوز خمسة شواهد ، منها استشهاده بالمثل (أهون عليَّ مِنْ عَفْطَةِ عَنْز) في قول أمير المؤمنين : ((وَلأَلْفَيْتُم دُنْيَاكُمْ هذهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ))[٧] ، إذ قال التستريّ في ردّهِ على ابن ابن أبي الحديد : ((إنّما قال ابن أبي الحديد ما قاله ؛ لأنَّ (الصحاح) لم يذكر العفطة إلاَّ

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٣ / ص ٢٨ .

[٢] بهج الصباغة ٥ / ٢٨ .

[٣] ديوانه : ٦٨ .

[٤] نهج البلاغة ، الكتاب ٣١ / ص ٥٠١ .

[٥] بهج الصباغة ٨ / ٢٦٦ .

[٦] ديوانه : ٧٠ .

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ٣ / ص ٣٢ .

للضأن ، ومثلهُ (القاموس) ، لكنَّهما وَهِمَا ، والصواب كون العفطة للمعز ، والنفطة للضأن عكس ما قاله ابن أبي الحديد ، ففي (جمهرة ابن دريد) : ((العافطة العنزة ، والنافطة الضأنة ، ومن أمثالهم (أهون عليَّ من عفطة عنز)))[١] .

وكان ابن أبي الحديد قد ذكر أنَّ أكثر ما يستعمل العفطة في النعجة ، فامَّا العنز ، فالمستعمل فيه الأشهر النفطة بالنون ويقولون : (ما لهُ عافط ولا نافط)[٢] .

وكذلك استشهاده بالمثل (شَرُّ الرُّعَاء الحطمة) في قول أمير المؤمنين في الفتنة : ((مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ ، وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ)) [٣]، إذ قال التستريّ :(((حطَمَتْهُ) أي أي : دَقَّتْهُ ، والحطمة : اسم من أسماء جهنم ؛ لأنَّها تُحَطِّمُ ، ويُقال رجل حطم وحطمة إذا كان قليل الرحمة للماشية ، ومن أمثالهم (شَرُّ الرُّعَاء الحطمة)))[٤] .

---

[١] بهج الصباغة ٥ / ١٨٨ ، وينظر : جمهرة اللغة ٣ / ١٠٤ مادة (عفط) ، وأساس البلاغة : ٣٠٧ (عفط) .

[٢] ينظر : ابن أبي الحديد ١ / ٦٨ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١٥١ / ص ٢٦٤ .

[٤] بهج الصباغة ٦ / ١٠٩ ، وينظر : مجمع الأمثال ١ / ٣٦٣ ، والمستقصى ٢ / ١٢٩ .

مفهوم الدلالة النحوية

توطئة:

وهي الدلالة المستمدة من نظام الجمل وترتيبها ؛ لأَنَّ أي اختلال يحصل في بناء الجملة يؤثر في دلالتها ، وإنَّ اختلال العلاقات النحوية الصحيحة بين الألفاظ يؤدي إلى عبارة لا معنى لها[١] ، بمعنى أنَّ الدلالة النحوية تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات ، التي تتخذ كل منها موقعاً معيناً في الجملة بحسب قوانين اللغة ، فإنَّ كلَّ كلمة في التركيب لابدَّ أنْ تكون لها وظيفة نحويّة من خلال موقعها[٢] .

وقد كان النحو العربي منذ نشأته الأولى مهتماً بالمعنى ، يَعْتَدُّ به وبدوره في التقعيد ، وهناك تفاعل قائم ومستمر بين الوظيفة النحويّة والدلالة المعجمية للمفرد الَّذي يشغل هذه الوظيفة ، يُشكل هذا التفاعل بينهما المعنى الدلالي للجملة[٣] .

وقد ربط النحويون القدامى النحو بالمعنى ، إذ قال المبرد :((كلُّ ما صَلحَ به المعنى فهو جيد ، وكلُّ ما فسد به المعنى فمردود))[٤]، على حين ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أهمية النحو في الدلالة عن الفكرة ، إذ يقول :((لا يتصور أنْ يتعلق الفكر بمعاني الكَلِم أفراداً ومجردةً من معاني النحو))[٥] .

وعُني البلاغيون – أيضاً – بالدلالة النحوية ، وجعلوها علماً قائماً بنفسه سموّه علم المعاني، الذي يؤلف مع علمي البيان والبديع العلوم الأساسية للبلاغة، فكانت دراساتهم قيّمة

---

[١] ينظر : دلالة الألفاظ : ٤٨ ، وعلم الدلالة (أحمد مختار عمر) : ٥٣ .

[٢] ينظر : الدلالة عند ابن جني (عبد الكريم مجاهد عبد الرحمن) : ١٦٩ (بحث) .

[٣] ينظر : النحو والدلالة : ٢٢

[٤] المقتضب ٤ / ٣١١ ، وينظر :شرح المفصل ٢ / ٦٥ .

[٥] دلائل الإعجاز : ٤١٠ .

لمعاني الكلام أو النحو، من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وفصل ووصل، وأسلوبي الخبر والإنشاء بنوعيه: الطلبي وغير الطلبي[١].

ويبدو أنَّ تسمية (الدلالة النحوية) بهذا المصطلح تسمية حديثة ، بيد أنَّ مباحثه موجودة في تراثنا اللغوي ، إذ يمكن تلمسها في أول كتاب نحوي كان قد وصل إلينا ، ويبدو كذلك أنَّ الدرس اللغوي الحديث ينحو إلى أنْ يتخذ المعنى عنصراً أساسياً في التحليل ، فقد اعتمد تشومسكي وأتباعه على الاهتمام بالنحو ببنيتيه السطحية والعميقة ، مع أنَّ البنية العميقة هي التي يكمن فيها التفسير[٢] .

ومن هنا أصبح الدرس الحديث ينزع إلى عدم التفرقة بين الجانب النحوي والجانب الدلالي ، ولقد كانت التفرقة بين الظواهر النحوية والدلالية ، أو بين القواعد والمعنى تفرقة موروثة بين القواعد من جانب والمفردات من جانب آخر[٣] .

والذي يلحظ أنَّ هناك اتجاهين في الدرس اللغوي المعاصر : اتجاه يربط النحو بالدلالة ، ويرى أنَّ النحوَ هو الأساس والدلالة عنصر تفسيري ، وهذا الاتجاه تبناه تشومسكي ، واتجاه آخر يرى أَنَّ الدلالة هي التركيب العميق للجملة ، وأنَّ النحو ليس سوى وسيلة لتحويل التركيب العميق إلى تركيب سطحي ، وهذا الاتجاه المسمّى بالدلالة التوليدية [٤] ، فالدرس اللغوي الحديث يتجه إلى اتخاذ المعنى محوراً لكل تحليل ، فهو يقوم على تحليل الألفاظ ، ودراسة أحوالها في التراكيب ، فيبدأ بالمفردات وينتهي إلى الجملة الواحدة[٥] ، وغرضهم من ذلك كله الوصول إلى معرفة النظام الكامل لدلالة

---

[١] ينظر: مفتاح العلوم: ١٣٢، وتلخيص المفتاح : ٤٧، وجواهر البلاغة : ٣٩ .

[٢] ينظر : النحو والدلالة : ٥٣ ، ومن الأنماط التحويلية في النحو العربي ١٨ . ١٩، والدلالة والنحو (صلاح الدين صالح حسنين) ١١٤.

[٣] ينظر : النحو والدلالة : ٥٦ .

[٤] ينظر : النحو والدلالة : ١١٥ ، والدلالة والنحو: ١١٦ .

[٥] ينظر : الأصول – دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب / ٣١٠ .

المفردات أولاً ، ثم طرائق اقتران بعضها ببعض لتكوين الجمل ذات المعنى المفهوم والمقبول [١]، ولهذا لم يكن النحو بعيداً عن دراسة المعنى النحوي للألفاظ .

واشترط النحويون لأية وظيفة نحوية شروطاً يجب توافرها فيما تؤديه كي تتميّز من غيرها من الوظائف ، وقد أدرك أهل اللغة أن المعاني المقصودة والوظائف النحوية الصادرة عن الكلام يجب أن تحكمها مجموعة من الشروط ، وضعوها تحت مفهوم(قرائن التعليق المقالية) ، وقسموها إلى قرائن لفظية ومعنوية[٢] ، فاللفظية نحو : (الصيغة ، والرتبة ، والتضام ، والمطابقة ، والعلامة الإعرابية ، والأداة ، وغيرها) ، والمعنوية نحو : (الإسناد ، والتخصيص ، والنسبة ، والتبعية ، والمخالفة ، وغيرها) ، ولا يمكن إنكار القيمة الدلالية لهذهِ القرائن والعلاقات ؛ إذ إنّ استعمالها لا يمكن أن يكون مجرداً من المعنى.

وكانت عناية التستري بالدلالة النحوية واضحة ، وهو يحاول أن يوظّف النحو بما يتطلبه السياق ، والمعنى ، وكلامه في مواضع كثيرة ، يدلُّ على رؤيته الواسعة في قضايا النحو ، وكذلك إطلاعه على آراء النحويين ، وانتفاعه من جهودهم في بيان المعنى المقصود من كلام أمير المؤمنين ، ومن القضايا التي عرض لها : دلالة الحركة الإعرابية من نصبٍ ورفعٍ وتعاقب بينهما ، والتعريف والتنكير، ودلالة الضمائر والتقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، وتراكيب الإضافة ، وتراكيب الجمل ، ودلالة حروف المعاني .

---

[١] ينظر : منهج البحث اللغوي د. علي زوين / ١٧٥

[٢] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها / ٣٧ و ١٩٠ ، والنحو والدلالة / ٤٢ – ٤٣ .

الدلالة الإعرابية

توطئة :

يعرّف ابنُ جني (ت ٣٩٢هـ) الإعراب ، إذْ يقول : ((هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ، ألاَ ترى أنَّك إذا سمعت (أكْرَمَ سَعِيدٌ أباهُ) و (شَكَرَ سَعيداً أبوهُ) ، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه))[١] ، فالإعراب هو التعبير عن الوظائف اللفظية والمعنوية للمفردات والجمل وعلاقة بعضها ببعض ، أي : أنَّهُ مظهر لفظي خارجي للعلاقات الداخلية في التركيب النحوي[٢] ، ولا بدّ من معرفة موقع المفردة الإعرابي في النص ، إذ قال الزجاجي : ((إنَّ الأسماء لمّا كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة ، ومفعولة ، ومضافة ومضافا إليه ، ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلّة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني))[٣] ، ويسوق الزجاجي أمثلة ليستدلَّ بها على أنَّ الإعراب لا يدخل عبثاً على الكلمات ، فإذا قالوا : (ضَرَبَ زيدٌ عمراً) فدلّوا برفع (زيد) على أنَّ الفعل له ، وبنصب (عمرو) على أنَّ الفعل واقع به ، وقالوا : (ضُرِبَ زيدٌ) فدلّوا بتغيير أول الفعل ، ورَفْع (زيد) على أنَّ الفعل ما لم يُسمَّ فاعله ، وأنَّ المفعول قد نابَ منابه ، وقالوا : (هذا غلامُ زيدٍ) فدلّوا بخفض(زيد) على إضافة الغلام إليه ، وكذلك سائر المعاني ، جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ، ليتسعوا في كلامهم ، ويقدّموا الفاعل إنْ أرادوا ذلك ، والمفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات دالّة على المعاني[٤] .

والإعراب من الخصائص المميزة للغة العربية ، وقد تجلّى بصورة واضحة في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقد أشار إليه الخليل وسيبويه في مؤلفاتهم [٥] .

وقد اتفق النحويون على دلالة الحركات الإعرابية على المعاني ، سوى قطرب (٢٠٦ هـ) الذي خالف هذا الرأي ، وجاء برأي آخر ، وهو أنَّ الحركات التي تعرض

---

(١) الخصائص ١ / ٣٦ .

(٢) ينظر : الدلالة عند ابن جني : ١٦٩ (عبد الكريم مجاهد) بحث .

(٣) الإيضاح في علل النحو : ٦٩ .

(٤) الإيضاح في علل النحو : ٦٧ ، والأشباه والنظائر في النحو ١ / ١٨٠ . ١٨١ .

(٥) ينظر : الجمل في النحو (الفراهيدي) ٢٦٠ ، والكتاب ١ / ٩١ . ٩٢ ،

لأواخر الكلمات ، إنما جِيءَ بها للتخفيف من الثقل الناشئ من إسكان الحروف ، إذ قال : ((أعربت العرب كلامها ؛ لأنَّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف ، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضا ، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل ، وكانوا يبطئون عند الإدراج ، فلمّا وصلوا وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام)) [١] .

وردَّ الزجاجي قول قطرب ، فقال : ((لو كان كما زعم لجاز خفض الفاعل مرةً ورفعه أخرى ونصبه ، وجاز نصب المضاف ؛ لأنَّ القصد في هذا إنَّما هو الحركة تعاقب سكونا يعتدل به الكلام ، وأي حركة أتى بها المتكلّم أجزأته ، فهو مُخيّر في ذلك وفي هذا فساد الكلام وخروجٌ على أوضاع العرب وحكمة نظام كلامهم))[٢] .

ومعلوم أنَّ العلامات الإعرابية لم تأتِ اعتباطاً في أواخر المعربات ؛ بلْ أنَّ لمجيئها اعتبارات دلالية استوقفت الدارسين قديماً وحديثاً ، وحظيت بعناية واضحة من لدُن النحويين المتقدمين ، لا سيَّما الذين وضعوا أوليات النحو ، فقد نبّه أبو الأسود الدؤلي من أخطأ في قراءة (رسوله) ، بالجر في الآية الكريمة ﴿**إِنَّ اللَّـهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾[٣] مشيراً إلى ارتباط هذه العلامات بدلالات معيّنة ، وعَلَّلَ هذا الاهتمام بكونها ((أهم الوسائل التي تعين على فهم النصوص، وإيضاح معانيها ، وكشف غوامضها))[٤] .

ويعد الإعراب من ظواهر سِعَة العربية وثرائِها ؛ إذْ إنَّ ألفاظاً كثيرةً في بعض التراكيب العربية قد تُعرَب بأكثر من وجه ، ففي الاستثناء المنقطع وحده ما يدلُّ على هذه السِعة ، ومن ذلك قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو بن العلاء قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ**﴾[٥] بضم كلمة (امرأتك) ، وجمهور القرّاء قرؤوها بالنصب ، فحجة مَنْ رفع أنَّه استثناء من قوله تعالى :﴿ **وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ** ﴾ والحجة لمن نصب أنّه

---

[١] الإيضاح في علل النحو : ٧٠ . ٧١

[٢] المصدر نفسه : ٧٠ . ٧١

[٣] التوبة : ٣

[٤] أثر المعنى في الدراسات النحوية : ١٦٦

[٥] هود : ٨١

استثناها من قوله تعالى :﴿ **فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ**﴾[1] .

ويتضح من هذا أنَّ الإعراب ليس ترفاً لغوياً ؛ وإنما جيء به للدلالة على معانٍ إعرابية ، وهو جزء من النحو ، وهو قائم بوجود العامل غالباً ، وحركات الإعراب شرط من شروط الفصاحة العربية في جانبها النطقي والكتابي ، ولا شكَّ في أنَّ الأثر الإعرابي قرينة لفظية من جملة القرائن تعين على توضيح وظيفة الكلمة في التركيب حينما يقع الغموض بين عناصره .

وقد خصَّ التستريّ **في** شرحه للنهج ظاهرة الإعراب ودلالاتها بعناية واضحة ؛ لأنَّها تُعينه في فهم كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والكشف عن أسراره والنظر في الجملة وسبكها ومحلّها الإعرابي ، وقد أعرب التستريّ كثيراً من الألفاظ مُستقصياً الوجوه النحوية مستدلاً بالمعنى الذي ورد فيه السياق .

المبحث الأول

دلالة النصب :

---

[1] الحجة في القراءات السبع (لابن خالويه) : ١٩٠

١ . قال الإمام (عليه السلام) في ذم الدنيا وفنائها : ((أوْصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوى اللهِ الَّذي ضَربَ الأمْثالَ ، ووَقّتَ لَكُمْ الآجَالَ ، وألبَسَكُم الرّياشَ ، وأرْفَغَ[١] لَكُمْ المَعَاشَ ، وَأحَاطَ بِكُمُ الإحْصَاءَ ، وَأرْصَدَ لَكُمُ الجَزاءَ))[٢] ، وقد شايع التستريّ رأي فريق من الشرّاح في أنَّ (الإحصَاءَ) في قول أمير المؤمنين منصوب على أنهُ مفعول به ، مستدلاً بالسياق الذي ورد فيه لفظ (الإحصاء) ، وموافقتهُ في الإعراب للمنصوبات قبله وبعده ، إذ قال : ((الإحصاء هو مفعول به معيناً كالمعاش والجزاء في الفقرتين قبل وبعد))[٣]

ولا شكَّ أنَّ (المَعَاشَ) في قوله (وأرْفَغَ لكُم المَعَاشَ) ، والجزاء في (وَأرْصَدَ لكم الجَزاءَ) هما مفعولان به ، فاقتضى النسق الذي ورد فيه (الإحصاءَ) متوسطة بينهما أن تعرب مفعولا به للفعل(أَحْاطَ) المزيد بهمزة دالّة على الصيرورة والجعل ، وكأنه (عليه السلام) ((جعل الإحصاء والعدّ كالحائط المدار عليهم ؛ لأنَّهم لا يبعدون فيه ولا يخرجون عنه))[٤] .

ثُمَّ كثرت الآراء النحوية في توجيه نصب (الإحْصَاءَ) والذي يعنينا منها الوجه الذي ذكره ابن ميثم البحراني ، وردّه التستريّ ، إذ ذهب البحراني إلى أنَّ (الإحصاء) منصوب على التمييز ، ولم يفصّل في علّة هذا الحكم[٥] .

ورأى محمد جواد مغنية أنَّ (الإحصاءَ) تمييز نسبة محوّل من المفعول به ، والأصل : أحاط الإحصاءَ بكم ، فحوّل المفعول إلى التمييز[٦] ، ويبدو أنَّ التمييز إنّما يحوّل إلى المفعول لغرض المبالغة في الحدث والاتساع والشمول ، كقوله تعالى : ﴿ **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾[٧] ، أي : جعلنا الأرضَ كلَّها كأنَّها عيونٌ

---

[١] الرَّفْغُ : سعة العيش والخَصبُ ، يقال رَفَغَ عَيْشَهُ رفاغة : أي : اتسع ، ينظر : لسان العرب ٨ / ٤٢٩ (رفغ) ، وتاج العروس ١ / ٥٦٦٢ (رفغ) ، ونهج البلاغة (صبحي الصالح) ١٢٠ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ /ص ١٢١ (صبحي الصالح) .

[٣] بهج الصباغة ١١ / ٢٠٩ .

[٤] شرح ابن أبي الحديد ٦ / ٢٤٣ .

[٥] ينظر : شرح ابن ميثم البحراني ٢ / ٢٣٣ .

[٦] ينظر: شرح نهج البلاغة لـ (محمد جواد مغنية) ٢ / ١٣٨ .

[٧] القمر : ١٢

تنفجرُ ، وهو أبلغ من قولك : وفجرنا عيون الأرض ؛ لأنّه يكون حقيقة لا مبالغة فيه[١] ، وإنّما يُعدَلُ عن هذا الأصل ليكون فيه إجمالٍ ثمَّ تفصيلٍ فيكون أوقعُ في النفس ؛ لأنَّ الآتي بعد الطلب أعزُّ من المنساق بلا طلب[٢] ، وقد ضعّف التستريّ هذا الوجه بحجة أنَّ ((التمييز يصحُّ لو كان نكرة ، كقوله تعالى:﴿ **كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا**﴾[٣]))[٤] ، وقد ذكر أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) علّة مجيء التمييز نكرة فقال : ((فإن قيلَ لِمَ وجبَ أن يكون التمييز نكرة ؟ قيل : لأنَّهُ يبين ما قبله ، كما أنَّ الحال يبيّن ما قبله ولمّا أشبه الحال وجب أن يكون نكرة))[٥] ، وأوضح الرضي (٦٨٦هـ) ذلك فقال : ((وأصل التمييز التنكير لمثل ما قلنا في الحال ، وهو أن المقصود رفع الإبهام ، وهو يحصل بالنكرة ، وهي أصلٌ ، فلو عُرِّف وقع التعريف ضائعاً))[٦] .

ومما يُرَدُّ على ما ذُكر مِن أنَّ (الإحصاءَ) يعرب تمييزاً محولاً من المفعول أنَّ هذا النوع من تمييز النسبة لم يقل به علماء النحو المتقدمون ، وإنما وقع حكمه عند متأخريهم ، وقد اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً[٧] .

ويمكن القول إنَّ استدلال التستريّ بسياق الخطبة في ترجيح كون (الإحصاء) مفعولاً به أولى بالقبول ، فقد انتصبت الألفاظ قبله وبعده على المفعولية ، فضلاً عن ذلك فإنَّ بعض الشرّاح ذهب إلى أنَّ أصلَ التركيب (أحاطكم بالإحصاء) فَعُدِل عن هذا الأصل لتقع حيطة الله تعالى على (الإحصاء) للتنبيه على أنَّ الإحصاء ليس عونا له تعالى في حال جرّه بالباء في التركيب (أحاطكم بالإحصاء) فيكون المعنى : أحاطكم مستعيناً

---

[١] ينظر : الكشاف ٤ / ٣٠٩ ، والتفسير الكبير ١٤ / ٤٨٥ ، والبحر المحيط ١٠ / ٤٢٥ .

[٢] ينظر : حاشية الصبان ٢ / ١٩٥ .

[٣] الكهف : ٩١

[٤] بهج الصباغة ١١ / ٣٠٩ .

[٥] أسرار العربية : ١٩٩ ، وينظر : شرح الكافية الشافية ١ / ٣٤٤ .

[٦] شرح الرضي على الكافية ٢ / ٧٢ ، وينظر : شرح التسهيل ٢ / ٣٧٩ ، وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٤٤ .

[٧] ينظر : شرح الرضي على الكافية ٢ / ٦٣ ، وارتشاف الضرب ٢ / ٣٧٧ ، وحاشية الصبان ١ /٢٨٦ ، وشرح التصريح على التوضيح ١/ ٦١٨ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٦٦ .

بالإحصاء أو بسببه أو بواسطته ؛ وإنما الإحصاء ضمن المخلوقات كالبشر ، وهو شيء مُلازم للبشر، فتكون الباء في (أحاط بكم الإحصاءَ) للإلصاق ، والإحصاء مفعول به، والمعنى خلق الإحصاء وألصقه بكم .

٢ . قال الإمام (عليه السلام) في زهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وصَغَّرَهَا ، وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَها ، وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَواهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً))[١] ، ذهب التستريّ إلى أنَّ (اختياراً) مفعول له لقوله (زوى) ، فيكون الفاعل الضمير المستتر العائد إلى الله سبحانه وتعالى الذي اختار لنبيه الآخرة على الدنيا ، فيكون معنى قول الإمام : ((إنَّ الله زواها عنه باختياره تعالى له الأصلح))[٢] ، أي : أنَّ التستري رجّحَ أن يكون المصدر المنصوب (اختياراً) مبيناً لسبب انزواء الدنيا عن النبي الأكرم ، فيكون الاختيار بمعنى التخيير و التفضيل على سائر الناس الذين انكبوا على الدنيا .

ولهذا ردَّ التستريّ رأي ابن أبي الحديد ومن تابعه ، ممن ذهب إلى أنَّ (اختياراً) منصوب على نزع الخافض من الفعل (عَلِمَ) وفاعله الضمير المستتر العائد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أي : بمعنى أنَّ الله زوى الدنيا عن النبي باختيار النبي لذلك رفعةً لشأنه وبياناً لاستعداده وتهيئة نفسه لتحمل أعباء الرسالة [٣] ، إذ قال ابن أبي الحديد : ((أي قبض الدنيا عنه باختيار ورضا من النبي بذلك وعلم بما فيه من رفعةٍ ومنزلةٍ في الآخرة))[٤] .

وردَّ التستريّ هذا الوجه الذي ينصب (اختياراً) على نزع الخافض ؛ لأنَّ تقدير خافض منزوع في هذا السياق يؤول إلى أنَّ الاختيار آلة أو واسطة لانزواء الدنيا عن النبي وهو غير موجّه ، ولا يجري مع سنن البشر في الدنيا والآخرة ، وقد وردَ في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يغتمُّ لما فاتهُ في الدنيا كالأولاد مثلاً في سورة الكوثر ، ورأى الخوئي وجهاً آخرَ لنصب (اختياراً) بأنَّهُ حالٌ مِن فاعل للفعل (زوى) ، أو من الضمير المتصل في حرف الجر(عَن) ؛ وذلك على أساس أنَّ المصدر مؤول بالمشتق

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٩ / ص٢٠٣ .

[٢] بهج الصباغة ٢ / ٣٣٦ .

[٣] ينظر : شرح ابن ميثم ٣ / ٧١ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٧ / ٣٧٣ .

[٤] شرح ابن أبي الحديد ٧ /٢٧١ .

، أي زواها عنه مختاراً بصيغة اسم الفاعل ، إذ قال : ((أي : مختارا بصيغة اسم الفاعل منه باختيار سبحانه وتعالى ، أو اختياراً منه صلى الله عليه وآله وسلّم ذلك لنفسه))[١] .

ويُفهم من هذا أنَّ الخوئي قَد وجّهَ الحال المصدر على ما قال به سيبويه ، في أنَّ المصدر يأتي حالاً على خلاف الأصل مؤولاً بالمشتق ؛ لتستقيم قاعدة أنَّ الحال وصفٌ مشتقٌ لصاحبه ، كقوله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**﴾[٢] ذلك أنَّ المصدر ليس فيه معنى فاعل الحدث فهو لا يصلح أن يكون حالاً ، لذا وجب تأويله بالمشتق ليتحمل الحدث وفاعل الحدث الذي يوصف به[٣] .

ويبدو أنَّ رأي التستريّ أولى بالقبول مناسبةً لمَا يُفهم من معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ الله قد اختار لنبيه الأكرم ؛ فزوى الدنيا عنه ليستعدَّ لحال النبوّة ، والقيام بأعباء الخلافة الإلهية ، ولا شكَّ أنَّ هذا المعنى يُشير ضمناً إلى استعداد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا الاختيار .

٣ . قال الإمام (عليه السلام) في خطبة له تسمى القاصعة ، وردَ فيها ذم إبليس والتحذير من الكِبَرِ : ((فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الحَمِيَّةِ ، وَفَخْرِ الجَاهِلِيَّةِ !، فإنّهُ مَلاقِحُ الشَّنآنِ ، ومَنَافِخُ الشَّيْطانِ ، الّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ المَاضِيَة ، والقُرُوْنَ الخَالِيَةَ ، حَتّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ، ومَهَاوِي ضَلالَتِهِ ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ ، سُلُسا فِي قِيَادِهِ ، أَمْرًا تَشَابَهَتِ القُلُوْبُ فِيْهِ وَتَتَابَعتْ القُرونُ عَلَيهِ))[٤]، لمّا وقف التستريّ على قوله عليه السلام (أمراً) أورد آراء مَن سبقهُ مِن الشّرّاح وتلمّس رأياً مخالفاً في توجيه إعراب(أمراً) ، إذ قال : ((الصواب كونه خبراً لكان المحذوفة ، وحذف كان مع اسمها وإبقاء خبرها بعد (إنْ) و (لو) كثير في كلام العرب ، كقوله تعالى : ﴿**تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾[٥] والتقدير : كان ذلك تنزيل العزيز

---

[١] منهاج البراعة ٧ / ٣٧٣ .

[٢] سورة الرعد : ١٥ .

[٣] ينظر : الكتاب ١ / ٧٧ ، والمقتضب ٣ / ٢٣٦ ، والأصول في النحو ١ / ١٦٣ ، وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٣٠ وشرح ابن عقيل ١ / ٦٣٢ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ / ص ٣٦٤ .

[٥] سورة (يس) : ٥ .

الرحيم))[١] ، قال الزمخشري :((وقُرئ (تنزيل) بالرفع على أنه خبر محذوف ، وبالنصب على أعني))[٢] ، وبذلك غَلَّطَ التستريّ ابن ميثم في توجيه نصب (أمراً) إذ قال ابن ميثم البحراني : ((أمراً منصوب بتقدير فعل مضمر، أي : اعتمدوا أمراً تشابهت قلوبهم فيه وتتابعت القرون الماضية منهم على اعتماده ، وهو الفخر ، ونفخ الشيطان ، الأعناق في جهالته وضلالته)) [٣] .

وكذلك غلّطَ الخوئي الذي ذهب إلى أنَّ (أمراً) منصوب على نزع الخافض متعلق بقوله (اعنقوا)، أي : أسرعوا إلى أمرٍ تشابهت القلوب فيه[٤] ، مُحتجاً بأن نزع الخافض يحتاج إلى قرينة دالّة هنا ، إذ قال التستريّ في إنكار رأي من سبقه : ((وكلٌّ بلا معنى فأنّهم لم يعتمدوا ولم يسرعوا إلى أمرٍ بذاك الوصف ، وإنما عملوا عملاً كان بذاك الوصف ، ونزع الخافض يحتاج إلى قرينة وليست هنا))[٥] .

ورأى التستريّ أنَّ قول الإمام (عليه السلام) الأصل فيه قوله تعالى : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[٦] .

ويمكن القول إنّ (أمراً) إنما نُصِبَ على التحذير بتقدير : أحذركم أمراً تشابهت قلوبكم فيه ، ولا يحتاج إلى تقدير محذوف في الأصل إلاَّ من باب الإيضاح ، ويعضّدهُ نصب (اللهَ اللهَ) في بدء كلامه (عليه السلام)، ف (أمراً) في حكم المُقَدَّم بعد (اللهَ اللهَ) أمراً تشابهت ، والمعنى : أُحذركم عذابَ اللهِ من أمرٍ تشابهتِ القلوبُ فيه .

٤ . قال الإمام (عليه السلام) في ذم أتباع إبليس ((فَأَقْحَمُوكُم وَلِجَاتِ الذُّلِّ ، وأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ القَتْلِ ، وَأَوْطَؤُوْكُمْ إِثْخَانَ الجِرَاحَةِ ، طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزًّا فِي حُلُوْقِكُمْ ، ودَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ ،

---

[١] بهج الصباغة ١٤ / ٢٦٤ .
[٢] الكشاف ٣ / ٦٤٢ .
[٣] شرح ابن ميثم ٤ / ٢٤٠ .
[٤] ينظر : منهاج البراعة ١١ / ٣٠٢ .
[٥] بهج الصباغة ١٤ / ٢٦٤ .
[٦] البقرة : ١١٨ .

وَقَصَدًا لِمَقَاتِلِكُمْ ، وسَوْقًا بِخَزَائِمِ[1] القَهْرِ إِلَى النَّارِ المُعَدّةِ لَكُمْ ...))[2] ، وقد عرض التستريّ في شرحه قول الإمام (عليه السلام) للتوجيهات النحوية التي ذكرها الشّرّاح قبله في توجيه نصب (إِثْخَانَ) ونصب المصادر الخمسة (طعناً ، وحزّاً ، ودَقّاً ، وقصداً وسوقاً) ، إذ قال ((إنّ التفريق بين الخمسة طعناً ، وحزّاً ، ودَقّاً ، وقصداً ، وسوقاً غلط ؛ لأنَّ الكل على سياق واحد ، وعلى ألأول أنَّهُ لا معنى لجعلها مفعولاً بها(لأَوْطَؤُوْكُمْ) ، فأي معنى أنْ يقال : أوطأكم طعناً في عيونكم ، وعلى الثاني أيضاً ذلك بجعل الثلاثة بدلاً مِن (إثخان) ، ثُمَّ أنّهُ لم يتعين كونها مفعولات مطلقات ، فيحتمل كونها تمييزا أو حالا على كون المصدر بمعنى اسم الفاعل أو مفعولاً لها لأوطؤوكم وأحلوكم وأقحموكم))[3]

نلحظ من كلام التستريّ توجيهات نحوية مختلفة ، هي :

ـ أنه أنكر أنْ يكون (إثخان) مفعولاً ثانياً لـ (أوطؤوكم) وأنَّ المفعول به الأول هو الضمير المتصل (الكاف في أوطؤوكم) على معنى : جعلوكم واطئين للإثخان ، وهو رأي ابن أبي الحديد ، إذ قال : ((الإثخان مصدر أثخنَ في القتل ، أي كثر منه وبالغ حتى كثفَ شأنهُ، وصار كالشيء الثخين ، ومعنى إيطاء الشيطان ببني آدم هو إلقاؤه إيّاهم فيه وتوريطهم ، وحمله لهم عليه))[4] ، وقد استدل التستريّ بأنّ هذا المعنى لايوائم معنى ذَمّهم ؛ ولذا قال في إنكار هذا المعنى الذي ذكره ابن أبي الحديد أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) أراد جعلوكم واطئين للإثخان :((إنَّه لا معنى للكلام ، فإذا كانوا واطئين للإثخان أي نقص في ذلك حتى يكون من قبيل فأقحموكم ولجات الذل ، وأحلّوكم ورطات القتل))[5] .

---

[1] الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة توضع في وترة أنف البعير فيشدُّ فيها الزمام ، ينظر :العين (خزم) ٤ / ٢١٢ ، وأساس البلاغة ١ / ١١٣ ، وتهذيب اللغة (خزم) ٢ / ٤٥٣ ، وشرح نهج البلاغة (صبحي الصالح) ٣٦٢ .

[2] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ /ص ٣٦٢ .

[3] بهج الصباغة ١٤ / ٢٥٦ .

[4] شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٤٣ .

[5] بهج الصباغة ١٤ / ٢٥٥ .

وذهب الراوندي إلى أنَّ (إثخان) منصوبة على نزع الخافض ، فأصل (أوطؤوكم إثخان الجراحة) ، أي : (أوطؤوكم بإثخان الجراحة ، أو لإثخان الجراحة) فنزع حرف الخفض الذي يفيد السبب ، ونصب المجرور توسعاً ، واحتجَّ لذلك بأن المعنى يتطلب حرف الجر السببي ؛ ذلك أنَّ وطأهم إنّما يتمُّ بإثخان الشيطان لهم الجراحة ، واستدل أيضا بدليل نقلي هو أنَّ (إثخان) قد روي مجرورا باللام أيضاً وهذا يعضّد أنه في رواية النصب إنما نُصِبَ بنزع الخافض[١] .

وذهب ابن أبي الحديد إلى أنَّ (إثخان) مفعول ثانٍ ، مُنكرا بذلك رأي الراوندي[٢] على حين لم يرتضِ الخوئي ما ذكره ابن أبي الحديد ، فقلب الإعراب بأنَّ جعل (إثخان) المفعول الأول ، والضمير المتصل (الكاف) المفعول الثاني ؛ لأنَّ المعنى يتطلب ذلك الإعراب ، إذ قال ((إثخان الجراحة بالنصب مفعول أول لأوطؤوكم كما في قولك (أعطيتُ درهَماً زَيداً)، أي : جعلوا إثخان الجراحة واطئاً لهم ، لا أنَّهُم جعلهم واطئين له على أنه مفعول ثان كما توهمه ابن أبي الحديد))[٣] .

ـ كما غَلَّطَ التستريّ رأي مَن فرّقَ بين نصب المصادر الخمسة (طعناً ، وحزّاً ، ودَقّاً ، وقصداً ، وسوقاً) ؛ لأنَّها كلها وردت في سياق واحد والمعنى واحد ، والذي ذهب من الشراح إلى معنى التفريق الخوئي الذي أعرب (طعناً ، وحزّاً ، ودَقّاً) بدلاً من (إثخان الجراحة) لقرب المعنى بينها ، فـ (طعن العيون ، وحزّ الحلوق ، ودقّ المناخر) بمعنى إثخان الجراحة قطعاً ، وأنَّ (قَصداً وسوقاً) منصوبان على المفعولية المطلقة ، وعاملهما محذوف بتقدير : قَصَدوا إليكم قصداً ، وساقوكم سوقاً[٤] ، ثم أنَّ التستريّ لم يرتضِ رأي الشارحينِ ابن أبي الحديد والبحراني في أنَّ هذه المصادر كلها منصوبة على المصدرية ، واكتفى بالقول ((لم يتعين كونها مفعولات مطلقة))[٥] ، ورأى التستريّ أنَّ في نصب هذه المصادر الخمسة ثلاثة توجيهات :

---

[١] ينظر : منهاج البراعة ٢ / ٢٤٠ .

[٢] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٤٣ .

[٣] شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٤٤ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ١١ / ٢٨٤

[٥] بهج الصباغة ١٤ / ٢٥٦ .

الأول : أنّها منصوبة على الحال المؤولة باسم الفاعل ، والتقدير : طاعنين في عيونكم ، وحازّينَ في حلوقكم ، وقاصدين لمقاتلكم ، وسائقكم بخزائم القهر ، وهو بهذا موافق لرأي النحويين في جواز مجيء الحال مصدَراً على خلاف الأصل، مؤولاً باسم مشتق ، إذ قال سيبويه : ((وذلك قولك قَتلتَهُ صَبْراً ، وَلَقَيتَهُ فُجاءَةً ومُفَاجَأةً ، وكلّمتهُ مُشَافَهَةً ، وليس كل مصدر إنْ كان في القياس مثل ما مضى من هذا الباب يوضع هذا الموضع ؛ لأنَّ المصدر ها هنا في موضع فاعِلٍ إذا كان حالاً))[1] ، والأصل في الحال أنْ يكون وصفاً ؛ لأنّهُ يتضمن الحدث وفاعل الحدث ، أمّا المصدر فيتضمن الحدث فقط من دون فاعله ؛ لذا لا يكون وصفاً لصاحبه .

الثاني : أنّها تعرب مفاعيل لأجلها ، وعواملها (وَطؤوكُم ، وأحَلُّوكُم ، وأقْحَمُوكُم) .

الثالث : أنَّها تعرب تمييزاً .

ونلحظ أنَّ التستريّ لم يفصل في ما جوّزه من آراء ومناسبتها لمعنى كلام الإمام (عليه السلام) ، ولعلَّ مردَّ ذلك إلى ما في كلامه من بُعد التأويل ، فقوله إنّ المصادر هنا منصوبة على الحال بتأويل اسم الفاعل فيه للدلالة على الوصف العارض ، وهو مما لا يناسب مقام كلام أمير المؤمنين هنا ، وأمّا نصب هذه المصادر على أنّها أعذار لما قبلها فيَردّهُ أنها نتائج للوطء لا أسباب له ، ويردُّ كون هذه المصادر تمييزات أنها ليست جامدة .

ويمكن القول إنَّ ما ذهب إليه ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني من أنَّ هذه المصادر منصوبة على المفعولية المطلقة ، وأنَّ أفعالها محذوفات وجوباً يدلُّ عليها السياق ، أي : فعلوا بكم هذه الأفعال ، فطعنوكم في عيونكم طعناً ، وحزّوا حلوقكم حزّاً وكذا بقية المصادر ، وهو الرأي الجدير بالقبول ؛ ذلك أنَّ المعنى يتطلب التوكيد هنا ، وهذه المصادر دالّة على التوكيد مطلقاً ، فضلاً عن أنَّ التعبير (أوطؤوكم إثخان الجراحة) تعبير مُجمل تفصيله هذه المصادر الخمسة التي تُبيّن أنواعاً في إثخان الجراحة توافق الإثخان معنىً وإعراباً .

---

[1] الكتاب ١ / ٣٧٠ ، وينظر : المقتضب ٣ / ٢٦٩ و ٤ / ٣١٢ ، والأصول في النحو ١ / ١٦٣ وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٣٠ .

٥ . قال الإمام (عليه السلام) يصف خلق آدم :((فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ ، وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ ، اخْتَارَ آدَمَ (عليه السلام) خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ ، وأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ ، وَأَرْغَدَ فِيْهَا أُكُلَهُ ، وَأَوْعَزَ إِلِيهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ ... فأقدمَ عَلى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوافَاةً لسَابِقِ عِلْمَهِ ، فأهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوبَةِ))[١] ، جوّز التستريّ في نصب (مُوافَاةً) احتمالين ، متابعاً في ذلك رأي من سبقه ، من دون أنْ يرجح أحدهما على الآخر ، وهذانِ الاحتمالانِ هما :

الأول : أنَّ (موافاةً) منصوب على المصدرية ، إذ قال : (((موافاةً) يمكن أن يكون مفعولاً مطلقاً لقوله (فأقْدمَ) ، والأصل : (إقداماً موافاةً)))[٢] ، ويبدو من قوله : والأصل : (إقداماً موافاةً) أنْ يقدّر (موافاة) صفةً نائبةً عن المفعول المطلق المحذوف ، أي: أقْدمَ على المعصية إقداماً موافاةً لسابق علم الله بأنَّ هذا الإقدام يكون من آدم(عليه السلام) .

والآخر : أنْ يكون مفعولا له ، إذ قال : ((موافاة يمكن أنْ يكون مفعولاً له من باب قوله تعالى :﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا** ﴾[٣] ، لسابق علمه بجعله في الأرض خليفة ، وعليه تكون عداوة موسى (عليه السلام) لآل فرعونَ بسبب التقاطهم إيّاه من البحر، وكذا تكون موافاة آدم (عليه السلام) للعلم الإلهي السابق واقعة بسبب إقدامه على ما نهاه الله عنه))[٤] ، قال الزمخشري : ((اللام في قوله تعالى (ليكون) هي لام (كي) التي معناها التعليل ، ولكن معنى التعليل وارد على طريق المجاز دون الحقيقة ؛ لأنّهُ لم يكن داعِيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ، ولكنَّ المحبة والتَّبنِّي ، غير أنَّ ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرتهُ شُبِّه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله وهو الإكرام))[٥] .

على حين ذهب بعض شرّاح النهج إلى أنَّ (موافاة) لا يجوز جعله مفعولاً له ؛ لأنَّ المفعول له يكون عذراً أو علّةً للفعل ، إذ قال سيبويه : ((هو عذرٌ لوقوع الأمر فانتصب

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٩٣ / ص ١٦٤ .

[٢] بهج الصباغة ١ / ٤٨٨ .

[٣] القصص : ٨ .

[٤] بهج الصباغة ١ / ٤٨٨ .

[٥] الكشاف ٣ / ٣٣٤ ، والبحر المحيط ٣ / ٧٥ ، وزاد المسير ٢ / ٣٨٩ .

لأنَّه موقوعٌ له ؛ ولأنَّه تفسيرٌ لما قبله لِمَ كَانَ ؟ وليس بصفةٍ لمَا قبله ولا منه))[١] ، ولا يجوز إقدام آدم على الشجرة لأجل الموافاة للعلم الإلهي السابق ، بل يجب أن ينصب (موافاةً) على المصدرية المَحضة ، كأنّه قال : فوافى بالمعصية موافاةً ، وطابقَ بها (سابق العلم) مطابقةً[٢] .

والمقابلة في القرآن الكريم ومتن النهج في هذا الموضوع مقبولة في فهم المعنى ، لكن التقاط موسى (عليه السلام) ليس هو السبب في العداوة ، بل هو مصداق لتحقق العداوة المسبقة ، كما إنّ إقدام آدم (عليه السلام) على الشجرة ليس سبباً للعلم الإلهي ، بل هو مصداق لتحققه ، فتكون (موافاةً) حالاً من الإقدام .

٦. قال الإمام (عليه السلام) يعِظُ النَّاس ، ويحذّرُ من الغفلة : ((وَاللّهِ الجِدُّ لاَ اللَّعِبُ ، وَالحَقُّ لاَ الكَذِبُ ، ومَا هُوَ إلاَّ المَوْتُ أسْمَعَ دَاعَيهِ ، وأَعْجَلَ حَادِيَهِ))[٣] ، وقد راعى التستري المعنى المُراد من قوله (عليه السلام) فذهب إلى أنَّ (أسْمعَ وأعْجَلَ) فيه فعلانِ ماضيانِ ، فاعلهما (داعيهِ وحاديهِ) ، ومفعولاهما مقدران ، والمعنى:((أسمعَ داعي الموتِ الناسَ وأعجلهم حاديه))[٤] ، ثُمَّ ردَّ التستريّ ما ذهب إليه الخوئي من أنَّ (أسمع وأعجل) فيهما احتمالان في الإعراب : الأول : أنّهما اسما تفضيل نُصِبَا على الحال ، وأُضيفا إلى مفعوليهما فيكون (داعيه وحاديه) مجرورين بإضافة (أفعل) إليهما من باب إضافة الصفة إلى مفعوله[٥] ، واحتجَّ التستريّ عليه بأنَّ معنى التفضيل هنا لا يصحُّ ، إذ قال : ((فهل يصحُّ أن يقال : الموتُ أسْمَعُ من داعِيه ، وأعجلُ مِن حاديه))[٦] ، والاحتمال الآخر

---

[١] الكتاب ١ / ٣٦٧ ، وينظر : الأصول في النحو ١ / ٢٠٦ والإيضاح العضدي : ١٧٠ ، واللُّمع في العربية : ٥٨ ، وشرح الرضي على الكافية ١ / ٤٨٧ .

[٢] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ٧ / ٤ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٧ / ٣٧ ، وشرح نهج البلاغة لـ (محمد عبده) ١ / ٣٥٦

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١٣٢/ ص ٢٣٩ .

[٤] بهج الصباغة ١١ / ١٤٧ .

[٥] منهاج البراعة ٨ / ٢٩٣ .

[٦] بهج الصباغة ١١ / ١٤٧ .

الذي ذكره الخوئي أنَّ ((أسمع وأعجل فعلان ماضيان ، فاعلاهما مقدران ، و(داعيه وحاديه) مفعولاهما ، والتقدير: أسمعَ الموتُ داعيَه وأعجلَ الموت حاديه))[١].

وقد ردَّ التستريّ هذا الاحتمال أيضاً ، واحتجَّ عليه بأنَّ هذا المعنى لا يصحُّ ، إذ قال: ((لا معنى أنْ يقال : اسمع الموت داعيه وأعجل حاديه))[٢] .

ورأي التستريّ وجيه بلحاظ سياق الخطبة ، فالإمام (عليه السلام) في مقام وعظ الناس بالموت ، وأنَّ داعيَهُ قد هَتَفَ بهم ، وأنَّ حاديَهُ قد عجّلَ بفناء أعمارهم ، و(داعي وحادي) هما الفاعلانِ على ذلك .

٧. قال الإمام (عليه السلام) يُحَذّر من الشيطان : ((والشَّيْطَانُ مُوكَّلٌ بِهِ ، يُزيِّنُ لَهُ المَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا ، وَيُمَنّيهِ التَّوْبَةَ لِيسُوِّفَهَا ،إذا هَجَمَتْ مَنِيَّتَهُ عَلَيهِ أغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا))[٣] ، لمّا وقف التستريّ على قوله (عليه السلام) (أغفلَ) أنكر ما قاله البحراني من أنَّ (أغْفَلَ) نُصِبَ على الحال ، التقدير : وهو شديد الغفلة عن عذاب الآخرة[٤]، واحتجَّ التستري بأن الحال في كلام أمير المؤمنين معرفة لأنّهُ مضاف إلى الأداة (ما) بعده ، والحال يجب أن يكون نكرة ، ورأى التستري أنَّ (أغفلَ) منصوب على أنه مفعول فيه ، إذ قال : ((والصواب كونهُ مفعولاً فيه ، فلا يحتاج إلى تقدير (في) ، وقالوا في قولهم : انتظرته صَلاة العَصرِ ، إنَّ (صلاة) مفعول فيه ، وفي قولهم : لا أُكلمكَ هبيرةَ بن قيس (هبيرةَ) مفعول فيه ، أي : مُدّة غيبة هبيرة))[٥] .

ولعلَّ معنى الحالية الذي قال به البحراني أرجح من معنى المفعول فيه الذي قال به التستري ، بمعنى : حتّى تهجم عليه منيته وهو شديد الغفلة عنها ، أمّا ما استدلَّ به التستري مِن أنَّ (أغفلَ) هنا ورد معرفة بالإضافة ، فلا يمنع ذلك من إعرابه حالاً ؛ لأنّ (أغفلَ) هنا قد أضيف إلى مبهم (ما) فاكتسب التخصيص لا التعريف ، فضلاً عن أنَّ

---

[١] منهاج البراعة / ٨ / ٢٩٣ .

[٢] بهج الصباغة ١١ / ١٤٧ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٦٤ / ص ١٠٢ .

[٤] ينظر : شرح ابن ميثم البحراني ٢ / ١٦٦

[٥] بهج الصباغة ١١ / ٩٧

الحال قد وردت معرفة في استعمالات العرب كقولهم : جاؤوا الجَمَّاءَ الغفيرَ ، أي : جميعاً ، وأرسلها العراك[١] ، أي : مُعْتَرَكةً ، وجاءَ وَحْدَهُ ، وكلمته فاهٍ إلى فِيَّ[٢] .

٨ . قال الإمام (عليه السلام) يصف الإنسان : ((ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رزِيَّةً ، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَةً ، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً ، وعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً لَمْ يُفِدْ))[٣] ، وقد رأى التستريّ أنَّ (يَسِيراً) نائبٌ عن المفعول المطلق ، إذ قال : ((والأقرب كونه مصدراً ، أي : عاش عيشاً يسيراً))[٤] ، وقوله (كونه مصدراً) تسامح منه في اللفظ وإلاّ فإنَّ (يَسِيراً) صفة نائبة عن المصدر كما هو معلوم في مباحث النحو[٥] .

على حين رجحَّ البحراني والخوئي أن يعرب (يسيراً) نائباً عن ظرف الزمان، إذ قال البحراني : ((يسيراً : صفة ظرف محذوف أقيمت مقامه ، أي : زماناً يسيراً))[٦] ، واستدلَّ واستدلَّ الخوئي لهذا الرأي بأنَّ السياق يقتضي معنى الظرفية بدلالة الفعل (عاش) ، إذ قال : ((يسيراً صفة للظرف المحذوف بقرينة المقام ، أي : زماناً يسيراً))[٧] .

ولا يستبعد الباحث أنْ يحتمل (يسيراً) المعنيين : النيابة عن المصدر ، والنيابة عن ظرف الزمان ، ويُعَضدهُ أنَّ مثله قد تقرر في شواهد كثيرة وردت في القرآن الكريم ، واحتمل معناها النيابتينِ ، كقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٨] بتقدير : ضحكاً قليلاً وبكاءً كثيراً ، أو زماناً قليلاً وزماناً كثيراً[٩] ، وقوله

---

[١] الشاهد لـ (لبيد بن أبي ربيعة) : ديوانه : ٨٦ ، والشاهد فيه وقوع (العِرَاكَ) وهو مصدر معرّف بـ (أل) حالاً ، وتمامه : فأرسَلَهَا العِرَاكَ وَلَمْ يَذُدْها وَلَمْ يُشْفِقْ على نَغَصِ الدِّخالِ

[٢] ينظر : الكتاب ١ / ٣٧٢ و ٣٧٥ ، والمقتضب ٣ / ٢٣٧، والأصول في النحو ١ / ١٦٤ ، وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٢٩ ، وهمع الهوامع ٣ / ١٨٥ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٨٣ / ص١٣٣ .

[٤] بهج الصباغة ١١ / ١١٩

[٥] ينظر : الكتاب : ١ / ٣١٦ ، المقتضب ٣ / ٢٣٧ ، اللمع في العربية : ٥٠ ، وشرح الكافية الشافية ١ / ٢٩٥ ، وأوضح المسالك ٢ / ١٣ ، وشرح الأشموني ٢ / ١٩٩ .

[٦] شرح ابن ميثم ٢ / ٢٦٣ .

[٧] منهاج البراعة ٦ / ٣٢ .

[٨] التوبة : ٨٢ .

[٩] ينظر : تفسير أبي السعود ٣ / ١٩٥ .

تعالى :﴿ **فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[١] ، أي : لا يفهمون إلاَّ فهماً قليلاً، وهو فطنتهم لأمور الدين دون أمور الآخرة ، أو زماناً قليلاً[٢]، وقوله تعالى تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾[٣] ، بتقدير : ذكراً كثيراً ، أو زماناً كثيراً[٤] ، ولعلّ من أهم أغراض الجمع بين هاتين النيابتين في تركيب واحد بعد حذف المصدر أو الظرف ، هو التوسع في المعنى ، ومقصده هنا الجمع بين دلالتين عن طريق الحذف والإتيان بنائب يحتمل المعنيين معاً ، أي : عيشاً يسيراً ، وزماناً كثيراً ، فيكون الحذف قد أدّى معنيين في آنٍ واحدٍ ، ما كانا ليؤديا لو ذُكِرَ المصدر أو ظرف الزمان .

٩. قال الإمام (عليه السلام) في ذم إبليس ، قال تعالى:﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[٥] قَذْفَاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمَاً بظنٍ غَيْرِ مُصِيبٍ))[٦] ، وقد استظهر التستري إعراب (قَذْفاً وَرَجْمَاً) على أنّهما مفعولان مطلقانِ من معنى الفعل لا من لفظه ، رادّاً بذلك على ابن أبي الحديد الذي أعربهما حالينِ ، إذ قال التستري : ((ما ذكره ابن أبي الحديد من كونهما حالاً بمعنى (قاذفاً وراجماً) أيضاً غير مُعَيَّن ، بل الأظهر كونهما على أصلهما ، ونصبهما على المفعول المطلق النوعي ، أي : قال قولاً قذفاً ورجماً))[٧] .

على حين ذهب ابن أبي الحديد إلى أنهما مصدران يعربان على الحالية خلافاً للأصل[٨] ؛ لأنَّ الأصل في الحال أنْ تكون وصفاً مشتقاً متضمناً معنى وفاعله ، أمّا المصدر فجامد لا يتضمن فاعل المعنى الذي يوصف به صاحب الحال ، والحال المصدر هنا يؤول بمشتق (اسم فاعل) بتقدير : (قال ذلك قاذفاً وراجماً) لتستقيم قاعدة

---

[١] الفتح : ١٥ .

[٢] ينظر : الكشاف ٤ / ٢٣٠ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٧٣ .

[٣] آل عمران : ٤١ .

[٤] ينظر : التبيان في إعراب القرآن ١ / ٢١٢ .

[٥] الحجر : ٣٩ .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ / ص٣٦٢ .

[٧] بهج الصباغة ١٤ / ٢٥٣ .

[٨] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٤٠ .

النحويين ، ومجيء المصدر حالاً مؤولاً بمشتق هو رأي سيبويه والجمهور ، وفي المسألة رأيان آخران للنحاة مفصَّلانِ في كتب النحو[١] .

وقد ردَّ التستريّ رأي ابن أبي الحديد هذا بأنَّ المصّدرينِ باقيانِ على أصلهما ، ولا داعي للتقدير والتأويل مع صحّة المعنى في الأصل ، وعدم التقدير والتأويل خيرٌ منهما .

وكان الراوندي قد ذهب إلى أنَّ (قذفاً ورجماً) انتصبا على أنهما مفعول له[٢] ، وهو رأي مردود ؛ ذلك أنَّ المفعول له علّة لوقوع الحدث وقول إبليس بالتزيين والإغواء لم يكن لأجل القذف والرجم ، ويبدو أنّ رأي ابن أبي الحديد في إعراب المصدرين حالين أوفق من الرأيين الآخرينِ ، ولكنَّ الباحث يخالفه في تأويل المصدر باسم الفاعل لتصحَّ قاعدة النحويين في وقوع الحال وصفاً مشتقاً ، فقد كثر وقوع الحال مصدراً في العربية حتّى قال ابن مالك في ذلك[٣] :

وَمَصْدَرٌ مُنَكَّرٌ حَالاً يَقَعْ بِكَثْرَةٍ ، كَبَغْتَةً زَيْدٌ طَلَعْ .

والأوْلى أنْ يصحَّ عند النحويين إعراب المصدر حالاً من دون تأويل تغليباً للسماع الصحيح على القياس ، وكذلك لأنَّ هذا التأويل لا يناسب المعنى المراد من استعمال المصدر حالاً ، فالفرق في الدلالة بين استعمال المصدر حالاً واستعمال اسم الفاعل واضح ، فدلالة المصدر على الثبات بوصفه حدثاً خالياً من الزمن يقوي المعنى ويثبته ويؤكده ولا يتحقق مثل ذلك في استعمال اسم الفاعل للحال ؛ لكونه ليس حدثاً خالصاً من جهة ، ولخضوعه للزمن من جهة أخرى ، فـ (قذفاً ورجماً) باقتصارهما على الحدث وخلوهما من الزمن فيهما الدلالة على ثبات معنى التزيين والإغواء من إبليس وعدم تقييد ذلك بزمن معيّن ، فضلاً عَنْ أنَّ القول بجواز وقوع الحال مصدراً يحفظ الفرق الدلالي للاستعمال النحوي ، وأنَّ القول بتأويل المصدر باسم الفاعل فيه إضاعة لهذه الفروق المستعملة في التراكيب النحوية .

---

[١] ينظر : الكتاب ١ / ٣٧٦ ، والمقتضب ٣ / ٢٦٨ و ٤ / ٣١٢ ، والأصول في النحو ١ / ١٦٣ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ١٨ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٦٣١ .

[٢] ينظر : منهاج البراعة ٢ / ٢٤١ . ٢٤٢ .

[٣] ينظر : الكتاب١ / ٣٨٤ ، وشرح الكافية الشافية ١ / ٣٣٠ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٦٣٢.

١٠ . قال الإمام (عليه السلام) في صفة المنافقين : ((أُوْصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ... قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ ، يَمْشُونَ الخَفَاءَ ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ))[١] وفي نصب (الخَفَاءَ والضَّرَاءَ) ذهب التستريّ إلى أنّهما منصوبان على أنهما مفعولانِ مطلقانِ ، من معنى الفعل لا من لفظه ، مستدلاّ بما ورد في هذا الباب من قولهم : (رجع القهقرى)[٢] ، إذ قال : ((يمشون الخفاءَ ، الظاهر أنّه مفعول مطلق كما في قولهم : (رجع القَهْقَرَى)))[٣] ، يعني أنَّ الخفاءَ لمّا كان نوعاً من المشي فإنَّ (مشى) عمل في الجنس والنوع[٤] ، وعلى هذا الذي تأوله التستريّ يكون (الخَفَاءَ والضَّراءَ) مفعولين مطلقينِ نوعيينِ ، وأنَّ العامل فيهما إمّا الفعل الظاهر كما ذهب إليه المازني وغيره[٥] ، وإمّا أنْ يكون عامله فعلاً مقدراً من لفظ المصدر ، أي : يمشون يخفونَ الخفاءَ ، ويدبّونَ يضرُّونَ الضَّرّاء ، كما قدروا : رجع يتَقهقَرُ القهقرى، وهو مذهب سيبويه[٦].

ولعلَّ هذا الوجه على هذا التأويل غير مرضيّ لعدم ظهور المناسبة المعنوية بين المشي والخفاء والدبيب والإضرار ، ولا موجب لقرنه بـ (رَجعَ القهقرى) لظهور هذه المناسبة في المعنى بين الفعل والمصدر .

وقد صوَّبَ بعض الشّرّاح وجه النصب على المصدرية بتأويل آخر ، وهو أنْ يكون الاسمانِ منصوبينِ على المصدر الذي بمعنى الفاعل ، وهو في الأصل صفة لمفعول مطلق محذوف ، والتقدير : يمشونَ المشي الخافي ، ويدبّون الدبيب المُضرَّ ، وعليه

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٤ / ص ٣٨٥ . ٣٨٦ .

[٢] القهقرى : الرجوع إلى خلفٍ ، فإذا قلت : رجعتُ القهقرى ، فكأنّكَ رجعت الرجوع الذي يُعرف بهذا الاسم : ينظر : صحاح اللغة (قهقر) ٢ /٩٩ ، ولسان العرب (قهقر) ٥ / ١٢١ ، وتاج العروس (قهقر) ١ / ٣٤٢٥ .

[٣] بهج الصباغة ١٢ /٤٢٤ .

[٤] ينظر : أسرار العربية : ١٧٦ ، وشرح الكافية الشافية ١ / ٢٩٤ ، وأوضح المسالك ٢ / ٢١٣

[٥] ينظر: الأصول في النحو ١ / ١٦٠ ، وشرح الرضي على الكافية ١ / ٣٠٣ ، وشرح الأشموني ٢ / ١٩٨ .

[٦] ينظر : الكتاب١/٣٥ ، والمقتضب ٣ / ٢٦٧ ، واللّمع في العربية : ٤٩ ، والمفصل في صنعة الإعراب : ٥٩ ، وأسرار العربية : ١٦٥.

يُعرَبُ (الخفاء والضّرّاء) صفتين نائبتين عن المفعول المطلق[١]، ومثله في ذلك ما قدَّرَهُ المبرّد في (رجع القهقرى) ، أنّهُ في الأصل صفة المصدر ، أي : رَجَعَ الرجوعَ القهقرى [٢].

ولعلَّ إعراب (الخَفَاءَ والضَّرّاءَ) حالينِ وإنْ وَرَدَا معرفتينِ أقرب إلى تفسير كلام الإمام (عليه السلام) ، وبيانه للحال المعهودة في المنافقين من كثرة مشيهم ودبيبهم على حال الخفاء والضرّاء ، وربما يُفاد هذا المعنى من تعريف الحال بأل شذوذاً عن نظائرهما في باب الحال[٣] ، لقصد المبالغة المفهومة من تعيين الحال وتعريفه وكأنَّهُ أمرٌ مقصودٌ للجميع .

المبحث الثاني

دلالة الرفع :

١ـ قال الإمام (عليه السلام) يحثُّ الناس على التقوى : ((وَبِالتَّقْوَى تُقْطعُ حُمَةُ الخَطَايَا ، وَبِاليَقِينِ تُدْرَكُ الغَايَةُ القُصْوَى ، عِبَادَ اللهِ ، اللهَ اللهَ فِي أعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وأَحَبِّها إلَيْكُم ؛ فإنَّ اللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الحَقِّ ، وأَنَارَ طُرُقَه . فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ!))[٤] لمّا

---

[١] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٢ / ٢٨٣ ، وحدائق الحقائق ٢ /٢٤٠ ، وأعلام نهج البلاغة ١٧٢ .

[٢] ينظر : المقتضب ٣ / ٢٦٧ ، واللمع في العربية ١ / ٤٩ و ١٦٠ ، وشرح الرضي على الكافية ١ /٣٠٠ ، وأوضح المسالك ٢ / ٢١٣.

[٣] ينظر : الأصول في النحو ١ / ١٦٤ ، والإيضاح العضدي : ١٧٢ ، وشرح عمدة الحافظ : ٤١٩ ، وارتشاف الضرب ٢ / ٣٣٣٧ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٧/ ص ٢٧٦ .

لمّا وقف التستريّ على إعراب (شَقْوَةٌ) ذهب إلى أنه مرفوع على أنّه مبتدأ خبره محذوف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، واستدلَّ على ذلك بقوله تعالى:﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[١] ، (فصبرٌ) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفاً أي : فأمري صبرٌ جَمِيلٌ ، أو فصبرٌ جميل أمثلُ ، والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق[٢] .

ثمَّ أنكر التستري رأي الخوئي[٣] الذي جَوّزَ رفع (شِقْوَةٌ وسَعَادَةٌ) على أنَّهما فاعل لفعل محذوف ، واستدلَّ التستريّ بأنَّ الفعل لا يقدر إلاَّ بعد (إنْ وإذا) الشرطيتين ، كقوله تعالى :﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٤] قال الزمخشري :(((أحَدٌ) مرتفع بفعل شرطٍ مضمرٍ يفسّره الظاهر ، وتقديره : وإنْ استجارك أحدٌ استجارك ، ولا يرتفع بالابتداء ، لأنَّ (إنْ) من عوامل الفعل لا تدخل على غيره ، والمعنى وإنْ جاءَكَ أحدٌ من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهدَ بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمعَ ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن))[٥] .

وهو مذهب البصريين في إضمار الفعل بعد أداة الشرط[٦] ، ونحوه : ﴿ **وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ**﴾[٧] ، والتقدير : (وإذا انتثرت الكواكب انتثرت) ، وخلص التستريّ إلى أنَّ أنَّ معنى الكلام ((بعد إيضاح السبيل وإبانة الطريق ، فمن سلك السبيل يكون له السعادة الدائمة ، ومن تنكّب عن الطريق يكن له الشقوة اللازمة ، قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ**

---

[١] يوسف : ١٨

[٢] ينظر : معاني القرآن (الزجاج) ٣ / ٧٨ ، وإعراب القرآن (النحاس) ٢ / ٣٠٨ ، والكشاف ٢ / ٤٥٢ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٧ .

[٣] ينظر : منهاج البراعة ٩ / ٣١٥ .

[٤] التوبة : ٦

[٥] الكشاف ٢ / ٢٨٠ ، وينظر : التبيان في تفسير القرآن (الطوسي) ٥ / ١٦٨ ، والتفسير الكبير ١ / ٥٠ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٤٨٨ .

[٦] ينظر : المقتضب ٢ / ٧٤ و ٧٩ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢ /٦١٥ . ٦٢٠ .

[٧] الانفطار : ٢ .

نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾[١] والشقي الذي وجبت له النار لإساءته ، والسعيد الذي وجبت له الجنَّة لإحسانه))[٢] .

ولا يُحْمَل ردّ التستريّ على الخوئي على إطلاقه ؛ لأنَّ حذف الفعل مع (إنْ وإذا) الشرطيتين إنّما يكون في حال الحذف الواجب ، والخوئي لم يحدد هنا أنَّ الحذفَ حذفٌ واجبٌ ، إذ يجوز حذف الفعل إذا دلَّ عليه دليل ، والسياق هنا دليل بيّن على الفعل المحذوف .

٢. قال الإمام (عليه السلام) في فضل الأنبياء ((وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنَزَلٍ ، أَوْ حُجَّةٍ لاَزِمَةٍ ... وَلاَ كَثْرَةُ المُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَن بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ)) [٣] ، ورأى التستريّ أنَّ الفاعل في (سُمِّيَ) و(عَرَّفَهُ) هو الله تعالى تعالى الذي سمّى الأنبياء اللاحقين لسابقيهم ، وعرَّف اللاحقين بأسلافهم ؛ ولذا نسب التستري الوهم إلى ابن أبي الحديد الذي عدَّ (مَن) في قوله (عليه السلام) :(عَرّفَهُ مَنْ قبله) فاعلاً للفعل (عرّفه) ، إذ قال التستريّ : ((إنَّ ابن أبي الحديد توهّمَ أن الفاعل في قوله (عليه السلام) (عرّفه مَن قبله) (مَن) ، مع أنَّ السابق إمّا عرّفَ مَن قبله ، وإمّا نصَّ على مَن بعده))[٤] ، ويتضح من نصّه أنّه استدلَّ بوحدة السياق المتصل ، فقدَّر الفاعل لفظ الجلالة للفعلين (سُمِّيَ[٥] وعرَّفهُ) رادّاً بذلك على ابن أبي الحديد الذي فصل بين سياق الجملتين ، إذ قدّر فاعل الفعل (سُمِّيَ) ضمير الله تعالى ، على حين عَدَّ (مَن) الموصولة فاعلة للفعل (عَرَّفهُ) ، مستدلاً على المغايرة بين الفاعلينِ بأنَّ الإمام (عليه السلام) لو أراد

---

[١] هود : ١٠٥ .

[٢] بهج الصباغة ١٢ / ١٢٦ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١ / ص٢٣ .

[٤] بهج الصباغة ٢ / ٣١ .

[٥] سُمِّيَ : فعل مبني للمجهول والمقدَّر له نائب فاعل ، وقول التستري : إنّ الفاعل في عرّفه ضمير الله تعالى كما في (سُمِّيَ) تسامح منه في اللفظ ، لأنّه يريد بكلامه الإشارة إلى أنَّ مَن قام بالفعل واحد وهو الله عزَّ وجل .

المطابقة لقال : (أو غابرٍ عُرِّفَ مَن قَبْلَهُ) ، ولكنَّه (عليه السلام) لم يقل ذلك ، وإنّما قال : (عَرَّفَهُ مَن قَبله) فدلَّ ذلك على عدم المطابقة بين الفاعلِينِ[1] .

ولا فارق كبير بين المعنيين اللذين فسَّر بهما الشارحان قول الإمام (عليه السلام) ، فسواء قُدِّرَ الفاعل ضمير الله تعالى للفعلين ، أو قُدِّرَ لفظ الجلالة للأول ، وظهر الفاعل في الثاني ، فالمعنى واحد ، ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي للفعلين وإنّما تعليم الأنبياء وتعريفهم بلاحقيهم وسابقيهم يكون منه عزَّ وجلَّ .

المبحث الثالث

دلالة التعاقب بين حركات الإعراب :

١ـ قال الإمام (عليه السلام) عند تلاوتهِ قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ** ﴾[2] : ((وَحَقّاً أَقُولُ ! مَا الدُّنْيَا غَرَّتكَ ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ ، وَلقَد كَاشَفَتْكَ العِظَاتِ

[1] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ١ / ٣٨ .

[2] الانفطار : ٦ .

، وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ))[1] ، ورجّحَ التستريّ وجه النصب في (العِظَاتِ) وخرّجَهُ على أنَّهُ منصوب بنزع الخافض ، وفاعل كاشفتك هو (الدُّنيا) وقد حُذِفت لأنّها مذكورة في السياق ؛ فلا موجب لتكرارها ، والتقدير: كاشفتك الدنيا بالعظات ، واستدلَّ التستري على ذلك بوحدة السياق ، إذ ورد الفعل آذنتك محذوف الفاعل ،وفاعله الدّنيا ، إذ قال :((العظات : الوجه النصب ؛ لأنَّ قوله بعدُ (وآذنتك) أي : الدُّنيا ، يدلُّ على أنَّ المراد هنا أيضاً أن الدنيا كاشفة بمواعظها الحالية التي فوق المقالية))[2] ، وأمّا وجه الرفع في (العظات) على أنَّها فاعل للفعل (كاشفتك) ، فقد ذهب إليه الراوندي وابن أبي الحديد والخوئي ، فضلاً عن تجويزهم نصب (العظات) بنزع الخافض [3] .

ويمكن القول إنَّ الوجهينِ جائزانِ بلا مرجح لأحدهما ، فمن جعل الدنيا فاعلة للمكاشفة أراد زيادة التفصيل ، فالدنيا بعامّة أحوالها دار مكاشفة لاغترار الإنسان بها ، وهي تستعين بالعِظَاتِ لكشف ذلك ، ومن أراد أنَّ (العظاتِ) هي فاعل المكاشفة ، فلاشكَّ في حجة هذا المعنى ، وأنَّ (العظاتِ) هي فاعل (آذنتك) أيضاً ، خلافاً للتستريّ ذلك أنَّ العظاتِ هي السبب الرئيس للمكاشفة ، وبيان اغترار الإنسان بالدنيا .

٢ـ قال الإمام (عليه السلام) في فضل الإسلام : ((وإنَّكُمْ إنْ لَجَأتُمْ إلى غَيْرِهِ حَارَبكُمْ أهلُ الكُفرِ ، ثُمَّ لاَ جَبْرَائِيلُ ولاَ مِيكَائِيلُ ولا مُهَاجِرُونَ ولاَ أنْصَارٌ يَنْصرُوَنَكُم إلاّ المُقَارَعَةَ بالسَّيفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُم))[4] ، وفي بيان وجهي الإعراب (الرفع والنصب) في المعطوفات (لاَ جَبْرَائِيلُ ولاَ مِيكَائِيلُ ولا مُهَاجِرُونَ ولاَ أنْصَارٌ) ، قال التستريّ : ((قوله (عليه السلام) : (ولا مُهَاجِرُونَ ولاَ أنْصَارٌ بِلا (لام) دون أنْ يقول (ولا المهاجرون ولا الأنصار) دليلٌ على إرادته العموم بجبرائيل وميكائيل كقولهم (ولا أَبَا حَسَنٍ لها) دون أنْ يقولوا : ولا أبا الحسن

---

[1] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٣ / ص ٤٣٥ .

[2] بهج الصباغة ١٢ / ١٤٣ .

[3] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٢ / ٣٧٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١١/ ٢٤٠ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١٤ / ٢٧٢ .

[4] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٠ / ص ٣٧٦ .

، ولا فرق بين رواية الرفع والنصب في المعنى مع تكرار (لا) ، مع أنَّ الرواية المشهورة بالرفع كما في شرح ابن ميثم الذي روايته بخط المصنف))[1] .

ويُفهَم من قوله هذا أنّه رجّحَ النصب على الرفع خلافاً للرواية المشهورة التي نقلها ابن ميثم البحراني عن النسخة الخطية التي بخط الرضي نفسه ، وإنّما رجّح التستري النصب على الرواية المشهورة ؛ لأنّهُ راعى جانب المعنى ، ففهم من كلام الإمام (عليه السلام) أنَّهُ أراد العموم والسعة بجبرائيل وميكائيل لا التخصيص والتعريف واستدلَّ على ذلك بوحدة السياق الذي انتظمت فيه هذه المعطوفات الأربعة ؛ ولمّا كان (المهاجرون والأنصار) منكرين في سياق الخطبة دلَّ ذلك ؛ لأنَّ معنى العموم ظاهر مع نصب هذه الأسماء ؛ لأنَّها بمنزلة الأجناس لا الأفراد .

أمّا تخريج نصب هذه الأسماء ، فهو محمول على أنَّها أسماء لـ (لا النافية للجنس) وإنْ كانت أسماء معرفة ؛ لأنّه قد استقرَّ في باب (لا) هذه أنَّ العَلَم المشهور قد يقع اسماً لـ (لا النافية للجنس) بعد تأويله بنكرة ، فينتصب وتُنزَعُ منه لام التعريف كقولهم : ولا أبا حسنٍ ، دون أن يقولوا : ولا أبا الحسن ، ومن أمثلة النحاة لهذه المسألة أيضاً قول الراجز :

لاَ هَيْثَمَ اللَّيلةَ للمطيِّ[2]

وقد خرّج النحاة نحو (قضيةٌ ولا أبا حَسَنٍ لها) و (لا هيثمَ الليلةَ) على تأويلين :

الأول : أنّ الاسم المعرفة مؤول بنكرة بتقدير مضاف هو (مثل) أي : ولا مِثْلَ أبي حسنٍ لها ، ولا مثلَ هيثم الليلةَ ، فلا يتعرّف المضاف ؛ لأنَّ لفظ (مثل) موغل في الإبهام لا يتعرّف بالإضافة[3].

والثاني : أنّهُ مؤول بنكرة ؛ لأنَّه عَلَمٌ قد اشتهر بتلك الخِلّة ، فكأنه اسم جنس موضوع لإفادتها ، والتقدير : في لا أبا حسنٍ لها ، لا فيصلَ لها ، فصار اسمه كالجنس المفيد لمعنى الفصل والقطع كلفظ الفيصل وعلى هذا يمكن وصفه بالمنكر ، وكذلك في :

---

[1] بهج الصباغة ٤ / ٢٩٠ .

[2] رجز غير منسوب في الكتاب ٢ / ٢٩٦ ، والمقتضب ٤ / ٣٦٢ ، والأصول في النحو ١ / ٣٨٢ ، وشرح المفصل ٢ / ١٠٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ١٦٦ .

[3] ينظر : أسرار العربية : ٢٥٠ .

لا هيثمَ اللَّيْلَةَ ، أي : لا مُجْرِي ولا سائق كَسوقِ هيثَم ، هذا وقالوا : لكلِّ فرعون موسى ، أي : لكلِّ جَبَّارٍ قَهَّار فيصرف فرعون وموسى لتنكيرهما[١].

أمّا وجه الرفع الذي ورد في نسخة الشريف الرضي فرجّحه البحراني على النصب ، ورفع هذه الأسماء عنده على أنه مبتدأ خبره محذوف و(لا) مهملة ، كما أهملت في أحد أوجه إعراب : (لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ) [٢]، والمعنى عنده أنَّ((عَدّهم نصرة الملائكة والمهاجرين والأنصار لهم أمّا لأنَّ النّصرةَ كانت مخصوصة بوجود الرسول والاجتماع على طاعته وقد زالت بفقده ؛ أو لأنّها مشروطة بالاجتماع على الدّين والذب عنه ، وإذا التجأوا إلى غيره وحاربهم الكفَّار لم يكن لهم ناصر من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا من المهاجرين والأنصار لفقدهم))[٣].

ويمكن القول إنَّ وجهَ الرفعِ أوْلى بالاعتماد ؛ إذ إنَّ رفع الأسماء الأربعة دليلٌ على تخصيص مدلولها بالملكينِ المعروفينِ (جبرائيل وميكائيل) والفريقين المعروفينِ بنصرتهما الله ورسوله (المهاجرين والأنصار) ، وفي ذلك كمال التنبيه على فضيلة هذه الأسماء المذكورة ، فيكون كلامه (عليه السلام) في مدحهم وإظهار فضيلتهم ، وعونهم لأهل الدين على وفق ما مدحهم به القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه ، ويعضّد وجه الرفع أنَّ الرواية المكتوبة بخط الشريف الرضي قد وردت بالرفع والرواية الموثوقة أولى .

٣ . قال الإمام (عليه السلام) يصف فضل القرآن: ((كِتَابَ رَبّكُم فِيكُمْ مُبَيِّنَاً حَلاَلَهُ وَحَرَامَهُ ... بَيْنَ مَأخوذٍ مِيثَاقُ عِلمِهِ ، ومُوَسَّعٍ عَلى العِبَادِ فِي جَهْلِهِ ... وبينَ واجِبٍ بِوقْتِهِ ، وزَائِلٍ فِي مُسْتقبلِهِ . وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ ، مِن كَبِيرٍ أوْعَدَ عَلَيهِ نِيرانَهُ، أو صَغِيرٍ أرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ...))[٤] ، لمّا وقف التستريّ على قوله (عليه السلام) (مباينٌ) رجّحَ رفع (مُبَاين) على أنَّ الواو استئناف و(مباين) خبر لمبتدأ محذوف يعود على القرآن، وهذا اختيار ابن أبي

---

[١] ينظر : الكتاب ٢ / ٣٩٦ ، والمقتضب ٤ / ٣٦٢ ، والأصول في النحو ١ / ٣٨٢ ، وشرح المفصل ٢ / ١٠٢ ، وشرح التسهيل ١ / ١٧٤ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ١٦٦ ، وارتشاف الضرب ٣ /١٣٠٦. ١٣٠٨ .

[٢] ينظر : ارتشاف الضرب ٣ / ١٣١١ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٣٩٩ .

[٣] شرح ابن ميثم ٤ / ٢٨٠ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١ / ص ٢٤ .

الحديد ؛ ولذا انتقد ما ذهب إليه ابن ميثم البحراني والخوئي في جواز جر مباين في قوله (مباين بين محارمه) عطفاً على المجرورات قبله ، واختار رأي ابن أبي الحديد في وجوب رفع (مباين) ومنع جرّه ، إذ قال : ((أمّا ما قاله ابن ميثم ففيه تكلّف ولا تلطف ، وأمّا ما قاله الخوئي فخبط ؛ لأنَّ ما قاله صحيح جواز إضافة (بينَ إلى محارمه) من دون عطف عليه ، وأمّا (مباين) فيجب إمّا رفعه كما قال ابن أبي الحديد ، وإمّا تقدير (بين) له حتّى يصحَّ جرّهُ كما قال ابن ميثم ، وحيث ما قاله ابن ميثم تكلّف لا يناسب كلامه (عليه السلام) يتعيّن رفعه))[1] . ولبيان ما أورده التستري في نَصِّهِ من نقد وترجيح أفصّلُ المسألةَ على النحو الآتي :

أ . ذهب ابن أبي الحديد إلى وجوب رفع (مُبَايَنٌ) على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير (هو مباينٌ) ، ومنع إعراب الجرِّ لأنَّهُ مقطوع عمّا قبله في المعنى ، واستدل ابن أبي الحديد بأنَّ الأحكام التي سبقت ذكر (مباين بين محارمه) تستدعي الشيء وضده كقوله (عليه السلام) : ((بينَ مأخوذٍ ميثاقُ علمهِ ، ومُوَسَّعٍ على العبادِ في جَهْلِهِ)) ، أو تستدعي الشيء ونقيضه كقوله (عليه السلام) : ((وبين واجبٍ بوقتهِ ، وزائلٍ في مستقبلِه)) أمّا (مباينٌ بين محارمه) فلا يستدعي ضداً له ولا نقيضاً ، إذ إنَّ القرآن غير مقسوم قسمين مباين بين محارمه وغير مباين ، وهذا القول لا يجوز[2] ، وإلى هذا رَكَنَ التستري في تفسير كلامه (عليه السلام) .

ب . أعرب البحراني (مُبَاين) بالجر معطوفاً على المجرورات قبله ، ورأى أنَّ في جرّه تلّطفاً ، ذلك أنَّ ((المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمّى بالحرمة ، صار المعنى : بين حكمٍ مباينٍ وبين محالّه وهو الحرمة))[3] .

وإنّما قَدَّرَ (بين حكم) قبل (مُباين) ليصحَّ جرّه ، وأوّلَ (محالّه) بالحرمة ، ليقرَّ التعدد في معنى (مباين) على سبيل الحكم وضده ، فَنَخْلُصُ بهذا التوجيه مما منعه ابن أبي الحديد من عدم صحة القول بأنَّ القرآن متسق على مباين بين حرمته وغير مباين ، وبذا

---

[1] بهج الصباغة ١٣ / ١٢ .

[2] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١ / ١٢٠ .

[3] شرح ابن ميثم ١ / ٢٧٧ .

صحَّ عند البحراني وجه جر (مباين) عطفاً على المجرورات قبله ليتصل بمعنى ما سبقه ، وهذا الذي ذهب إليه البحراني رآه التستري تكلّفاً لا تلطفاً ؛ لأنّه لا يناسب قول الإمام (عليه السلام) ؛ لذا وجب الرفع ، وهو يريد أنْ لا داعيَ لتقدير عامل جر لـ (مُباين) مع إمكان إعرابه رفعاً من غير تقدير ولا تكلف وأنَّ اللّطافةَ التي استنبطها البحراني لا تستقيم ، فالمعنى ظاهر مع الرفع .

جـ . تابع الخوئي رأي البحراني ، فأعرب (مُباين) بالجر عطفاً على ما سبقه بتقدير : (بين مُباينٍ وبين محارمه) ، ولم يقدّر(حكم) مع مُباين ، بل اكتفى بتقدير (بين) محذوفة وحدها ، ووصفَ رأي ابن أبي الحديد بالوهم بأنَّ ما قيلَ (مُباين) يستدعي الشيء وضده أو الشيء ونقيضه ، وهذا لا ضدَّ له ولا نقيض ؛ لأنَّ القرآن غير مقسوم على مُباين وغير مُباين ، ((مستدلاً بأنَّ القرآن الكريم ليس منحصراً في المُباين ، بل بعضه جدلٌ ، وبعضه قصصٌ ، وبعضه مثلٌ ، وبعضه أحكامٌ ، وبعضه ترغيبٌ ، وبعضه ترهيبٌ ، كما أنَّ بعضه مُباين بين محارمه إلى غير ذلك ممّا اشتمل عليه))[1] ، وأثبتَ أيضاً أنَّ (بين) المقدّرة هنا مضافة إلى شيء يقوم مقام شيئين كما في قوله تعالى :﴿ **يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ**﴾[2] ، وفي قول امرئ القيس : (بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ)[3] ، فيصحّ هنا تقدير (بينَ) المحذوفة قبل (مُباين) ؛ لأنَّه شيءٌ يقومُ مقام شيئين[4] .

وهذا التوجيه ردّهُ التستريّ ووصفه بالخبط ، ونقده بما نقد به رأي البحراني ، إذ قال : ((أمّا مُباين فيجب إمّا رفعهُ كما قال ابن أبي الحديد ، وإمّا تقدير (بين) له حتى يصحُّ

---

(١) منهاج البراعة (الخوئي) ٢ / ١٧٧ .

(٢) البقرة : ٦٨ .

(٣) جزء من مطلع معلقته ، ديوانه : ٢١ ، وفيه إضافة (بين) إلى متعاطفينِ بالفاء ، والأصل أن يُقال : زيدٌ بينَ خالدٍ وسعيدٍ، بالواو ، لا بالفاء ، ينظر : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ١٦ . ١٧ ، وشرح القصائد التسع المشهورات : ٩٩ .

(٤) منهاج البراعة (الخوئي) ٢ / ١٧٧ .

جرّه كما قال البحراني ، وحيث ما قاله البحراني تكلّف لا يناسب كلامه (عليه السلام) فيتعيّن رفعه))[١] .

ف (بينَ) التي يصحُّ تقديرها قبل (مُباين) هي (بينَ) التي قدَّرها البحراني ليعلمَ إعراب الجرِّ في (مُباين) ، ويصحُّ ربط الكلام بالمجرورات قبله ،لا (بينَ) التي وَسَّعَ الخوئي معناها فأضافها إلى شيء يقوم مقام شيئين وهو مُباين ، فهذا عند التستري خبطٌ في فهم كلامه (عليه السلام) ، لا سيّما أنَّ الرفع ظاهر المعنى ، وهو ما يراه الباحث عينه ؛ لأنَّ وجهَ الرفع وجهٌ لا تكلّفَ فيه من حيث الإعراب ، ولا من حيث المعنى فلا داعي لتخريجه على الجرِّ ، وتأويل محذوفات مقدّرة لتحقيق صلة المعنى مع ما سبقه .

٤ . قال الإمام (عليه السلام) في التنبيه من الغفلة : ((وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الحِجَابُ ! ، وَلَقَدْ بُصِّرتُمْ إِنْ أَبْصَرتُمْ وأَسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ))[٢] ، وفي إعراب (قَريب) رأى التستريّ أنَّهُ مرفوع على أنَّهُ خبرٌ ، مبتدأه جملة فعلية (مَا يُطْرَحُ الحِجَابُ) ، بتقدير : (طرحُ الحجابِ قريبٌ) ، إذ قال : ((رُفِعَ (قريب) لكونه خبراً لقوله (عليه السلام) (مَا يُطْرَحُ الحِجَابُ) بمعنى طرحه))[٣] ، وهو متابع في ذلك لأغلب الشّرّاح[٤].

ولكنّه انفرد عنهم بتجويزه وجهاً آخرَ في إعراب (قريب) هو أنْ يكون منصوباً على أنَّهُ صفة نائبة عن المفعول المطلق ، بتقدير : (ويطرح الحجاب قريباً ما) ف (قريباً) صفة نائبة عن المفعول المطلق ، أي : (طرحاً قريباً) و (ما) على هذا التأويل زائدة لتوكيد القرب ، ويبدو التكلّف ظاهراً في وجه النصب الذي ذكره التستريّ لما يأتي :

أ . أنَّ الجملة في تقدير (ويطرح الحجاب قريباً) تفقد مَزيّة تقديم الخبر على المبتدأ ، وهو معنى مقصود ؛ لما فيه من العناية بالقرب على معنى : أنَّ الموت الذي تستبعدونه قريبٌ جداً منكم ، ولما فيه من معنى التهديد برفع عذر تقصيرهم عن الطاعة ببعد الأمل .

---

[١] بهج الصباغة : ١٣ / ١٢ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٠ / ص٥٠ .

[٣] بهج الصباغة ١١ / ٨٧ .

[٤] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٩٨ ، وحدائق الحقائق ١ / ٢١٧ ، وشرح ابن ميثم ١ / ٣٢٨ ، و منهاج البراعة (الخوئي) ٣ / ٢٩٢ ، وفي ظلال نهج البلاغة ١ / ١٥٦ .

ب ـ أنَّهُ على هذا التقدير تتحوّل الجملة من الاسمية إلى الفعلية ، فتفقد الاسمية بذلك دلالتها على الثبات والتوكيد ، وهو مطلبٌ مرادٌ هنا .

٥ . قال الإمام (عليه السلام) في توحيد البارئ وحدوث الأجسام كلها : ((لا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، ولا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وإنّمَا تَحُدُّ الأدواتُ أنْفُسَها ، وتُشِيْرُ الآلات إلى نَظَائِرِها ، مَنَعَتْها (مُنْذُ) القِدْمَةَ ، وحَمَتْها (قَدُ) الأزليّة ، وجَنَّبَتْها (لَوْلاَ) التَّكْمِلَةَ))[١]، ولمّا عرض التستريّ إلى قوله (عليه السلام) في إعراب (القِدْمَةَ ، والأزليَّة ، والتَّكْمِلةَ) ذهب مذهباً مخالفاً ، فقد عدَّ هذه الأسماء منصوبة على نزع الخافض ، مستدركاً على أصحاب المعاجم أنَّ الأفعال الثلاثة (مَنَعَ ، وَحَمَى ، وَجَنَّبَ) تتعدى إلى مفعولين ، الأول منهما مفعول صريح ، وتتعدى إلى الثاني بالواسطة (عَن) أو (مِن) وليست هذه التعدية في المعجمات ؛ ولذا أعرب (مُنْذُ ، وَقَدْ ، ولَوْلاَ) الواردة في قول الإمام (عليه السلام) بدل بعض من كل من الضمائر المتصلة في (مَنَعَتْها ، حَمَتْهَا ، جَنَّبَتْها) ودليله على ذلك أن الأدوات والآلات المذكورة سابقاً هي نفسها (مُنْذُ ، وَقَدْ ، ولَوْلاَ) وغير ذلك ، فيصحُّ القول بإبدال هذه الأدوات من الضمائر المتصلة بالأفعال ؛ لأنَّ الأدوات والآلات عبارة عَنْ مُنْذُ ، وَقَدْ ، ولَوْلاَ[٢] .

إذْ قال التستريّ : ((إنَّ الأفعال الثلاثة (مَنَعَتْها ، حَمَتْهَا ، جَنَّبَتْها) ليس لها إلاّ مفعول واحد ، وإنما تتعدى إلى مفعول آخر بواسطة (من) و(عن) وليست في الكلام ، وأنَّ(مُنْذُ ، وَقَدْ ، ولَوْلاَ) بدل بعض من الضمائر في (مَنَعَتْها ، حَمَتْهَا ، جَنَّبَتْها)))[٣] ومع اعتماد التستري هذا الوجه في الإعراب ، لكنه لم يستبعد أن تعرب(مُنْذُ ، وَقَدْ ، ولَوْلاَ) فواعل للأفعال الثلاثة ، كما ذهب إليه جَمْعٌ من الشّرّاح[٤]، على أن يستقرَّ عنده إعراب (القدمة ، والأزليّة ، والتكملة) مفعولات منصوبة على نزع الخافض ، وليست مفعولات به

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٦ / ص ٣٤٣ .

[٢] ينظر: بهج الصباغة ١ /٢٩٦ . ٢٩٧ .

[٣] بهج الصباغة ١ / ٢٩٨ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٢ / ٤٣١ ، وحدائق الحقائق ٢ / ٢٨٤ ، و شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ٧٧ ، و شرح ابن ميثم ٤ / ١٥٨ ، و أعلام نهج البلاغة ١ / ٢٠١ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١١ / ٦٠ ، وشرح نهج البلاغة لـ (محمد عبده) ١ / ٣٧٨ .

ثوانٍ ، كما صرّحَ به بعض الشرّاح ، واستدلَّ التستري لإعراب الأدوات (مُنْذُ ، وَقَدْ ، ولَوْلاَ) فواعل بإيراده تتمة خطبة الإمام (عليه السلام) من كتاب تحف العقول ، وفيها ((ولا تُغَيَّبهُ مذَ ، ولا تدنيه قدُ ، ولا تُحْجبهُ لَعَلَّ ، ولا تُوقِّتْهُ متى ، ولا تشمله حينُ ، ولا تقارنهُ مع))[1] ، بمعنى أنَّ هذه الأدوات إنّما تعيّن الحد لأنفسها من الممكنات ، وتشير إلى نظائرها من المخلوقات ، ولا يمكن أنْ تحدَّ البارئ تعالى وتشير إليه جلَّ وعلاَ .

ولعلَّ إعراب هذه الأدوات فاعل أرجح من كونها بدلاً ؛ لمناسبته لمعنى أنْ تكون كلمة (مُنْذُ) منعت الآلات والأدوات مِن أنْ يصفها العقلاء بالقِدَم لعلمهم بابتدائها جميعا ، والقديم ما لا أول لوجوده ، على حين تقتضي (مُنْذ) الابتداء فينافي مدلولها القدم فيقال : منذ كان كذا ، والمعنى من الوقت المعيّن ، فيكون كلمة (مُنْذ) على الآلات والأدوات مانعاً عن كونها قديمة ، وكذلك منعت (قد) الآلات والأدوات من أن توصف بالأزلية ؛ لأنَّ (قد) تفيد قريب الماضي من الحال ، فيقال : قد قام ، وهذا يدلُّ على أنَّ قيامه قريب من الحال التي أُخبرت فيها بقيامه ، أو التردد في الحاضر ، فيقال : زيدٌ قد يعطي وقد يمنع ، وهذه المعاني تنافي الأزلية ؛ لأنَّ الأزلي لا يصحّ منه ذلك لأنه قديم لا بداية له وكذلك منعت (لولا) الآلات والأدوات أن توصف بالكمال ؛ لأنّ مدلولها ينافي الكمال ، فهي تدلُّ على كون الشيء معلقاً بغيره ، إذ وضعت لامتناع الشيء لوجود غيره[2] .

٦. قال الإمام (عليه السلام) يصف الدُّنيا: ((أمَّا بَعْدُ ، فَإنَّ الدُّنيا أدْبَرَتْ ، وآذنَتْ بِوَدَاعٍ ، وإنَّ الآخِرَةَ قَدْ أقْبَلَتْ ، وأشْرَفَتْ بِاطّلاَعٍ ، ألاَ وإنَّ اليَوْمَ المِضْمارَ ، وَغَدًا السِّباقَ))[3] وقد نقل شرّاح النهج أنَّ (المضمار والسباق) فيهما روايتان ، الرفع على أنهما خبر (إنَّ) و(اليوم وغداً) اسماها، ورجّحه الراوندي إذ قال : ((الأحسن أنْ يجعل (اليوم وغداً) اسمين

---

[1] ينظر : بهج الصباغة ١ / ٢٩٨ ، وتحف العقول : ٦١ .

[2] ينظر : منهاج البراعة(الراوندي) ٢ / ٤٣١ . ٤٣٢ ، وحدائق الحقائق ٢ / ٢٨٤ ، و شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ٧٧ ، و شرح ابن ميثم ٤ / ١٥٨ . ١٥٩، و أصول السرخسي ١ / ٢٠١ و منهاج البراعة (الخوئي) ١١ / ٦٠ . ٦١ ، شرح نهج البلاغة (محمد عبده) ١ / ٣٧٨ .

[3] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٨ / ص ٦٤ .

صريحينِ ويكونا اسم (إنَّ) ، ويرفع (المضمار) على أنّهُ خبر(إنَّ) ، وعلى هذا إعراب (وغداً السباق)))[١] .

ولم يرتضِ التستريّ هذا الرأي ، فرجّح رواية النصب ، ومنع رفع (المضمار) ؛ لأنّهُ لو كان خبراً لكان (اليوم) اسماً له فيكون هو المبتدأ في الأصل و(المضمار) خبره وهذا لا يجوز ؛ لأنَّ المضمار ليس محمولاً على (اليوم) إذ لو كان محمولاً عليه لكان الحمل بمعنى (هو) والمضمار ليس (هو) وكذا في (غداً السباق)[٢]، وإنّما منع الرفع أيضاً لأنّهُ (لا وجه لإلغاء الظرفية)[٣] ، فإنَّ ما تأوّلوه في (اليوم وغداً) من معنى الاسم الصريح ، فيه من التكلف ما لا يخفى ؛ ولأنهُ مع الإبقاء على (اليوم وغداً) ظرفاً مبهماً لا يصحُّ رفع(المضمار) ؛ لأنَّ المضمار ليس عين (اليوم) ، ولا السباق عين (غداً) ؛ لأنَّ المضمار ليس اسماً لمجرد الزمان بل هو زمان مشتمل على حدث هو التضمير بمعنى أنَّ المضمار لمّا كان هو الزمان الذي تضمر فيه الخيل وهو زمان مخصوص لتقيده بوصف مخصوص صحَّ الإخبار عنه باليوم[٤] .

فلا يكون ذلك من باب الإخبار بوقوع الزمان في الزمان وأنّه يلزم منه أنَّ الزمان سيكون محتاجاً إلى زمان آخر وهذا مُحال[٥] ، والراجح هنا رأي التستري واختياره وجه النصب ؛ لورود الرواية الصريحة بذلك ؛ ولقوة الحجج التي ذكرها التستري وبُعدها عن التكلّف والتأويل كما اتضح من عرض رأي القائلين بالرفع .

---

[١] منهاج البراعة ١ / ٢١٨ ، و حدائق الحقائق ١ / ٢٤٣ ، وشرح نهج البلاغة(محمد جواد مغنية) ١ / ٢٨ ، وشرح نهج البلاغة (محمد عبده) ١ / ٧٩ .

[٢] ينظر: بهج الصباغة ١٢ / ٦٨ .

[٣] بهج الصباغة ١٢ / ٦٨ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي)٤ / ٤ .

[٥] ينظر : الكتاب ١ / ٤١٨ ، وهمع الهوامع ١ / ٩٩ .

المبحث الرابع

دلالة المحل الإعرابي :

١. قال الإمام (عليه السلام) في ذكر الكوفة : ((مَا هِيَ إلاَّ الكُوفَةُ أقْبِضُهَا وأبْسُطُهَا ، إنْ لَمْ تِكُونِي إلاَّ أنْتِ ، تَهُبُّ أعَاصِيرِكِ فَقَبَّحَكِ اللَّـهِ !))[١] وقد رأى التستريّ أنَّ مَحلَّ (أقبضُها وأبسطُها) الرفع على بدل الاشتمال من (الكوفةُ) لاشتمالها على القبض والبسط ، ونَظَّرَ لذلك بما يماثله في القرآن الكريم : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّـهِ**﴾[٢] ، فـ (قتالٍ) بدلاً من الشهر الحرام لاشتماله على القتال العظيم[٣] ، وَرَدَّ التستري [٤] البحراني الذي ذهب إلى أنَّ جملة (أقبضُها وأبسطُها) خبر

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٥/ ص ٥٧ .

[٢] البقرة : ٢١٧ .

[٣] ينظر : معاني القرآن (الفراء) ١ / ١٤١ ، ومعاني القرآن (الزجاج) ١ / ٢٤٨ ، وإعراب القرآن(النحاس) ١ / ١١٢.

[٤] ينظر : بهج الصباغة ١٠ / ٣٤٩ .

ثانٍ لمبتدأ محذوف تقديره : (أنَا) ، ويَحتَمل أن يكون (هِيَ) ضمير القصة و(أقبضُها) خبر عن الكوفة ، ونظيره في الاحتمالين قوله تعالى :﴿ **كَلَّا إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**﴾[١] وفيه يَحتمل إعراب (نزاعةٌ) بالرفع خبراً ثانياً ، أو رفع على التهويل أي : خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي نَزَّاعَةٌ)[٢] .

وذهب الطوسي في تبيانه إلى أنَّ (نزاعة) بدل من لظى ، وتقديره : كَلاَّ إنّها لَظَى ، كلاَّ إنّها نزاعةٌ لِلشَّوى ، ونزاعة اسم مبالغة من النزع بمعنى الاقتلاع ، أي : صفة هذه النار إحراق الأطراف واقتلاعها لا يبطل ما لها من الأثر فيمن تعذبه[٣] .

إذ قال التستريّ : ((ولو كان خبراً لكان معنى (ما هيَ إلاّ الكوفةُ) تامّاً وليس كذلك ، فكان تحتَ يدهِ (عليه السلام) بلاد العراق والحجاز واليمن كلها ، فكيف يقول :(ما هيَ إلاّ الكوفةُ) ، وإنّما المراد : (ما هيَ إلاّ قبضُ الكوفةِ وَبَسْطُها)))[٤] .

وكذلك ردَّ التستريّ ما احتمله الخوئي في توجيه رأي ابن ميثم البحراني بأنَّها خبرٌ ثانٍ ، إذ قال الخوئي : ((ما هنا نافية و(هِيَ) مبتدأ و(الكوفةُ) خبر ، و(أقبضُها) خبر ثانٍ ، أو خبر لمبتدأ محذوف أي : أنا أقبضُها))[٥] ، وقال التستري : ((لا مجال لما ذكره الخوئي ، وإنما المراد أنَّ استيلاءه التام منحصر بالكوفة مركزه))[٦] ، ويبدو أنَّ رأي رأي البحراني أوجه من رأي التستري لأمرين :

الأول : أنّ في البدل يكون المبدل منه على نية الطرح ، فإنْ حذفنا (الكُوفة) كان التقدير : ما هيَ إلاَّ أقبضُها وأبسطُها ، وهو كلام غير تام وبه يظهر ضعف رأي التستري في إعراب (أقبضُها وأبسطُها) بدلاً .

---

[١] المعارج : ١٥ . ١٦ .

[٢] ينظر : شرح ابن ميثم ٢ / ١٦ . ١٨ ، والكشاف ٤ / ٤٦٣ .

[٣] ينظر : التبيان في تفسير القرآن ١٠ / ١١٣ .

[٤] بهج الصباغة ١٠ / ٣٤٩ .

[٥] منهاج البراعة ١ / ١٧٢ .

[٦] بهج الصباغة ١٠ / ٣٤٩ .

والآخر : أنَّ قوله (عليه السلام) : (ما هِيَ إلاّ الكُوفةُ) كلام تام ، لا كما قال التستري في ردّه أنَّهُ قَد كان تحت حكم الإمام غير الكوفة بلاد أُخر كالحجاز واليمن ، والذي يدلُّ على تمام معنى هذا الكلام المناسبة التي قيل فيها ، فقد رويَ أنَّ الإمام قد خطبها في أواخر حكمه بعد معركة صفّين ، وبعد أن فقدت الدولة سيطرتها على بلاد اليمن وغزى جيش معاوية بلاد أُخر[١] .

٢ . قال الإمام (عليه السلام) في دُعائِه : ((اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي باليسَارِ ، وَلا تَبْذُل جَاهِيَ بالإقْتَارِ... وأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الإعْطَاءِ والمَنْعِ))[٢] ، ولمّا وقف التستريّ على قوله (وليُّ) ذهب إلى أنها خبر لـ (أنتَ) أمّا شبه الجملة (من وراء ذلك) متعلقة بالخبر ، إذ قال :((واضح أنّ الخبر في جملة وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع إنّما هو (وليُّ) و (من وراء) متعلقة به ، كقوله (من دونهم) في الصحيفة في قوله (عليه السلام) : وأنت من دونهم ولي الإعطاء والمنع))[٣] .

على حين ذهب ابن أبي الحديد إلى أنّ (وليّ) يُحتَملُ فيها وجهانِ في الإعراب :

الأول : أنَّه خبرٌ ثانٍ لـ (أنتَ) و (من وراء ذلك) الخبر الأول ، ومثَّلَ لِمحلِّ (من وراء) بجملة (الملكُ العظيمُ هو من وراء وزرائه) ، في أنَّ (من وراء) تعرب خبراً .

الآخر : أنْ يعربَ (ولي) خبراً ، و(من وراء ذلك) حالاً ، والمعنى : لا تبذل جاهي بالإقتار فيلحقني بسببه ما يلحقني من المكاره المعدودة ، والحال أنك من وراء ذلك كله القيم بالإعطاء والمنع ، والقاهر القادر على التيسير والتَّقتير[٤] .

ولعلَّ ما ذهب إليه التستري هو الراجح لما يأتي :

أ . خلو رأي التستريّ من التكلّف في الإعراب ومطابقة معناه ؛ لما يتضح من كلام الإمام (عليه السلام) ، والتقدير : وأنت ولي الإعطاء والمنع من وراء ذلك كله .

---

[١] ينظر: شرح منهاج البراعة (الراوندي) ١ / ١٩٦ ، وشرح ابن ميثم ٢ / ١٧ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١ / ١٧٢ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٥ / ص٤٣٩ .

[٣] بهج الصباغة ٧ / ١٤ .

[٤] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ١١ / ٢٥٦ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١٤ / ٣٠٨ .

ب . إنَّ الغالب في الاستعمال أنْ تكون شبه الجملة (من وراء ذلك) خبراً ثانياً لا خبراً أولاً ، كما جعلها ابن أبي الحديد ومثّل لها بمثالٍ مصنوعٍ لا يؤصل قاعدة نحوية ، ثمَّ أنَّ هناك من لم يجز تعدد الخبر إلاَّ إذا كان الخبرانِ أو أكثر في معنى واحد ، مثل : هذا حلوٌ حامضٌ[١] أو كان الخبرانِ من جنس واحد، كأنْ يكون الخبرانِ مثلاً مفردينِ ، نحو : ((زَيْدٌ قائِمٌ ضَاحِكٌ))، أو جملتين ، نحو : ((زَيْدٌ قَامَ ضَحِكَ))[٢] .

جـ . إنَّ الأصل في الحال أنْ يتأخر عن صاحبه ؛ لأنّهُ فضلة تأتي بعد تمام الإسناد ، وعلى رأي ابن أبي الحديد الثاني أنّ (من وراء) حال تقدّم على صاحبه (ولي) قبل تمام الكلام .

٣ . قال الإمام (عليه السلام) يصف فئة من أهل الضلال : ((... حَتَّى إذَا أخْلَوْلَقَ الأجَلُ ، واسْتَرَاحَ قومٌ إلَى الفِتَنِ ، وأَشَالُوا[٣] عَن لَقاحِ حَرْبِهِم ، لَمْ يَمُنُّوا على اللهِ بالصَّبرِ ... حَمَلُوا بَصَائِرَهُم عَلَى أَسْيَافِهِم))[٤]، لمّا وقف التستريّ على قوله (عليه السلام) في دلالة المحل الإعرابي (لم يَمُنّوا على اللهِ بالصبرِ) ، فقد أيَّدَ رأي الخوئي في أنّها جملة حالية ، ولكنه اختلف معه في صاحب الحال ، إذ ذهب الخوئي إلى أنَّهُ ضمير الجمع(الواو) في(أشالوا) ؛ لأنّهُ الأقرب إلى جملة الحال[٥] ، على حين ذهب التستري إلى أنَّ صاحب الحال هو الاسم الظاهر (قوم) ؛ لأنَّ وصف الحال للاسم الظاهر أوْلى من الضمير[٦]، وعلى كلا التقديرين يكون المقصود بيان حال القوم الذين استراحوا إلى الفتن وتركوا القتال لعدم الأذن لهم بذلك لقلة الناصر وعدم القدرة على المقاومة ، فكان حالهم أنّهم حين مسالمتهم

---

[١] ينظر: المقتضب ٤ / ٣٠٨ ، والأصول في النحو ١ / ١٥١ ، ومغني اللبيب ٢ / ٤٣ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٥٧.

[٢] ينظر : شرح ابن عقيل ١ / ٢٦٠ .

[٣] أشالوا : أي أشالت الناقة ذنبها ، رفعته ، أي : رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلحقوا حروبهم على غيرهم ، ينظر : العين ٢ / ١١ (شول) ، وأساس البلاغة : ٢١٥ (شول) ، ولسان العرب ١١ / ٣٧٤ (شول) ونهج البلاغة (صبحي الصالح) ٢٦٢ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٠/ ص٢٦٢ .

[٥] ينظر : منهاج البراعة ٩ / ١٣٩ .

[٦] ينظر : بهج الصباغة ٦ / ٢٢٣ .

صابرين على مضض باذلين أنفسهم في نصرة الحق غير مستعظمين صبرهم على البلاء ولا مانّينَ على الله به[١] .

وذكر ابن أبي الحديد أنَّ جملة (لم يمنّوا على الله بالصبر) جواب لقوله (حتّى إذا) ، والضمير في (يمنُّوا) راجع إلى العارفين ، بمعنى : حتى إذا ألقى هولاء السلام إلى هذه الفئة عجزاً عن القتال واستراحوا من منابذتهم بدخولهم في ضلالتهم أنهض الله تعالى هؤلاء العارفين الذين خصَّهم بحكمته فنهضوا ولم يمنوا على الله بالصبر[٢] .

وضَعَّف التستريّ هذا التوجيه الإعرابي، إذ يقول :((لا يجوز أن تكون جملة (لَمْ يَمُنُّوا على اللهِ بالصَّبرِ) جواباً للشرط ، وإنما الجواب جملة (حَمَلُوا) الواردة لاحقاً في قول الإمام (عليه السلام) من الخطبة نفسها :(حَمَلُوا بَصَائرهم على أسْيَافِهم) ، واحتجَّ لذلك بأنَّ منتهم على الله بالصبر وعدم عدَّ بذل أنفسهم في الحقِّ عظيماً كان من الابتداء لا بعد اخليلاق الأجل))[٣] .

٤ . قال الإمام (عليه السلام) في التحذير من إبليس :((فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ عَدُوَّ اللهِ أنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ ...)) [٤]، وفي إعراب المصدر المؤول (أنْ يُعديكُمْ بدائِهِ) صحّحَ التستريّ ما ذهب ذهب إليه الراوندي[٥] من جواز إعرابه مفعولاً ثانياً لـ (احذروا) منصوباً على نزع الخافض الخافض ، إذ قال :(((أنْ يُعدِيكُم بِدائِهِ) يمكن أنْ يكون مفعوله الثاني بنزع الخافض ، والأصل مِن أنْ يُعديكم بِدائِهِ ، وحذف الجار مِن أنْ وأنَّ قياسي))[٦].

وكان ابن أبي الحديد قد أنكر على الراوندي إعراب المصدر المؤول مفعولاً ثانياً ؛ لأنَّ (حذر) المجرد لا يتعدى إلى مفعولين[٧] ، ورجّحَ الوجه الأول الذي ذكره الراوندي مِن

---

[١] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ٩ / ١٣٩ .

[٢] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٩ / ١٣٠ ، وشرح ابن ميثم البحراني ٣ / ٢١٥ . ٢١٦ .

[٣] بهج الصباغة ٦ / ٢٢٣ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ / ص ٣٦١ .

[٥] ينظر : منهاج البراعة ٢ / ٢٠٨ .

[٦] بهج الصباغة ١٤ /٣٦٠ .

[٧] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٣٦ .

أنّهُ بدل مِن(عدو الله) فهو في محل نصب بتقدير : احذروا عدو الله عَدْوِهِ لكم بدائه[١]، ويفهم من إعراب (أنْ يُعديَكُم بدائه) بدلاً بمعنى أنَّ الحذر مقصود على عدوى إبليس وليس شيئاً آخر ، ولكن هذا المعنى لا يصحُّ مع قاعدة أن البدل والمبدل منه شيء واحد ، بحيث يمكن الاستغناء عن المبدل منه وطرحه ، وإحلال البدل محلّهُ ، وعليه يكون الوجه الثاني الذي ذكره الراوندي وصحّحه التستريّ أوفق في توجيه المحل الإعرابي هنا على النصب بنزع الخافض ؛ لخلّوه من الإشكال المذكور آنفاً مع مناسبته للمعنى الذي فسَّر به الشّرّاح قول الإمام (عليه السلام) وهو احذروا عدو الله من عدواه لكم بدائه ، و(من) بيانية للداء الذي يجب أنْ يُحذَّرَ منه عباد الله ، وهو موضع العناية هنا ، فضلاً عَن موافقة هذا الوجه لمَا استقرَّ في سنن العربية من قياسية حذف الجر مع أنَ المصدرية [٢] .

٥ . قال الإمام (عليه السلام) يصفُ العامِلُ بِعلمٍ : ((فَالنَّاظِرُ بِالقَلبِ ، العَامِلُ بِالبَصَرِ ، يَكُونُ مُبْتَدأُ عَمَلِهِ أنْ يَعْلَمَ : أَعَمَلَهُ عَلَيْهِ أمْ لَهُ ؟!))[٣] ، رأى التستريّ أنَّ في قوله (عليه السلام) تقديماً وتأخيراً يترتب عليه معنى يُفهَم من إعراب الكلام بحسب ترتيب السياق الآتي :(الناظرُ بالقلبِ العاملُ بالبصرِ ، يكون أنْ يعلمَ أعمله عليه أم له ؟ مبتدأ عمله) وعلى هذا أعرب التركيب : الناظرُ : مبتدأ ، خبره جملة مركبة هي (يكون علمه بنتيجة عمله مبتدأ عمله) فمبتدأ عنده منصوب على أنه خبر ، وتقدير الكلام : الذي ينظر بالقلب والذي يعمل بالبصيرة ، يكون علمه بكيفية عمله مبتدأ عمله كما أنَّ من يمشي في طريق يجب عليه قبل وضع قدمه أنْ يعلمَ أين يضع قدمه لئلا يقع مهواة أو يزلَّ ويعثر [٤] .

وفي هذا الذي ذكره التستريّ ردّ على ابن أبي الحديد الذي تكلّفَ في تخريج قول الإمام (عليه السلام) إعراباً ومعنى فقال : ((جملة (يكون مبتدأ عمله) مع خبره (بالبصر)

---

(١) ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٣٦ ، وحدائق الحقائق ٢ / ٣٤٢ ، وشرح ابن ميثم ٤ / ٢٢٩ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١١ /٢٨٤ .

(٢) ينظر: الكتاب ٣ / ١٣٧ .

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٤ / ص٢٧٠ .

(٤) ينظر : بهج الصباغة ٧ / ٢٩٢ .

المتقدم عليه خبر(الناظرُ) و(أنْ يعلمَ) بدل من (بالبصر) ، فيصير تقديم الكلام : فالناظر بقلبه العامل بجوارحه يكون مبتدأ عمله بالفكر والبصيرة بأن يعلم أعَمَلَه له أم عليه))[1] ، ولا يخفى على من أنعم النظر في هذين القولين ما في رأي ابن أبي الحديد من تكلّف وعسر في الإعراب وما ترتّب عليه من تأويل بعيد للمعنى .

[1] شرح ابن أبي الحديد ٩ / ١٧٧ .

الدلالة التركيبية

توطئة :

يعد التركيب وسيلة من وسائل إنتاج الدلالة ، وموطناً مهماً من مواطنها ؛ لأَنَّ الغاية المنشودة من إخضاع التركيب للدراسة والتحليل هي الوصول إلى تفسير دلالي مناسب[١]، ولا يكون هذا إلا بترتيب تلك الألفاظ ترتيباً معيناً في ضمن تركيبٍ يؤلِّف فيه المتكلّم بين الألفاظ على وفق المعاني وحَسبما تقتضيه الدلالة ، إذ يقول عبد القاهر الجرجاني: ((فليس الغَرضُ بنَظم الكَلِم أن توالتْ ألفاظها في النُطق ، بل أن تناسقَتْ دَلالتها ، وتلاقت مَعانيها على الوجه الذي اقتضاه العَقلُ))[٢].

والصورة الواضحة للتركيب هي الجُملة ، التي تمثّل الأساس المَتين الذي يرتكز إليه علم النحو ، وقد عُني علماء العربية القدماء بدراسة الجملة وعرّفوها بأنّها : الكلام الذي يحسُن السكوت عليه[٣]، وأفاضوا في دراستها من الناحيتين الشكليّة والدلاليّة ، يشهد بذلك كتاب سيبويه الذي يُعدّ أقدم كتاب نحويّ وصلَ إلينا ، إذ تَجده حريصاً على الإحاطة بكلّ ما يتعلّق بالأساليب العربيّة من خصائص لغويّة ونحويّة وبيانيّة ، ولا يكتفي بالوقوف عندها ، بل يُشير إلى مَواطِن الحُسن والقُبح فيها ، وإلى أسباب ذلك ، بما يصُبّ في صَميم الدَرس النحوي الدلالي الذي يقوم على دراسة نَظم الكلام وأسرار تأليفه ومدى مُلاءمته لظروف القول[٤] .

فالتركيبُ ضمُّ كلمةٍ إلى أخرى بإفادة المعنى[٥]، وإنَّ انتظام هذه الكلمات ضمن حركة تنسج علاقات معيّنة؛ فإنَّها تسهم في إظهار قيم الجمال التي يزخر بها النصّ فـ((التراكيب اللغويّة تكون بالغة التعقيد والخصوبة حين تفيض بها النفوس الحيّة، وذلك لأنّ كلّ ما في النفس من قلق ونبض، وكلّ ما تحسّه الروح ويفور به القلب لا يجد له

---

[١] ينظر : البحث الدلالي في تفسير ابن عطية (رسالة ماجستير) : ١٠٢ .

[٢] دلائل الإعجاز : ٣٥ .

[٣] ينظر : شرح ابن عقيل ١٤/١

[٤] ينظر : حاشية الصبان ١ / ٦٦ .

[٥] ينظر: الأصول في النحو ٢/ ١١١ ، واللباب في علل البناء والإعراب ٥٠٥/١ .

مسرباً إلا هذه الكلمات))[١]، وهذا يتصل بإدراك المتلقي لنظام العلاقات في ذلك النصّ، وأثره في خلق الظواهر الأسلوبيّة فـ((التركيب والسبك هو الذي يمنح الكلمة حظها من الحياة))[٢]، فضلاً عمّا توصل إليه من أنّ استعمال العلاقات القائمة في التراكيب من شأنه أن يثري العمل الأدبيّ بمفاهيم ودلالات تكتسب عن طريق إمكانات النحو خاصّة، وذلك أنّه لُحمة العمليّة الإبداعيّة وسداها في الشعر والنثر[٣]؛ لأنَّ((بناء التراكيب اللغويّة ونظم الكلام وتأليفه ، يحتاج إلى دقة في الفهم ورويَّةٍ في التفكير وبُعْدٍ في الرؤية والبحث عن الدلالات المختلفة ، وما يستسيغها من المعاني القائمة كلّها على قواعد النحو))[٤].

وقد عُنيَ التستريّ في (بهج الصباغة) بالدلالة التركيبية ؛ لما لها من أثر كبير في توجيه المعنى ، فالتركيب النحوي له معنى أول يدلَّ على ظاهر الوضع اللغوي ، وله معنى ثان ، ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول، فقد عرض التستريّ لهذه الدلالات والتغييرات التي تتعرض إليها بنية الجملة للتعبير عن المعاني المختلفة ، ومنها التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ، والإضافة ، والحذف والذكر ... وغيرها .

---

[١] دلالات التركيب : ٣ .

[٢] فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم :١٤٠ .

[٣] ينظر : البلاغة والأسلوبية : ٤٣ .

[٤] التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني:١٠٦.

المبحث الأول

دلالة التعريف والتنكير

توطئة :

التعريف لغة : الإعلام ، وهو ضد التنكير[١] ، فالمعرفة ((ما دلَّ على شيء بعينه ، والنكرة ما دلَّ على شيء لا بعينه ، وإنّما ما شاع في أمته ، كقولك : جَاءَنِي رَجلٌ ورَكَبْتُ فَرَساً))[٢] ،أي : أنَّ التعريف يرتبط دلاليا بالوضوح والبيان ، وحقيقة الشيء والتسمية والماهية ، أمّا التنكير فيرتبط بالجهل بحقيقة الشيء ، وعدم تعيينه أو تحديده ، فهو ضد البيان والوضوح[٣].

ولم يضع سيبويه حداً للمعرفة والنكرة ، بل ذكر الأصل منهما بقوله ((اعلم أنَّ النكرةَ أخفُّ عليهم من المعرفة ، وهي أشدُّ تمكناً ؛ لأنَّ النكرة أول ، ثُمَّ يدخل عليها ما تُعرّف به ، فمن ثَمَّ أكثر الكلام ينصرف في النكرة))[٤] .

وقال ابن جني: ((وأمّا المعرفة فما خصّ من جنسه))[٥]، أي : بمعنى ما انفرد من جنسه ، وانتقد أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ) هذا الحد لأنّه لا يشمل كل معرفة ، بدلالة أنّ (الرجل) إذا أردت به الجنس غيرُ داخل تحت هذا الحدِّ ؛ لأنه ليس بواحد من جنس ، ثمّ جاء بتعريف آخر للمعرفة ، فقال : ((والحدُّ الصحيحُ أنَّ المعرفةَ هيَ اللفظ المتناول للمعيَّن الذي لا شركةَ فيه بالوضع))[٦]

وتتخذ العربية واحدة من وسيلتين ثابتتين لتحويل الأسماء من التنكير إلى التعريف ، وذلك بإدخال (أل) عليها ، أو إضافتها إلى المعرفة ، ويرافق هذا التحويل تغيير في خصائص الألفاظ الشكلية والدلالية والتركيبية .

---

[١] ينظر : لسان العرب ٩ / ٢٣٦ (عرف) ، والقاموس المحيط ٣ / ٨ (عرف) .

[٢] المفصل في صنعة الإعراب : ٢٤٥ ، والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن (ابن الزملكاني) : ١٣٣ .

[٣] ينظر : التعريف والتنكير في النحو العربي :١٩ .

[٤] الكتاب ١ / ٥٧ ، وينظر : المقتضب ١ / ٢٦١.

[٥] اللمع في العربية : ١٥٩، وينظر : ارتشاف الضرب ٢ / ٧ .

[٦] المتبع في اللمع ٢ / ٤٥٢ .

وقد عُنيَ النحويون عنايةً كبيرةً بدلالة المعرّف بالألف واللام ؛ لكثرة ورود هذا الاسم في التركيب ، قال الزجاجي (ت ٣٧٧هـ) : ((واعلم أن هذه الألف واللام التي للتعريف قد تدخل في الكلام على ضروب ، فمنها أن تعرف الاسم على معنى العهد ، كقولك : جَاءني الرجلُ ، فإنما تخاطب بهذا من بينك وبينه عهدٌ برجل تشير إليه ... وقد تدخل لتعريف الجنس ، وذلك أن تدخل على اسم واحد من جنسه وتكون تعريفا لجميعه لا لواحد بعينه وذلك قولهم : قد كَثُرَ الدرهم والدينار في أيدي الناس ، ولا يراد به تعريف درهم بعينه ولا دينار بعينه وإنما يُراد به الجنس))[١] وقد التفت شرّاح نهج البلاغة إلى المعاني التي تكمن وراء استعمال اللفظة معرفة كانت أم نكرة ، ومنهم التستري الذي كثرت إشاراته الدلاليّة إلى أقوال أمير المؤمنين (عليه السلام) المتضمنة ألفاظاً من النكرات والمعارف ، أمّا ما يخصُّ أنواع المعارف ودلالاتها عند التستريّ فهي :

١ . دلالة المعرّف بـ (أل) على العهد :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في طلحة والزبير : ((وأنَّ مَعِي لَبَصِيرَتي مَا لَبَّسْتُ ، وَلاَ لُبِّسَ عَليَّ ، وإنّها لَلِفئةُ الباغيةُ فيها الحَمَأُ والحُمَةُ))[٢] إذ استظهر التستريّ دلالة أل التعريف في (الفئة) على العهد ؛ لأنّه (عليه السلام) كان يعلم تفاصيل تلك الفئة ، وهي معهودة عنده مسبقاً بالحضور العلمي ، إذ يقول : ((بل الظاهر أن قوله (عليه السلام) (الفئة الباغية) الفئة المعهودة عنده مسبقاً وكان يعلم تفاصيلها : والأصل في كلامه(عليه السلام) قوله تعالى :﴿ **وإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[٣]))[٤].

---

[١] اللامات(للزجاجي) ٢١ . ٢٢ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة (صبحي الصالح) ١٣٧ / ص٢٤٥ .

[٣] الحُجرات : ٩ .

[٤] بهج الصباغة ٩ / ٢٨٠ .

وذكر بعض شراح النهج أن لام التعريف في (الفئة) يشعر بأن نصّاً كان عنده ، أنَّه سيخرج عليه فئة باغية ولم يعيّن لها وقتها وكل صفاتها ، بل بعض علاماتها ، وفي هذه الفئة الفساد والضلال والضرر[١] .

ومثل هذا ما في قول الإمام (عليه السلام) يحضّ به النَّاس على الجهاد ((... وَمنْهُمُ المُنكِرُ بِقلبهِ والتَّاركُ بِيَدهِ وَلِسانهِ ، فَذلكَ الَّذي ضَيَّعَ أشْرفَ الخَصلَتينِ مِنَ الثَّلاثِ وتَمَسَّكَ بِواحِدةٍ))[٢] ، إذ بين التستريّ أنَّ التعريف في (الخَصلَتينِ والثَّلاثِ) واجب ؛ لأنّها في حكم المعهودة وإنْ لم يُجرَ لها ذكرٌ صريح في السياق، فأمّا وجوب تعريف الثلاث ((فلأنه ليس الكلام في كل ثلاث خصال ، بل في الخصال الثلاثة المعهودة من الإنكار باليد واللسان والقلب ، وقد عُرّفت بالإضافة في قوله قبل (لخصالِ الخيرِ) وقوله (مِن خِصَالِ الخَيرِ) ، وعرّفت هنا باللام ، وأمّا (الخصلتان) فلو نكّروا قيل :(أشرف خصلتين) لصار المعنى واحدة أشرف ، مع أنَّ كون الخصلتينِ أشرف وأيضاً الخصلتان معهودتان كالثلاث ، فلا وجه لترك التعريف))[٣].

وذهب ابن أبي الحديد إلى أن (اللام) زائدة في (الخصلتين) ، وأصله : ضَيَّعَ أشرف خصلتين من الثلاث ؛ لأنَّه لا وجه لتعريف المعهود ها هنا (الخصلتين) ، بل تعريف(الثلاث) باللام أولى ويجوز حذفها من الثلاث ، ولكن إثباتها أحسن ، كما تقول : قتلتُ أشرفَ رجلين من الرجال الثلاثة[٤] ، ولعلَّ رأي التستريّ أرجح في وجوب تعريف الخصلتين لما يأتي :

١ـ ما استدلَّ به في أنَّ المعنى من خلال التركيب يشمل الخصال الثلاث (من الإنكار باليد واللسان والقلب) بدلالة قول أمير المؤمنين مِن قبلُ (لخصال الخير) ؛ ولأنَّ هذه الخصال الثلاث معهودة للجميع ومعروفة لهم لورودها في الحديث الشريف : ((مَن رَأَى

---

[١] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٩ / ٣٣ ، و شرح ابن ميثم البحراني ٣ / ٦٦ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٨ / ٣٣٨ ، وفي ضلال نهج البلاغة ٢ / ٢٩٣ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٣٧٤ / ص ٦٧٨ .

[٣] بهج الصباغة ١٣ / ١٣٨ . ١٣٩ .

[٤] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٣١٠ .

مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ))[١] .

٢ . إنَّ ابن أبي الحديد نفسه أثبت التعريف في (الثلاثة) .

٣. ما استدلَّ ابن أبي الحديد من شاهد مصنوع لا ينطبق مع المعنى المقصود في الحكُم الذي عرضه الإمام (عليه السلام).

ومنه ما في قول الإمام (عليه السلام) في تواضع الأنبياء : ((وَلَوْ أَرادَ اللهُ سُبْحَانَهُ لأنبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُم أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ... وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ البَلاءُ ، وبَطُلَ الجزاءُ ، واضْمَحَلَّتِ الأنْبَاءُ))[٢]، إذ بيّن التستريّ أنَّ دلالة (أل التعريف) في (البلاء) بأنّ اللام فيه للعهد الذكري ، أي : بالبلاء والابتلاء المفهوم من قوله قبل ((فَإِنّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهِ المُسْتَكْبِرِينَ))[٣] ، أي : ذلك البلاء المشار إليه ، وهو بلاء المستكبرين بالمستضعفين من أولياء الله وهو ظاهر[٤] ، وأمّا اللام في قوله (عليه السلام)(وبطُلَ الجزاءُ) فهي للعهد الذهني ، أي : الجزاء المعهود في الشرائع للمطيعين والعاصين[٥]، هو جزاء العبادات والطاعات ، إمّا لسقوط البلاء بها ، أو لأنَّ الطاعات تكون عن رهبة أو رغبة فيسقط الجزاء الآخروي عليها[٦] .

٢ـ دلالة الخبر المعرفة على الحصر: وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يعظُ النَّاس ((أوْصيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى الله الَّتي هِيَ الزَّادُ وبِها المَعَادُ))[٧]، ذكر التستريّ غرض تعريف الخبر في قوله (عليه السلام) إذ قال : ((هي الزاد وبها المعاد : أتى بالجملة الاسمية

---

[١] صحيح مسلم ١ / ٥٠ ، وسنن ابن ماجه ٢ / ١٢٣٠ ، ومسند أحمد ١٧ / ١٢٧ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٠ / ص ٣٥٥ .

[٣] بهج الصباغة ٢ / ٥٠ .

[٤] ينظر : شرح ابن ميثم ٤ / ٢٧٣ .

[٥] ينظر : بهج الصباغة ٢ / ٥٠ .

[٦] ينظر : شرح ابن ميثم ٤ /٢٧٤ .

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ١١٤ / ص٢١٢ .

مع تعريف الخبر للدلالة على حصر زاد الآخرة))[١] ولفظ الزاد مستعار لتقوى الله وطاعته التي هي زاد النفوس[٢].

٣ . دلالة التنكير على الإبهام :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في طلحة والزبير : ((لَقَد اتْلَعُوا أعْنَاقَهُمْ إلى أمْرٍ لمْ يَكُونُوا أهْلَهُ فَوُقِصُوا دونَهُ))[٣]، فقد ذكر التستريّ أنّ دلالة تنكير(أمر) في قوله (اتلعوا إلى أمر) ليس المراد به أمر الخلافة ، بل أمر الحرب ، ويكون الفاعل في (اتلعوا) مطلق قريش[٤] ، على حين رأى ابن أبي الحديد أنّ المقصود بدلالة (أمر) هو أمر الخلافة ولا غير ذلك ، فَقُتلوا دونه ، وهو كناية عن عدم نيلهم المقصود فخسرا الدنيا والآخرة[٥] ، وسبب هذا الخلاف في تحديد دلالة (أمر) بين الشارحين ، يعود إلى أنَّ اللفظ نكرة معناها الدقيق غامض مبهم فتلمّس له كل شارح معنى رأى أنَّ السياق يقتضيه .

والباحث يركن إلى فِهم ابن أبي الحديد لمعنى (أمر) في السياق مع وجود قرينة لفظية هي (فوقصوا دونه) تدلُّ على نحوٍ جلي أنَّ المراد (طلحة والزبير) والوَقْصُ لغةً : هو كسر العنق، أي كُسِرَتْ أعناقهم من دون الوصول إليه [٦]، وأنَّ المقصود به أمر الخلافة بدلالة أنَّ قريشاً عامّتها لم تُرِدْ قتال الإمام (عليه السلام).

ومثل هذا في دلالة التنكير على أكثر من وجه بسبب إبهامه وغموضه قول الإمام (عليه السلام) في ذكر الموت ((وإنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الجَدِيْدانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ))[٧] ، بيّن التستريّ أنَّ دلالة تنكير (غائبا) تحتمل أنْ يعود الضمير فيه على أكثر من وجه ، ومنه الموت ، فهو من أول وجوده كان مقارنا له ، فقد شبّه الإمام مدة بقاء

---

[١] بهج الصباغة ١١ / ٣٦٣ .

[٢] ينظر : شرح ابن ميثم ٣ / ٤٠٦ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٢١٩ / ص٤٢٣ .

[٤] ينظر: بهج الصباغة ١٠ /١٢١ .

[٥] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١١ / ١٢٦ .

[٦] ينظر : أساس البلاغة : ٣٨١ ، ولسان العرب ٧ / ١٠٦ (وقص) ، وتاج العروس ١ / ٤٥٥١ (وقص).

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ٦٤ / ص ١٠١ .

الإنسان في الدنيا بغاية قصيرة ، وشبه هنا الموت بمن غاب عنك من أعدائك ثم يرجع إليك سريعا ، بحدو الجديدين له[١] ، على حين ذهب بعض شرّاح النهج إلى أن الغائب هو الإنسان وليس الموت ، فإنه غاب عن داره الحقيقية وهي دار الآخرة ، فهو في الدنيا غائب عن الحقيقة ، وعن داره التي خُلِقَ لها[٢] .

٤ . دلالة التنكير على التخصيص :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) لمّا سمع قول الخوارج (لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ) قال (عليه السلام) : ((كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ !)[٣]، رأى التستريّ أنَّ دلالة تنكير (باطل) دلّ على أنّه مخصوص كالحق ولأنَّ مستنده بلفظ باطل ، وقوله أمير المؤمنين لم ينحصر في الخوارج ، وإنما قالها في موضع آخر لمّا رفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى حكم القرآن ، قال: ((أنَا أحَقُّ مَن أُجَاب إلى كِتابِ اللهِ ... إنَّها كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِها بَاطِل))[٤] ، ولعلَّ التنكير هنا يُراد به أنَّ ما فعلوه وما أدّعوه باطل من كلِّ وجهٍ ، وهو بالوضع عام وفي قبالة (كَلِمَةُ حَقٍّ) مخصوص ؛ لأنَّ الحقَّ قد خُصَّ بعلي وأصحابه وهذا مصداق قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) : ((الحقُّ مَعَ علي ، وعليٌ مع الحقِّ يدور الحقُّ مع علي كيفما دارَ))[٥] ، وأنَّ الباطل مخصوص بأعدائه أنّى حَلّوا في النهروان ، وصفّين ، والجمل .

المبحث الثاني

---

[١] ينظر : بهج الصباغة ١١ / ٩٢ . ٩٣ .

[٢] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ١ / ٢٨٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ٥ / ١٤٥ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٤ / ٤٠٢ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٤٠ / ص ٨٢ .

[٤] بهج الصباغة ١٠ / ٢٩٩ . ٣٠٠ .

[٥] سنن الترمذي ٣ / ١٦٦ ، والحاكم في المستدرك ٣ / ١٢٤ ، ومسند أحمد ١٣ / ١٥٧ .

دلالة الضمائر

توطئة :

الضمير : هو الموضوع لتعيين مُسَمّاهُ ، مشعراً بتكلُّمه أو خطابهِ ، أو غيبته[١] وهو من المبهمات فيحتاج إلى ما يزيل إبهامه ، شأنه في ذلك شأن الإشارات ، فضمائر الحضور ، أي : التكلّم والخطاب يتعين مدلولها بوجود المتكلم والمخاطب ، أمّا ضمائر الغائب فإنها تحتاج إلى أنْ يكون في الكلام ما يفسّرها ويزيل إبهامها ، ويوضح المراد منها ، والأصل في هذا المفسِّر أن يكون مذكوراً متقدما ليبين معناه ، ويكشف المقصود منه[٢] .

إذ قال الرضي : ((وإنما يقتضي ضمير الغائب تقدم المفسِّر عليه ؛ لأنه وضعه الواضع معرفة لا بنفسه ، بل بسبب ما يعود عليه فإن ذكرته ولم يتقدمه مفسِّر يبقى مبهما لا يعرف المراد به حتى يأتي تفسيره بعده ، وتنكيره خلاف وضعه))[٣] .

وقد لا يظهر مفسِّر الضمير مباشرة في السياق ، بل يقوم على نوع من توسيع للسياق والبحث عمّا يتواءم معه على وفق منطق الأشياء في الكون ، كما في قوله تعالى :﴿**فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ** ﴾[٤]، فقد نظر المفسرون في سياقه السابق :﴿ **إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ** ﴾[٥] ، فوجدوا مفسرينِ ممكنينِ للضمير أحدهما سياقي حرفي وهو (الصافنات الجياد) ، وثانيهما سياقي عقلي يتخذ (العشي) دليلاً على مفسِّر ثانٍ ممكن للضمير هو(الشمس)[٦] .

وما يقتضيه النظم الحسن ألاَّ تختلف الضمائر فيما تعود عليه ، فلا بدّ أن تعود الضمائر إلى شيء واحد ؛ لأنَّ هذا ما تقتضيه الفصاحة ، فالأصل : ((توافق الضمائر

---

[١] ينظر: شرح التسهيل ١ / ١٢٠ ، والتذييل والتكميل ٢ / ١٢٨، وشرح ابن عقيل ١ / ٨٨ .

[٢] ينظر : عود الضمير في البحر المحيط (رسالة ماجستير) : ١٤ .

[٣] شرح الرضي على الكافية ٢ / ٤٠٤ .

[٤] سورة (ص) : ٣٢ .

[٥] سورة (ص) : ٣١ .

[٦] ينظر : التفسير الكبير ١٣ / ١٨٩ ، والجامع لأحكام القرآن ١٥ / ١٩٥ .

في المرجع حذراً من التشتت))[١] وقد تلمّس التستري في عود الضمير طائفة من الدلالات الآتية :

١ . دلالة الإضمار قبل الإظهار :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في أمر الخلافة : ((أمَا وَاللهِ لَقَد تَقَمَّصَها فُلانٌ ، وإنّهُ لَيَعلَمُ أنَّ مَحَلّيَ مِنْها مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَى))[٢]، إذ صرّح التستريّ أن الضمير في (تَقَمَّصَها) لا يعود على مجهول لم يجرِ له ذكر سابق في الكلام ؛ لأنَّ :((أسانيد الخطبة كلها اشتمل على أنَّهُ ذُكِرَ (عليه السلام) عنده الخلافة وتقدّم مَنْ تقدّم عليه بها فقال ما قال ، ثم شَبَّهَ الخلافة بقميص يُلبس)) [٣]

وكان ابن أبي الحديد قد ذهب إلى أنَّ الضمير في (تَقَمَّصَها) للخلافة ولم يذكرها للعلم بها ، كقوله تعالى : ﴿ **فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾ [٤]، أي : الشمس ، فردّ الضمير إلى معلوم غير مذكور ، يدلّ عليه المقام ، ومنه قول لبيد ابن أبي ربيعة [٥] :

حَتّى إذا أَلْقَتْ يداً فِي كَافِرٍ وأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُور ظَلاَمُها .

أي : ألقت الشمس يدها في الليل فردَّ الضمير إلى معلوم غير مذكور[٦] ، وقد جوّزَ جوّزَ النحويون الإضمار قبل ذكر الاسم صريحاً مع وجود دليل ، قال الزجاج : ((إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء ، أو دليل الذكر ، وقد جرى هذا الدليل ، وهو قوله : بالعشي والتواري في قوله تعالى :﴿ **حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾[٧]))[٨].

---

[١] الإتقان في علوم القرآن ١ / ٥٠٩ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٣ / ص ٢٨ .

[٣] بهج الصباغة ٥ / ٩ .

[٤] سورة (ص) : ٣٢ .

[٥] ديوانه : ٣١٦ .

[٦] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ٢ / ١٥١ ، وشرح المعلقات السبع : ٩٦ .

[٧] سورة (ص) : ٣٢ .

[٨] معاني القرآن ٢ / ٢٨٦ .

ويرى التستريّ أنَّ الضمير في (تقمَّصَها)عاد على متقدم معلوم مذكور بحسب مقتضى السياق ؛ لأن حديثه (عليه السلام) ما كان ليكون لولا أنْ جرى ذكر الخلافة أمامه[١] ، ويبدو أنَّ شرّاح النهج متفقون على أنَّ الضمير عائد إلى الخلافة المستفادة بقرينة المقام ، أو المصرّح بها كما في سائر الخطبة[٢].

٢ . **دلالة الضمير العائد على غير مذكور :**

وذلك في الإمام (عليه السلام) في التوحيد : ((الحَمْدُ لِلَّهِ الفاشِي فِي الخَلْقِ حَمْدُهُ ... وأشْهدُ أنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ ، وحَكَمٌ فَصَلَ))[٣]، إذ ذهب التستريّ إلى أنَّ الضمير في (أَنَّهُ) راجع إلى الله تعالى ، إذ يقول : ((إنَّ الضمير في قوله (أنَّهُ) يرجع إليه تعالى ، ولو كان راجعا إلى القضاء والقدر كما ذُكِر لكانت القاعدة أن يقول : عَدْلٌ عُدِلَ فيهِ ، وحَكَمٌ فُصِلَ فيه ، فَعَدْلٌ بمعنى عادل واستعماله كثير ولا يحتاج إلى تكلّف أنَّهُ نسبَ العدلُ إلى القضاء مجازاً))[٤].

وقال ابن أبي الحديد إنَّ الضمير في(أنَّهُ) يعود إلى القضاء والقدر إذ يقول :((أشهدُ أنَّ قضاءه تعالى عدْلٌ ، وحَكَمٌ بالحق ، وقد نسب العدل والفصل إلى القضاء على طريق المجاز ، وهو في الحقيقة منسوب إلى ذي القضاء))[٥].

ويرى التستري أنَّ ما ذهب إليه ابن أبي الحديد في نسبه الضمير إلى القضاء مجاز فيه تكلّف والسياق لا يحتاج لذلك ، ويؤيد ذلك أنَّ الضمير يعود على غير مذكور في الكلام بدلالة سياق التركيب كالعلم به ، والالتزام[٦] ، وهو الراجح لانصراف الذهن إلى إلى فاعل الحدث لا الحدث ، وما بينهما من التزام ذهني ، قال الزركشي (ت٧٩٤ هـ) :

---

[١] ينظر: بهج الصباغة ٥ / ٩ .

[٢] ينظر :منهاج البراعة (الخوئي) ٣ / ٧٣ ، في ظلال نهج البلاغة ١ / ٨٣ ، الأمثال والحكم : ٥٦٩ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٢١٤ / ص٤١٥ .

[٤] بهج الصباغة ١ / ٣٩٢ .

[٥] شرح ابن أبي الحديد ١١ / ٦٥ .

[٦] ينظر : بهج الصباغة ١ / ٣٩٢ .

((يدلّ عليه بالالتزام ، كإضمار النفس في قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ**﴾[١]، و﴿ **كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ** ﴾[٢]، أضمر النفس لدلالة الحلقوم والتراقي عليها))[٣].

ومثل هذا ما في قول الإمام (عليه السلام) في خلق الملائكة :((نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ))[٤]، استظهر التستريّ أنّ الضمير في (دونه) يرجع إلى الله تعالى ، إذ قال ((الظاهر رجوع الضمير إليه تعالى ، وكون الكلام استعارة ، مثل قوله تعالى ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[٥])[٦]، وذهب ابن أبي الحديد إلى أن الضمير في(دونه) راجع إلى العرش[٧]، وكنّى (عليه السلام) بنكس أبصارهم عن كمال خشيتهم لله تعالى ، واعترافهم بقصور أبصار عقولهم عن إدراك ما وراء كمالاتهم المقدرة لهم[٨]، وإسناد (دونه) إلى الأبصار دلالة على عدم التفاتهم في النكس يمينا وشمالاً[٩] ، وقد ذكر القرآن أنَّ الأبصار الأبصار خاشعة من الله كما في قوله تعالى :﴿**أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ**﴾[١٠]، وكلام الإمام في معنى هذه الآية ، فيكون الضمير في (دونه) هو لله كما ذكر التستريّ ولا علاقة للعرش بخضوع الأبصار.

٣ . دلالة عود الضمير على أحد المذكورين قبله :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في التوحيد : ((وانْقَادتْ لَهُ الدُّنيا وَالآخِرةُ بأَزِمَّتِها ، وَقَذَفَتْ إليه السّموَاتُ والأرَضُونَ مَقالِيدَها))[١١]، استظهر التستريّ وقوع تصحيف

---

(١) الواقعة : ٨٣ .

(٢) القيامة : ٢٦ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤ / ٣١ .

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ١ / ص ٢٠ .

(٥) القيامة : ٢٢ . ٢٣ .

(٦) بهج الصباغة ١/ ٤٥٤ .

(٧) ينظر: شرح ابن أبي الحديد ١ / ٣٠ .

(٨) ينظر : شرح ابن ميثم ١ / ١٦٦ .

(٩) ينظر : شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ١ / ٤٢ .

(١٠) النازعات : ٩ .

(١١) نهج البلاغة ، الخطبة ٣١٣ / ص ٢٤٠ .

في النص ، والأصل بتثنيتهما (بأزمتهما) و(مقاليدهما) إذ يقول : ((الظاهر وقوع تصحيف وكون الأصل (أزمَّتهما) و(مقاليدهما) بلفظ التثنية إرجاعا للأول إلى الدنيا والآخرة ، وللثاني إلى السموات والأرضين فإن أوّل الثاني يكون السموات والأرضون بلفظ الجمع فلا يتأتّى في الأول ، لكون كل من الدنيا والآخرة بلفظ المفرد ، وليسا في معنى الجمع حتى يعبّر عنهما بلفظ الجمع ، نظراً إلى المعنى ، كقوله تعالى : ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾[١] ، مع أن الثاني أيضا يعبّر عنه بلفظ الاثنين ، كقوله تعالى :﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٢]))[٣]، وقوله (عليه السلام) (مقاليدها) كناية عن قدرته وحفظه لها ، وأنه لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره[٤] .

ويبدو أن تأنيث الضمير وإفراده في (أزمتها) هو الراجح فلا داعي للتثنية كما استظهر التستري وعدّه تصحيفاً ، مع ورود الشواهد الصحيحة بعود الضمير على أحد المذكورين قبله ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[٥] ، فالضمير عائد على الصلاة ، والقاعدة في العربية أنَّ ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلاّ بدليل ، وقيل المعنى على التثنية واكتفى بعوّده على أحدهما ، وأنّه كقوله تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[٦]. ولم يقل ينفقونهما لدلالته على ذلك ، فالضمير المؤنث عائد على الذهب والفضة[٧].

٤ . **دلالة الضمير المفرد على مذكورينِ قبله** : وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في لُطف رسول الله وشفقته (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((... يَحْسَرُ الحَسِيرُ ، وَيَقِفُ الكسِيرُ ،

---

[١] الحج : ١٩ .

[٢] الأنبياء : ٣٠.

[٣] بهج الصباغة ١ / ٢٦٢ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ٨ / ٣٠٥ .

[٥] البقرة : ٤٥ .

[٦] التوبة : ٣٤ .

[٧] ينظر : التبيان في تفسير القرآن ٧ / ١٥٩ ، والبحر المحيط ١ / ٢٣٥ .

فَيقيمُ عَلَيهِ حَتّى يُلحِقهُ غَايَتهُ إلاّ هَالِكاً لا خَيْرَ فِيه))[١]، قال التستريّ : ((ويحسن في مثله توحيد الضمير لرجوع الحسير والكسير إلى معنى واحد ، وهو من لم يقدر على السير المتعارف ، و(يلحقه غايته) الضميران أيضا كالضمير في عليه ، ومراده(عليه السلام) أنه لمّا لم يكن كل الناس صاحب معرفة قوية يسلم حين يدعوه ، بل أنَّ كثيراً منهم كانوا آبينَ أولاً ، يداريهم ويدعوهم مرة بعد أخرى ، حتى يعرفوا الحق بالتأمل ويهتدوا))[٢] .

٥ . **دلالة ضمير الجمع على المفرد :**

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في الإمامة : ((وَقَدْ قالَ قائِلٌ : إنَّكَ عَلى هذا الأَمْرِ يا بنَ أبي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ، فَقُلْتُ : بَلْ أنْتُم وَاللهِ لأَحْرصُ وأبْعدُ ، وأَنَا أخَصُّ وأقْرَبُ))[٣] ، بيّن التستريّ دلالة ضمير الجمع (أنْتُم) في قوله (عليه السلام) بل أنتم على المفرد ، إذ إذ يقول ((وإنما قال ذلك بصيغة الجمع (بَلْ أنْتُم) مع أنَّ القائل له (إنَّكَ لحريصٌ) إنما كان واحداً لقوله (عليه السلام) (وقالَ قائِلٌ) لكون باقيهم على رأيه ، فيصحّ النسبة إلى جميعهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا** ﴾[٤]، مع أنَّ العاقر كان واحداً))[٥] .

ويعود ضمير الجمع على مفرد ، كقوله تعالى : ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[٦] ، قال أبو حيان(٧٤٥هـ) : ((والظاهر أنَّ ضمير النصب في (وَإِنَّهُم لَيَصُدُّونَهُم) عائد على المعنى ، أعاد أولاً على اللفظ في إفراد الضمير ثُمَّ أعاد على المعنى ، والضمير في(يَصُدُّونَهُم) عائد على شيطان قرين وإنْ كان مفردا ؛ لأنه مبهم في جنسه ولكل عاشٍ شيطانٌ قرين ، فجاز أنْ يعود الضمير مجموعا))[٧].

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٤ / ص ١٨٩ .

[٢] بهج الصباغة ٢ / ١٥٨. ١٥٩ .

[٣] نهج البلاغة، الخطبة ١٧٢ / ص ٣١٠ .

[٤] الشمس : ١٤ .

[٥] بهج الصباغة ٤ / ٣١٧ .

[٦] الزخرف : ٣٦ . ٣٧ .

[٧] البحر المحيط ٨ / ١٧ .

٦ . دلالة ضمير المؤنث على المذكر :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في الهجرة : ((فَمَن عَرَفَها وأقرَّ بِها فَهُو مُهَاجِرٌ))[١]، استظهر التستريّ أنَّ المراد بقول الإمام في هذا الموضع (حجة الله في الأرض) ؛ ولذا صرَّح بأنَّ الضمير وإنْ جاء مؤنثاً في (عرفها وأقرَّ بها) فهو دال على التذكير؛ لأنَّ المراد به الحجّة ، إذ قال : ((إنَّ هناك تصحيفاً في النسخ الأولية ، وكون الأصل فمن عرفه وأقرَّ به بالتذكير، فالضميران في (عرفها ، وأقرَّ بها) راجعان إلى الحجة في الأرض في قوله السابق والحجة في الأرض شخص لا معنى ، كقوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِم**﴾[٢]))[٣]، ولما وجّه سائر الشراح المراد بالضمير المؤنث(عَرَفَهَا وأقرَّ بِها) هو الحجة ، وهو شخص لا معنى تأوّلوا عوْده على لفظ آخر هو الهجرة كما صرح بذلك ابن أبي الحديد وابن ميثم البحراني[٤]، ويمكن التوفيق بين رواية الضمير المؤنث في(عرفها وأقرّ بها) وكون (الحجة) (الحجة) شخصاً لا معنى ، فيكون التأنيث حينئذٍ مراداً كما في رَجُل راويةٌ ونسّابةٌ وعَلاَّمَةٌ .

ومنه ما في قول الإمام (عليه السلام) في ذم الدنيا : ((أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ[٥] ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْها إلاّ صُبَابَةُ كَصُبابةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا))[٦]، أشارالتستري إلى أنَّ عوْد الضميرين في قوله(عليه السلام) (اصَطَبَّها صَابُّها) يعودان إلى الإناء وهو مؤنث لديه ، إذ يقول : ((الضميران راجعان إلى الإناء ، فلا بدّ من تأنيثه وإرجاعه إلى صبابة بأن يقال : صبّبَ الماء ويراد صبَّ الإناء بعيد فاستعمال الجمهرة والصحاح للإناء مذكراً

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٩ / ص ٣٥١ .

[٢] الشورى : ١٦ .

[٣] بهج الصباغة ٣ / ٢٩٨ .

[٤] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٠٣ ، وشرح ابن ميثم ٤ / ١٩٧ .

[٥] حَذَّاء: الماضية السريعة التي قد انقطع آخرها ، ولم يتعلق أهلها منها بشيْ ، ينظر : أساس البلاغة البلاغة : ٧٩ (حذذ) ، ولسان العرب ٣ / ٤٨٢ (حذذ) ، والصحاح في اللغة ١ / ١١٩ (حذذ) ، ونهج البلاغة (صبحي الصالح)٨٤ .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ٤٢ / ص٨٤ .

في غير محلّه ، وكيف كان فحيث أنّا بعد مجيئنا إلى الدنيا يكون كل نفس نتنفسه قدّمنا إلى مسافة الآخرة))[١] ، واصّطَبّها صابّها مثل قولك : أبقاها مبقيها ، أو تركها تاركها [٢]، وإطلاق الصبابة استعارة لبقيتها القليلة ، والقلّة هي الجامع بين المستعار منه والمستعار له[٣].

ويبدو أنَّ رد التستريّ على الجوهري وابن دريد في غير محلِّه ؛ لأنَّ الإناءَ على صيغة فِعال ، وهو من أسماء الآله كالحزام والنطاق وهذه الألفاظ مذكّرة اتفاقاً ، فلا بُدَّ من أنَّ الضمير المؤنث في (اصّطبها صابّها) عائد إلى الصُبابة وهي بقية الإناء .

٧. دلالة ضمير الجمع على العموم والتشريف :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في إمامتهِ: ((نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ المَلاَئِكَةِ ، وَمَعَادِنُ العِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الحُكْمِ))[٤]، وضحَ التستريّ[٥]، دلالة العموم والتشريف في الضمير (نَحْنُ) والمقصود أهل البيت (عليهم السلام) وهم بمنزلة النبي في نصّ القرآن ، في قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[٦]، وقال الرسول:(صلى الله عليه وآله وسلّم) ((أنا وعَليٌ مِن شَجَرَةٍ واحدةٍ ، وسائِرُ النَّاسِ مِن شَجَرٍ شَتّى))[٧].

وقد تبين لابن أبي الحديد أنَّ الإمامَ (عليه السلام) يطلق دائما هذه الصيغ الجمعية ، ويعني بها نفسه بغية التعظيم إزاء مبغضيه[٨]، وفي القرآن شواهد من ذلك : ﴿**الَّذِينَ قَالَ**

---

[١] بهج الصباغة ١٢ / ١٧٠ .

[٢] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ٢ / ٣١٨ .

[٣] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ٤ / ٢٠٢ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٩ / ص ٢٠٤ .

[٥] ينظر : بهج الصباغة ٣ / ١٨ .

[٦] آل عمران : ٦١ .

[٧] المناقب (للخوارزمي) : ٧٥

[٨] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٩ / ١٧٦ .

لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1] ، والقائل واحد ، وإنما عبّر بلفظ الجمع عن الواحد لتفخيم الشأن[2].

٨ . دلالة الضمير المؤنث على الجمع :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في التوحيد : ((بِهَا تَجَلّى صانِعُهَا لِلعقُولِ ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نظرِ العيُونِ))[3]، استظهر التستريّ أنَّ الضمير في (بِها) ليس للمشاعر وحدها ، وإنما هو للأمور والأشياء في قوله (عليه السلام) (وبمضادته بين الأمور) و(مقارنته بين الأشياء) بعد قوله (عليه السلام) (وبتشعيره المشاعر) ، ويشهد له أنَّ قبل الفقرة في خطبة الرضا (عليه السلام) (افترقتْ فَدَلَّت على مُفَرّقها ، وتباينتْ فأعربتْ عن مباينها) فإنَّ الضمير في (افترقت) و(تباينت) للأمور والأشياء قطعاً ، ويمكن أن يكون الضمير في(بها) للتشعير والمضادة والمقارنة في الفقرات الثلاث المتقدمة ، والضمير في (بها امتنع عن نظر العيون) راجعاً إلى العقول المذكورة قبله[4] ، وقال بعض الشرّاح ، أي : وبمشاعرنا استنبطنا استحالة كونه مرئياً بالعيون ؛ لأنَّا بالمشاعر والحواس كملت عقولنا ، وبعقولنا استخرجنا الدلالة على أنَّهُ لا تصحُّ رؤيته[5] .

والصواب كون الضمير في (بِها) راجعا للعقول المذكورة قبله ، أي : بالعقول وحكمها امتنع عن نظر العيون[6] ، وعوْد الضمير المؤنث إلى جمع التكسير كثيرٌ في القرآن ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [7]، فقد ذكر أبو حيان أنَّ

---

[1] آل عمران : ١٧٣ .

[2] ينظر : الكشاف ١ / ٤٨٠ ، والتبيان في تفسير القرآن٣ / ٥١ ، والبحر المحيط ٣ / ٤٣٦ .

[3] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٥ / ص ٣٤٣ .

[4] ينظر : بهج الصباغة ١ / ٢٩٨ . ٢٩٩ .

[5] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ٧٧ ، وشرح ابن ميثم ٤ / ١٥٨، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١١ ١١ / ١١٠ .

[6] ينظر : بهج الصباغة ١ / ٢٩٨ . ٢٩٩ .

[7] البقرة : ١٨٩ .

الضمير في (أبوابها) عائد إلى (البيوت) ، كما يعود ضمير المؤنث الواحدة ، مع أنَّ البيوت جمع كثرة ، وهذا ينافي التطابق بين الضمير وما يعود عليه[١].

ومنه أيضا ما في قول الإمام (عليه السلام) في التوحيد : ((لم تُحِط بِهِ الأوْهامُ بَلْ تَجَلّى لَها بِها ، وامْتنعَ مِنْها ، وإليْها حَاكَمَهَا)) [٢]، استظهر التستريّ وقوع تحريف في النص ، وأن الأصل : بل تجلّى للعقول بها كما يشهد له قوله (عليه السلام) في الآتي (بها تجلّى صانعها للعقول) ، ويكون معنى قوله بعده : (وبِها امْتَنَعَ مِنْها ، وإليها حاكَمَهَا) أنَّ العقول وحكمها أنَّهُ تعالى لا يدرك بالأوهام ،فامتنع من الأوهام أن تدركه فيكون الضمير في (بها) راجعا للعقول ، وفي (منها) راجعا إلى الأوهام ، وفي(إليها) أيضا راجعا للعقول ، وفي (حاكمها) راجعا إلى الأوهام[٣].

وذهب ابن أبي الحديد إلى أنَّ الأوهام هنا العقول ، أي : لم تتصور كنهُ ذاته ، ولكنه تجلّى للعقول بالعقول[٤] ، على حين يرى التستريّ أنَّ ((إرجاع الضمائر كلها إلى الأوهام ، كما يقتضيه السياق يحتاج إلى تكلّف بأنْ يكون من الأوهام المعنى الأعمّ لها من المتعارف ، ومن معنى العقول))[٥].

٩. تعدد أوجه دلالة الضمير :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يصف المتقين : ((لا يُخَالِفُونَ الدّينَ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُو بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ))[٦]، احتمل التستريّ عود الضمير(هو) إلى الدين أو القرآن ، إذ يقول : ((ظاهر السياق رجوع الضمير في الكلام إلى الدين ، ويمكن

---

[١] ينظر : البحر المحيط ٢ / ٧٢ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٥ / ص ٣٣٨ .

[٣] ينظر: بهج الصباغة : ١ / ٢٨٩ .

[٤] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ٤٨ .

[٥] بهج الصباغة ١ / ٢٨٩ .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ١٤٧ / ص ٢٥٨ .

رجوعه إلى القرآن لاتحادهما في الخارج))[١]، وذهب ابن أبي الحديد إلى أنَّ الضمير (هو) يعود إلى الدين ، فهو شاهد صادق يأخذون بحكمه كما يؤخذ بحكم الشاهد الصادق ، فهو صامت في الصورة وهو في المعنى أنطق الناطقين[٢]، وهذا المعنى الذي ذكره ابن أبي الحديد أنسب ، فلا داعي للاحتمال الذي ذكره التستريّ ولا سيّما مع ظهور دلالة الضمير على ما عاد إليه ظاهراً .

ومنه أيضاً ما في قوله (عليه السلام) في التوحيد : ((فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ ، وَلاَ ضَعُفَ ما قَوَّاهُ ، هُوَ الظّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتَهِ))[٣]، ويرى التستريّ أنَّ الضمير في قوله (عليها) راجع إلى الأرض في قوله السابق (وأنشأ الأرض) ، أو إلى (الخلائق) ، في قوله (خلق الخلائق)، والأول أقرب لفظاً ، والثاني معنى[٤].

ومنه أيضا ما في قول الإمام (عليه السلام) في أصحابه:((وإنّي لَعَلى بَيِّنةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيّي ، وإنّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الوَاضِحِ أَلقُطُهُ لَقْطاً))[٥]، ذكر التستريّ أنّ الضمير في (ألقطُهُ) يعود إلى الطريق وهو الظاهر من السياق ، واحتمل وجهاً آخرَ، إذ قال:((يمكن أنْ يرجع إلى الحق المفهوم من المقام ، بمعنى : أنَّه يلتقط الحق كما يلقط السنبل))[٦].

ويبدو أنَّ الذي حمل التستريّ إلى إعادة الضمير في (ألقطه) إلى المعنى المفهوم من السياق ، لا على الطريق المذكور ؛ لإنَّ (الطريق) في اللغة يذكر ويؤنث ، وقد جاء في لسان العرب : الطريق : السبيل يُذَكَّر ويؤنَّث ، تقول : الطريقُ الأَعْظَمُ ، والطريقُ العُظْمَى ، والجمع أَطْرِقَةٌ وَطُرقٌ[٧] ، ولا أرى ما ذكره التستريّ راجحاً ، بل أنَّ بقاء الضمير عائداً إلى (الطريق) أوفق للمعنى ، ((ولعلّ في التعبير بلفظة اللقطة إشارة إلى

---

[١] بهج الصباغة ٣ / ٥٠ . ٥١ .

[٢] ينظر : ابن أبي الحديد ٩ / ١٠٧ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٦ / ٣٤٥ .

[٤] ينظر : بهج الصباغة ١ / ٣٠٨ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ٩٧ / ص ١٧٨ .

[٦] بهج الصباغة ١٠ /٤٥١ .

[٧] ينظر : الصحاح في اللغة ١ / ٤٢٢ (طرق) ، ولسان العرب ١٠ / ٢١٥ (طرق).

غلبة طريق الضلال وكثرتها وتنبيهاً على أنَّ سالك طريق الهدى يحتاج إلى الجد والاجتهاد حتى يُميّزه من بينها))[1]، وما يقتضيه النظم الحسن أنْ لا تختلف الضمائر فيما تعود إليه ، فلا بدّ أنْ تعود الضمائر إلى شيء واحد ؛ لأنّ هذا ما تقتضيه الفصاحة ، بل قد يكون المتحدث يريد به ذلك ، بدلالة قول أبي حيان : ((لأنَّهُ إذا كان جعل الضمائر المتناسبة عائدة على واحد ، والمعنى فيها جيد صحيح الإسناد كان أولى من جعلها متنافرة ، ولا نعدل إلى ذلك إلاّ بصارفٍ عن الوجه الأول إمّا لفظي ، وإمّا معنوي))[2] .

المبحث الثالث

دلالة الإضافة

توطئة :

---

[1] منهاج البراعة (الخوئي) ١٦ / ٣٥ .

[2] البحر المحيط ١ / ٥٤٠ .

الإضافة : حالة نسبية متكررة بحيث لا تتصل إحداهما إلاّ مع الأخرى ، كالأبوة والبنوة ، وهي امتزاج اسمين على وجه يفيد تعريفاً أو تخصيصاً[١] .

وقال ابن جني : ((وهي في الكلام على ضربين : أحدهما ضم اسم إلى اسم وهو غيره بمعنى اللام ، والآخر : ضم اسم إلى اسم هو بعضه ، بمعنى من الأول منهما ، نحو قولك : هذا غلامُ زيدٍ ، أي : غلامٌ له ، وهذه دارُ عبدُ اللهِ ، أي : دارٌ له ، واعلم أن المضاف قد يكتسب كثيراً من أحكام المضاف إليه ، نحو التعريف ، والاستفهام ، ومعنى الجزاء ، ومعنى العموم))[٢] ، وقال ابن يعيش : ((اعلم أنَّ إضافة الاسم إلى الاسم إيصاله إليه من غير فصل وجعل الثاني من تمام الأول يتنزّل منه منزلة التنوين))[٣].

وهو باب كثير الدوران في اللغة العربية وأسلوب واسع الاشتمال ، بل هي أداة عظيمة وشائعة تستعمل في كثير من المواضع بياناً للمعاني المختلفة[٤] .

ويقول بروكلمان : ((المضاف والمضاف إليه في اللغات السامية يرتبط بعضهما ببعض ارتباطاً وثيقاً ، ويكاد يحيلهما في بعض الأحيان كلمة واحدة))[٥] .

وقد عُنيَ التستريّ في شرحه النهج بدلالات هذا النوع من المعارف وأغراضها عناية بالغة، فضلاً عن عنايته بدلالات المعارف الأُخر التي سبق ذكرها، وقد أفادت الإضافة معانٍ متنوعة ساعدت على إثراء دلالة السياق ، فمن ذلك :

١ . دلالة إضافة الشيء إلى ضدّه :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في تخويف أهل النهروان :((وَقَدْ كُنْتُ نَهيتُكُم عَنْ هذِهِ الحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إبَاءَ المُنَابِذِينَ ... وَأَنتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفّاءُ الهَامِ سُفَهَاءُ الأَحْلامِ))[٦] إذ بين التستريّ غرض الإضافة ، قائلاً : ((والسفيه مقابل الحليم، فإضافة السفهاء إلى

---

[١] ينظر : التعريفات ١ / ٨ ، وينظر : شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٠٨ .

[٢] اللمع في العربية : ١٣٧ ، وينظر : شرح الرضي على الكافية ٢ / ٢٠٦ .

[٣] شرح المفصل ٢ / ١١٨ .

[٤] ينظر : إحياء النحو : ٧٧ .

[٥] دراسات في فقه اللغة العربية : ١٢ .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ٣٦ / ص ٧٩ .

الأحلام تفيد أن حلمهم سفهَ))[١] ، والعرب تضيف الشيء إلى ضده إثباتاً للمضاف ونفياً للمضاف إليه ، والإضافة في (أَخِفّاءُ وسُفَهَاءُ) غير محضة ولذلك صحّ كونهما وصفين لمعاشر[٢]، وسبب سَفَههم وعدم كمالهم في العقل، أنّهم بالأمس كانوا معتقدين بوجوب التحكيم ، واليوم يزعمونه كفراً ، ويجعلونه ضراراً[٣].

٢ . دلالة إضافة الشيء إلى نظيره :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام)في صفة الأرض ودحوها على الماء: ((فَجَّرَ يَنَابِيعَ العُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أَنُوفِهَا))[٤]، إذ قال التستري إنَّ معنى إضافة (الينابيع) إلى (العيون) ((يُفهم من إضافته (عليه السلام) الينابيع إلى العيون ، كون الينبوع غير العين ، وأنَّ الينبوع أصل العين محل خروج الماء ، والعين ماؤه المجتمع ، لا كما توهم من اتحادهما))[٥].

وواضح من نفي التستريّ اتحاد المعنى بين العين والينبوع فهو يرى أنَّهُما نظيران ، بينهما فارق دلالي يتمثل بالعموم والخصوص ، ولا ينفي هذا التمايز ما بينهما مِن شبه معنوي .

ومذهب البصريين أنه لا يضاف الشيء إلى نفسه[٦]؛ لأنّ الغرض من الإضافة التعريف والتخصيص ، والشيء لا يتعرّف بنفسه ؛ لأنَّهُ لو كان فيه تعريف كان مستغنياً عن الإضافة ؛ ولأَنَّ الاسمين المترادفين على حقيقة لا يصيران غَيْرينِ بإضافة أحدهما إلى الآخر[٧] .

---

[١] بهج الصباغة ٥ / ٣٢١ .

[٢] ينظر : شرح ابن ميثم ٢ / ٩٢ .

[٣] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي)٤ / ١١٨ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ٨٩ / ص ١٦٢ .

[٥] بهج الصباغة ١ / ٤٢٢ .

[٦] ينظر : المقتضب ٣ / ١٠٢ ، والأصول في النحو ١ / ٥٢ ، والإيضاح العضدي ٢١٣ . ٢١٤ ، والخصائص ٣ / ٢٤ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٣٤ ، وأسرار العربية : ٢٨١ .

[٧] ينظر : الخصائص ٣ / ٢٤ ، وسر صناعة الإعراب ١ / ٣٩ ، والأنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٣٥٢ ، وأمالي السهيلي في النحو واللغة : ٧٠ ، وهمع الهوامع ٢ / ٥٠٨ .

أمّا الكوفيون فيجوّزون إضافة الشيء إلى نفسه[١] ، وإن اختلفا في اللفظ لوروده كثيراً في كتاب الله وكلام العرب[٢]، نحو ، قوله تعالى :﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ**﴾[٣]، واليقين في المعنى نعت للحقّ ؛ لأنَّ الأصل فيه الحق اليقين ، وقوله تعالى:﴿**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ**﴾[٤] ، والحب في المعنى هو الحصيد، الحصيد، ومثله قولهم : بَارِحَةُ الأوْلى ، وَيَوْمُ الخَمِيسِ ، فيضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظ ، وإذا اتفقا لم يجز ذلك ، فلا يجيزون : إضافة الحق إلى اليقين ؛ لأنهم يتوهمون إذا اختلفا في اللفظ أنّهما مختلفان في المعنى[٥] ، ورأى الخوئي أنَّ قوله (عليه السلام) (ينابيع العيون) أنَّهُ اعتبر في الينبوع الجريان بالفعل ، فيكون من قبيل إضافة الخاص إلى العام ، أو لتكرير المبالغة[٦].

ومنه . أيضاً . ما في قول الإمام (عليه السلام) يحذّر من فتنة الدنيا : ((ألاَ إنَّ الدُّنيَا دَارٌ لا يُسْلَمُ مِنْها إلاَّ فِيهَا ... فإنَّهَا عِنْدَ ذَوِي العُقُولِ كَفَيءِ الظِّلِّ))[٧]، وضّحَ التستريّ سبب الإضافة : فقال : ((كلّ فَيْء ظِلّ ، وليس كل ظلٍّ فيئاً ، أي : كلّ ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل ، وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل ، ولكون الظلّ أعمّ صحّ إضافة الفيء إليه ، وهي إضافة غرضها التوكيد))[٨] ، والظلّ في الحقيقة إنّما هو شعاع الشمس دون الشعاع ، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظلٍّ[٩] وعلل ابن أبي الحديد صحّة إضافة (الفيء) إلى (الظل) لما فيهما من تغاير معنوي بأنَّ العرب

---

[١] ينظر : معاني القرآن (الفرّاء) ٢ / ٥٦ ، ١٦٨ ، ٣٣٠ ، وإعراب القرآن (النحاس) ٤ / ٣٤٨ .

[٢] ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٣٥٢ ، وهمع الهوامع ٢ / ٥٠٩ .

[٣] الواقعة : ٩٥ .

[٤] سورة (ق) : ٩ .

[٥] ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤ / ١١٦ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ٢ / ٣٥٢ .

[٦] ينظر : منهاج البراعة ٧ / ١٢ .

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ٦٣ / ص ١٠٠ .

[٨] بهج الصباغة ١٢ / ٨ .

[٩] ينظر : الصحاح في اللغة ١ / ٤٣٧ (ظلّ) ، و لسان العرب ١١ / ٤١٥ (ظلّ) .

تضيف الشيء إلى نفسه[١]. وذهب بعض شرّاح النهج إلى أن الفيء أخصّ من الظلّ ؛ ولذلك حَسُنَ إضافتهِ إليه[٢].

ومنه . أيضاً . ما في قول الإمام (عليه السلام) في التوحيد :((لاَ تَبْلُغُهُ الصِّفاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ))[٣]، عرض التستريّ إلى إضافة لفظة (ذات) إلى الله تعالى ، في قوله (عليه السلام) (علم ذاته) إذ يقول ((فإنّ ذاتاً بمعنى الحقيقة ليس تاؤه للتأنيث ، وإنّما هو ذات وصفي ، في قِبال ذو تاءه للتأنيث ، نقول : رجلٌ ذو مَالٍ وامرأةٌ ذاتَ مَالٍ ، كما أن (علاّمَة) ليست تاؤه للتأنيث ، بل للمبالغة ، كيف ويطلق على الرجال ، فيقال : فُلانٌ علاّمةُ الدَّهرِ ؟))[٤] .

وذكر ابن أبي الحديد أنَّ (ذات) لفظة قد طال فيها كلام كثير من أهل العربية ، فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى وإضافتها إليه ؛ لأنَّهُ عينُ الشيء والشيء لا يضاف إلى نفسه ، وأجاز آخرون إطلاقها في البارئ تعالى وإضافتها إليه لوجهين :

أحدهما : أنّها جاءت في الشعر القديم ، قال حبيب الصحابي عند صلبه[٥] :

وَذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشأ يُبَارِكُ عَلى أوْصَالِ شَلوٍ مُوزّع .

والآخر : أنَّها لفظة اصطلاحية فجاز استعمالها لا على أنَّها مؤنث ذو ، بل تستعمل ارتجالاً في مسمّاها الذي عبّر عنه أرباب النظر الإلهي[٦]، على حين يرى التستري أنَّ ذاتَ يعني الحقيقة ، وقد خلطوا بينه وبين ذات وصفي بمعنى الصاحبة ، ويشهد لخلطهم أنَّ ابن الأنباري قال في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[٧]، ومعناه بحقيقة القلوب من المضمرات ؛ فتأنيث (ذات) لهذا المعنى ،

---

[١] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٥ / ١٤٤ .

[٢] ينظر: منهاج البراعة : (الراوندي) ١ /٢٨٤ ، وحدائق الحقائق ١ / ٣٩٤ وشرح ابن ميثم ٢ / ١٦٠ ، وشرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ١ / ١٨٧ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ / ص ١٥١ .

[٤] بهج الصباغة ١ / ٢٣٦ .

[٥] ورد هذا الشاهد في الأغاني ٤ / ٤٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ٦ /٥٤٨ .

[٦] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٦ /٥٤٨ .

[٧] فاطر : ٣٨ .

كما قال تعالى :﴿ **وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ** ﴾[١]، فأنّث على معنى الطائفة ، فجعل (ذَاتِ الصُّدُورِ) كـ (ذَاتِ الشَّوْكَةِ) ، مع أنّ الثاني وصف والأصل : أنَّ الطائفة غير ذات الشوكة ، وقد استعمل (الذات) مضافا إليه تعالى في غير كلامه (عليه السلام) ، في كلام سيدة النساء في خطبتها في فدك : (مكدودا في ذات الله) ، وكلامها في مرضها الذي توفيت فيه : (وتنمّره في ذات الله)[٢]، وقد استعار أصحاب المعاني (الذات) ، فجعلوها عَرضاً واستعملوها مفردة ، ومضافة إلى المضمر بالألف واللام ، وأجروها مجرى النفس والخاصّة ، فقالوا : ذاته ، نفسهُ ، وخاصّتهُ ، وليس ذلك من كلام العرب[٣].
العرب[٣].

٣. دلالة إضافة الصفة إلى الموصوف :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يذكر الملاحم والحروب : ((فَلاَ تَزَالُونَ كَذلِكَ حَتّى تَؤُوبَ إلى العَرَبِ عَوَازِبُ[٤] أحْلاَمِهَا !))[٥]، إذ استظهر التستريّ أنَّ إضافة (عَوازِبُ) إلى إلى (أحلامها) هي من إضافة الصفة إلى موصوفها ، والأصل فيها أحلامها العازبة ، إذ يقول :((عوازب أحلامها مِن إضافة الصفة إلى موصوفها ، أي ما غاب عن عقولها))[٦]، وهذا النوع من الإضافة هي من صور العدول عن الأصل في بناء التركيب ، لإفادة لإفادة المبالغة ، وفيها عدولانِ : تقديم التابع ، وإضافة المتبوع ، وذهب النحويون إلى عدم تجويز إضافة الموصوف إلى صفته ، ولا الصفة إلى موصوفها وقالوا : دارُ الآخرةِ ، وصَلاةُ الأولى ، على تأويل : دارُ الحياة الآخرة ، وصلاة الساعة

---

[١] الأنفال : ٧ .

[٢] ينظر: بهج الصباغة ١ / ٢٣٧ .

[٣] ينظر : المفردات (الأصفهاني) ٣٣٣ (ذات) .

[٤] عَوازِبُ : جمع عازب ، أي : غائبات عقولها ، ينظر : لسان العرب ١ / ٥٩٥ (عزب) ، وتاج العروس ١ / ٧٥٨ (عزب) ، ونهج البلاغة (صبحي الصالح) ٢٤٧ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ١٣٨ / ٢٤٧ .

[٦] بهج الصباغة ٦ / ٥ .

الأولى[١] ، قال أبو حيان : ((وذهب بعض النحاة إلى جواز إضافة الصفة إلى الموصوف ، نحو : كريمُ زيدٍ ، أي : زيدُ الكريمِ))[٢] ، وأنكر ذلك أبو علي الفارسي (ت٣٧٧هـ) وقال : ((والعرب لا تقول : قائمٌ زيد ، ولا قاعدٌ عمرو ، ويريدون : زيدُ القائم وعمرو القاعد))[٣].

وقد علل ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) رفض النحويين هذا النوع من الإضافة ، إذ يقول : ((وأمّا امتناع إضافة الصفة إلى موصوفها فلأنَّهُ أيضاً يخرجها عن وضعها بتقديمها وخروجها عَن كونِها تابعة ، وخروج متبوعها عن أنْ يكون متبوعا ، وأجاب عنه بأنَّ هذه صفات في الأصل حُذِفَ موصوفها ، فصارت موضوعة للذات ، ثُمَّ رأوها مبهمة كإبهام (خاتم حديد) وشبهه ، فأضافوها إلى ما بينها، فصارت في الصورة كأنها مُضافة إلى موصوفها))[٤]، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم ، قوله تعالى :﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**﴾[٥]، فـ (سُوءَ) من من إضافة الصفة إلى الموصوف ، والمقام يقتضي ذلك ، فما لاقاه بنو إسرائيل من آل فرعون لا يكفي وصفه بأنّه عذاب سيء ولا عذابٌ سوءٌ ، لكن الوصف اللائق به أفاده نظم الآية[٦].

ومنه أيضاً ما في قول الإمام (عليه السلام) في التوحيد : ((فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذي لاَ يَبْلُغُهُ بُعْدُ الهِمَمِ وَلا يَنَالَهُ غَوْصُ الفِطَنِ))[٧]، ذهب التستريّ إلى أنَّ قول الإمام (عليه السلام) (غَوْصُ الفِطَنِ) و (بُعْدُ الهِمَمِ) هو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، جاء ذلك راداً على الشارح الخوئي ، إذ ذهب إلى أنَّها من إضافة الصفة بلفظ المصدر إلى الموصوف

---

[١] ينظر :الإيضاح العضدي : ٢١٣ ، و سر صناعة الإعراب ١ / ٣٤ ، واللباب في علل البناء والإعراب ٣ / ٣٩١ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٤٩ .

[٢] ارتشاف الضرب ٢ / ٥٠٧ . ٥٠٨

[٣] الإيضاح العضدي : ٢١٣ .

[٤] الأمالي النحوية (ابن الحاجب) ٣ / ٤٤ .

[٥] البقرة : ٤٩ .

[٦] ينظر : المحرر الوجيز ١ / ٢٨٥ ، والجامع لإحكام القرآن ١ / ٣٨٤ .

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ١ / ص١٧ .

وليس من باب إضافة الصفة للموصوف على ما قيل لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف ، والأصل : الهممُ البعيدة ، والفطن الغائصة[١].

وقد ضعّف التستريّ هذا بقوله : ((ما قيل سليم ، وما قاله هو عليل ، فالمطابقة إنما إذا بقيت الصفة على وصفها لا بعد تبديلها ، فيقال : زيدٌ بَعِيدُ الهِمَمِ ، والأصل : ذو هِممٍ بَعِيدة))[٢]، ويرى التستري أنها بدّلت عن وصفها ، وهذا الرأي هو الأقرب ؛لأنّ المعنى يستقيم عليه ، على الرغم من أنَّه لا يخلو من استعارة بإسناد النيل إلى الفطن ، والإدراك إلى البعد .

وذهب ابن ميثم البحراني إلى أنَّ إضافة الغوص إلى الفطن ، والبعد إلى الهمم ، إضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر إلى الموصوف ، والتقدير: لا تناله الفطن الغائصة ولا تدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن في هذه الإضافة وتقديم الصفة ، أنَّ المقصود لمّا كان هو المبالغة في عدم إصابة ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمّة من حيث هي بعيدة ، كانت تلك الحيثية مقصودة بالقصد الأول ، والبلاغة تقتضي تقديم الأهم[٣]، وجوّز الراوندي أنْ يقال : البعد والغوص مصدران ها هنا بمعنى الفاعل ، كقولهم : فلانٌ عدلٌ ، أي : عادل ، كقوله تعالى :﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ** ﴾[٤]، أي : غائراً ، فيكون المعنى : لا يدركه العالم البعيد الهمم فكيف الجاهل[٥].

ومنه . أيضا . ما في قول الإمام (عليه السلام) يصف فئة من أهل الضلال : ((وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ ، وَهَجَرُوا السَّببَ الَّذي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ ، ونَقلُوا البِناءَ عَنْ رَصِّ أساسِهِ ، فبَنُوهُ فِي غِيرِ مَوْضِعِهِ))[٦]، إذ وضّح التستري أنَّ إضافة (رصّ) إلى (أساسه) ((من إضافة الصفة مع كون المصدر بمعنى المفعول ، أي : أساسه المرصوص ، كما قال تعالى :﴿

---

[١] ينظر : منهاج البراعة ١ / ٣٠٢ .

[٢] بهج الصباغة ١ / ١٩٣ .

[٣] ينظر : شرح ابن ميثم ١ / ١١٤ .

[٤] المُلك : ٣٠ .

[٥] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٣ / ٥٩ .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٠ / ص ٢٦٢ .

كأنّهم بنيانٌ مرصوصٌ ﴾[١]، أي : ملصق بعضه ببعض))[٢]، والرصّ مصدر رصصت الشيء أرصّهُ ، أي : نقلوا بناء الدين من أساسه المرصوص فبَنَوُهُ في غير موضعه ، وهو إشارة إلى عدولهم بالخلافة عن أصلها ومكانها، وهو توبيخ وتقريع لأولئك بعدولهم عن أوصياء الله[٣]، كما وبّخهم الله في موضع آخر ، إذ قال تعالى :﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٤].

٤. **دلالة الإضافة إذا كانت بمعنى (اللام):**

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في فضل الإسلام : ((جَعَلَ اللهُ فيهِ مُنْتَهى رِضْوانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ، وَسِنَامَ طَاعَتِهِ))[٥]، إذ قال التستريّ في معنى الإضافة : ((أي : أعلى دعائمه والإضافة بمعنى اللام))[٦]، أي : إنّهُ رجّحَ أنْ تكون معنى الإضافة هنا للملك ، واستظهر الخوئي أنَّ المراد بالدعائم ((العبادات التي بنيت عليها بيت العبودية ، وإضافة الدعائم إلى الله من باب التشريف والتكريم ، باعتبار أنّها مجعولات له سبحانه ، وفي بعض الأخبار أنَّ ذروة دعائمه هو خصوص الجهاد)) [٧].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي أنَّ الإضافة ((تعبير آخر ليس على تقدير حرف فقد يصحّ تقدير حرف في تعبير ، وقد يمتنع تقدير أي حرف في تعبير آخر ، وما صحّ تقديره بحرف لا يطابق معناه معنى المقدَّر ، فهي أعمّ من أن تكون بمعنى حرف ، ومما يدل على ذلك امتناع إظهار أي حرف من هذه الحروف في قسم من التعبيرات ، نحو قوله تعالى :﴿**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴾[٨]، و قوله تعالى:﴿ **لَهُمْ مَا**

---

(١) الصف : ٤ .

(٢) بهج الصباغة ٣ / ٥٢٢ .

(٣) ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ٩ / ١٤٤ .

(٤) التوبة : ١٠٩ .

(٥) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٨ / ص ٣٩٦ .

(٦) بهج الصباغة ١٢ / ٢٧٧ .

(٧) منهاج البراعة ١٢ / ٢٩٤ .

(٨) النمل : ٦ .

يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[١]، ونحو ذلك مما يدل على أنَّ الإضافة أوسع من أنْ نكون بمعنى حرف))[٢] .

٥ . دلالة إضافة الشيء إلى أصله :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) : ((وإنّما تَسيرونَ فِي أَثرٍ بَيّنٍ وَتَتكلَّمُونَ بِرَجعِ قَوْلٍ قَدْ قَالهُ الرِّجالُ مِن قَبلِكُمْ))[٣]، إذ ذكر التستريّ أنّ معنى الرجع عام (الخير والشر) وهو مضاف إلى أصله (القول) عموماً ، ودلالة إضافة (رجع) إلى(قول) هي تكرار لمجاوبة بين فريقين ، بدليل قوله تعالى :﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ** ﴾[٤]، فيكون الرجع في كلامه كلامه (عليه السلام) بمعنى النفع[٥] ، وهو بهذا المعنى في قوله تعالى :﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ الرَّجْعِ** ﴾[٦]، ذلك أنَّ العرب كانوا يزعمون أنَّ السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض ، أو أرادوا التفاؤل فسمّوه رجعاً وأوباً ليرجع ويؤوب[٧]، على حين ذهب ذهب ابن أبي الحديد إلى معنى خاص بأنَّ الرجع في قول أمير المؤمنين يقتصر على معنى التوحيد وهو معنى عام يتضمن كل نفع ، إذ قال:((إنَّ الرجع في قوله (عليه السلام) يعني كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) قد قالها الموحدون من قبل هذه الملّة لا تقليداً ، بل بالنظر والدليل، فقولوها أنتم كذلك))[٨]، ولعلَّ رأي التستريّ أولى بالقبول لما يتواءم مع سياق قوله (عليه السلام) .

---

[١] سورة (ق) : ٣٥ .

[٢] معاني النحو ٣ / ١٠٢ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٣ / ص ٣٣٥ .

[٤] سبأ : ٣١ . ٣٢ .

[٥] ينظر : بهج الصباغة ١ / ٣٧٤ .

[٦] الطارق : ١١ .

[٧] ينظر : الكشاف ٤ / ٥٧٦ .

[٨] شرح ابن أبي الحديد ٩ / ١٠٩ .

٦ . دلالة إضافة الشيء إلى غير أصله :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في عجيب صنعة الكون : ((وَكانَ من اقْتدارِ جَبروتِهِ ، وَبَديعِ لطَائفِ صَنعَتِهِ))[١]، إذ قال التستري: إضافة الاقتدار إلى جبروته تعالى ، مع أنَّ الأصل إضافته إليه تعالى ، كما في نسبة الإكرام إلى مثوى يوسف(عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾[٢]، مع أنّ الأصل النسبة إليه (عليه السلام) للدلالة على المبالغة[٣] ، وجاز ذلك في موضع آخر في وصف الموت ،`فإضافة الاقتدار إلى الجبروت في قوله (عليه السلام) هي للتعظيم والتفخيم ، أو للتنبيه على أنَّ الله تعالى الأعظم المطلق[٤] ، بدلالة قوله تعالى :﴿ **أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾[٥]، وإضافة القَدمَ القَدمَ إلى صدقٍ دلالة على زيادة وفضل، وأنه من السوابق العظيمة [٦]، ومنه قول ذي الرّمة[٧]:

لَكُم قَدَمٌ لا يُنْكِرُ النَّاسُ أنَّها مَعَ الحَسَبِ العاديِّ طَمَّتْ على الفَخْرِ .

٧ . دلالة إضافة الصفة إلى مفعولها :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يوصي أصحابه في المحافظة على الصلاة والإكثار منها: ((وإنّها لتحتُّ الذُّنوبَ حتّ الوَرَقِ وتَطلقُها إطلاقَ الرَّبَقِ))[٨]، إذ صرّح التستريُّ أنَّ قوله (عليه السلام) ((وتطلقها إطلاق الربق من إضافة الصفة إلى مفعولها ، كما في (حتَّ الورق) ، فكما أن المعنى في الأول أنَّ الصلاة تحت الذنوب حتّكَ للورق ،

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٢١١ / ص ٤١١ .

[٢] يوسف : ٢١

[٣] بهج الصباغة ١ / ٤٣٢ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ١٤ / ٦٨ .

[٥] يونس : ٢

[٦] ينظر: الكشاف ٢ / ٤٩٢ .

[٧] ديوانه : ١٢٩ .

[٨] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٩ / ص ٣٩٩ .

كذلك المعنى في الثاني أنَّ الصلاة تطلق الذنوب إطلاقك الربق عن البهائم))[١]، أي أنَّهُ قدّر مضافاً محذوفاً وهو ضمير الكاف ، وأقيم المصدر المنصوب مقامه وبقي المضاف إليه المجرور في حكم المفعول به ؛ لأنَّ الحتَّ والإطلاق واقعٌ عليه .

على حين رأى ابن أبي الحديد أنَّ الإضافة في قوله (تطلقها إطلاق الربق) على معنى التشبيه البليغ ، أي : تطلق الصلاة الذنوب كما تطلق الحبال المعقدة[٢]، ورأى الخوئي أنَّ قوله (عليه السلام) على القلب ، أي : أنَّ الإطلاق وقع على الربق ، وهو للبهائم المقيدة بالربق ، والمراد أنَّها تطلق أعناق النفوس مِن أغلال الذنوب إطلاق أعناق البهائم من الإرباق[٣]. ورأي ابن أبي الحديد أرجح لعدم تكلّفه عمّا نراه في رأيي التستري والخوئي والخوئي بسبب التقدير .

ومنه قول الإمام (عليه السلام) في ذكر أهل البصرة : ((وَاللهِ لاَ أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدمِ ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضَرُ البَاكِيَ ثُمَّ لاَ يَعْتَبِرُ))[٤]، إذ بين التستريّ أنّ المراد بـ ((مستمع اللَّدم اللَّدم هو الذي يُسمع الآخرين اللوم ، ومستمع بمعنى مُسْمِع فيكون (اللَّدم) في حكم المفعول به و(مستمع اللَّدم) هو كناية عن ضرب المرأة وجهها وصدرها في النياحة ، ويشهد له قوله ((يسمع الناعي ويحضر الباكي))[٥].

على حين رأى ابن أبي الحديد أنَّ ((مستمع اللدم كناية عن الضبع تسمع وقع الحجر بباب جحرها من يد الصائد ، ومراده (عليه السلام) : لا أكون مقراً بالضيم أسمع الناعي المخبر عن قتل عسكر الجمل))[٦]، ونقض التستريّ هذا المعنى لأنّهُ لا ربط

---

[١] بهج الصباغة ١٣ / ١١٥ .

[٢] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ١٠ / ٢٠٢ .

[٣] ينظر : منهاج البراعة ١٢ / ٣٢٧ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٤٨ / ص ٢٥٩ .

[٥] بهج الصباغة ١٠ / ١٦ . ١٧ .

[٦] شرح ابن أبي الحديد ٩ / ١١٠ ، وينظر : ومنهاج البراعة (الراوندي) ١ / ١٤٩ ، وحدائق الحقائق ١ / ١٨٣ .

لسماع الناعي وحضور الباكي بالضبع ، فلم يقل أحد أنَّ مستمع اللَّدم كناية عَن الضَّبع ، وإنما قالوا : إنَّ الضبع سمع اللَّدم ، أي : الصوت فتخرج فتُصاد[1].

المبحث الرابع
التقديم والتأخير

توطئة :

تشكل ثنائية التقديم والتأخير خصيصة مهمة من خصائص التركيب في العربية إذْ :((إنَّ الكلمة تحمل معها ما يدلُّ على صِيغها الإعرابية ، ومنها أن تقديمها وتأخيرها في

---

[1] ينظر : بهج الصباغة ١٠ / ١٧ .

الجملة يعطيها وظيفة أخرى ومعنى آخر غير المتمثل في الإعراب))[١]، كما أنَّ فيها دلالة واضحة على ((حسُن التصرف في الكلام ووضعه الموضع الذي يقتضيه المعنى))[٢] .

وقد كان التقديم والتأخير موضع عناية الدراسات النحوية والبلاغية ، وكان سيبويه أول مَن أشار إليه ، إذ قال :((كأنّهُمْ إنّما يُقدّمون الذي بيانهُ أهمّ لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإنْ كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم))[٣]، غير أنَّ هذا التعليل لم يَرُقْ للجرجاني ، ولم يقف عنده ، بل تجاوزه إلى ضرورة بيان وجه العناية والأهمية ، فيقول : ((وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أنْ يُقال : إنَّهُ قُدِّمَ للعناية ولأنّ ذكره أهم مِن غير أنْ يذكرَ مِن أينَ كانت تلك العناية وبِمَ كانَ أهم ؟))[٤].

وأكّدَ الجرجاني أنَّ ترتيب الكلمات يتبع أحوال النفس وما يثار فيها من معانٍ وصور ، إذ قال : ((إنّ الألفاظ إذا كانت أوعية للكلمات ، فإنّها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب المعنى أن يكون أولاً في النفس وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق))[٥].

وما استعمله العرب في كلامهم إلاّ ((دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق))[٦] ، فالتقديم والتأخير ظاهرة ذات أثر واسع وكبير في إثراء اللغة وإنماء عناصرها ، حتى عدت لونا من ألوان حريتها ، وخصيصة من خصائصها ؛ لما بينها وبين المعنى من صلة وأسباب ، وقد حظيَ أسلوب التقديم والتأخير بعناية كبيرة من لدُن التستري انصبَّت على بيان الأسرار الكامنة وراء تقديم ألفاظ النهج وتأخيرها وإبراز دلالتهما، فجاء شرحه زاخراً بوقفاته الدلاليّة عند هذا الأسلوب الذي اتخذ صوراً من التقديم والتأخير يمكن حصرها بما يأتي :

---

[١] الدلالة الزمنية في الجملة العربية : ٢٥ .

[٢] أساليب بلاغية : ١٦٨ .

[٣] الكتاب ١ / ٣٤ .

[٤] دلائل الإعجاز : ١٠٨ .

[٥] دلائل الإعجاز : ١١٤ .

[٦] الصاحبي في فقه اللغة : ٢٠٨ ، وينظر : البرهان في علوم القرآن ٣ / ٢٣٣ .

أولاً : تقديم الخبر على المبتدأ :

الأصل هو أن يتقدم المبتدأ ؛ لأنه المسند إليه والمحكوم عليه ، والحكم على الشيء لا يكون إلا بعد معرفته ، فصار لزاما تأخير الخبر ؛ لأنه وصف للمبتدأ ومحكوم به ، فحقه التأخير لفظا كما هو متأخر معنى [١].

ولقد ذهب أصحاب المعاني إلى ذلك أيضا ، فقال الجرجاني : ((لم يكن المبتدأ مبتدأ لأنَّه منطوق به أولا ، ولا كان الخبر خبرا لأنَّه مذكور بعد المبتدأ ؛ بل كان المبتدأ مبتدأ ؛ لأنَّه مسند إليه ومثبت له المعنى ، والخبر خبرا ؛ لأنَّه مسند ومثبت به المعنى ... ولو كان المبتدأ مبتدأ لأنَّه في اللفظ مقدم مبدوء به لكان ينبغي أن يخرج عن كونه مبتدأ بأن يقال : (مُنْطلقٌ زَيدٌ) ، ولوجب أن يكون قولهم : (إنَّ الخبر مقدمٌ في اللفظ والنية به التأخير) محالا))[٢]، وقد وردت عدّة أمثلة من تقديم الخبر تلمّس لها التستري الدلالات الآتية :

١ . حصر معنى الخبر بالمبتدأ :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يصف الإنسان :((مَسكينُ ابنُ آدمَ : مكتومٌ الأجَلِ ، مكنونُ العِلَلِ ، مَحْفُوظُ العَملِ ، تُؤلمُهُ البَقَّةُ ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرقَةُ))[٣] ، إذ ذكر التستريّ بأن دلالة تقديم الخبر (مَسكينُ) على المبتدأ (ابنُ آدمَ) هي حصر المسكنة بابن آدم ، إذ قال : ((تقديم الخبر للحصر لاختصاصه دون سائر الحيوانات بمجموع هذه الصفات لأنّهُ(عليه السلام) في مقام بيان مسكنته فتقديم الخبر أهم))[٤] ،، ودلالة التقديم هنا مناسب للتفصيل الذي ذكره الإمام في معرض بيانه لأسباب وصف ابن آدم ، فالكلام مخصص لذلك ، ومثل هذه الدلالة قد ألمح إليها الشارح البحراني في قول آخر للإمام (عليه السلام) يصف الفتنة : (وحتّى لا يكون أعظمكم فيها عناءً أحسنُكم بالله ظناً)[٥] ، قدَّم خبر (كان)

---

[١] ينظر : الكتاب ١ / ٢١ ، والمقتضب ٤ / ٨٧ ، والأصول في النحو ١ /٦٢ ، الخصائص ٢ / ٣٨٤ ، شرح الرضي على الكافية ٤ / ١٩٩ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٢٢٧.

[٢] دلائل الإعجاز : ١٠٦.

[٣] نهج البلاغة ، الحكمة ٤١٩ / ص٦٨٦ .

[٤] بهج الصباغة ١١ / ٢٤٣ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ٩٨ /ص ١٧٩ .

(أعظمَكُم) على المبتدأ (أحْسَنُكُم) إذ قال : ((وإنّما كان كذلك ؛ لأنَّ مَن حسَنَ الظن بالله كان أشدَّ الناس بُعداً عنهم وتوكلاً عليه فيكونون عليه أشدّ كَلَباً له أقوى طلباً فكان منهم أكثر تعباً))[١] .

ومثل هذا في حصر معنى الخبر بالمبتدأ ما في قول الإمام (عليه السلام) يصف القلوب : ((القلبُ مُصحَفُ البصرِ))[٢]، فقد بيّن التستريّ أنَّ ((مُصحَفُ البصرِ هو المبتدأ المؤخر ، وأنّ الخبر هو (القلبُ) أي : أنَّ مراده (عليه السلام) أنَّ البصر لا يبصر إلاّ بعد توجّه القلب ، فالإنسان قد ينظر إلى شيء ، إلاّ أنَّ قلبه متوجّه إلى غيره ، فكما يحتاج الإنسان غالبا لقراءته إلى المصحف كذلك تحتاج العين في إبصارها إلى القلب))[٣].

على حين رأى ابن ميثم أنَّ (القلب) هو المبتدأ ، واستعار لفظ المصحف خبراً له ؛ لكون أنَّ كلَّ تصور في الذهن أُريد التعبير عنه ، فلا بد أنْ يتصوّر حروف العبارة عنه في لوح الخيال ، والحس البَصَري ، فالقلب كالمصحف الذي يشاهدون فيه الألفاظ ويقرأونه بالبصر فلذلك أضافه إلى البصر[٤]، وهو معنى مؤيد ببقاء الرتبة الأصلية للجملة وبعدم التأويل .

٢ . بيان أهمية الخبر :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في التوحيد : ((فَلاشَيءَ إلاّ اللهُ الواحدُ القَهَّارُ الَّذي إليهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأمُور بِلا قُدرةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتداءُ خَلقِهَا))[٥] ، إذ بيّن التستريّ بأن تقديم تقديم خبر كان (بلا قدرةٍ) على اسمها (ابْتداءُ خَلقِهَا) يفيد الدلالة على العناية به إذ يقول

---

[١] شرح ابن ميثم ٣ / ٨ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٤٠٩ / ص ٦٨٤ .

[٣] بهج الصباغة ١٤ / ١٥٧ . ١٥٨

[٤] ينظر: شرح ابن ميثم ٥ / ٤٤١

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٦ / ص ٣٤٦

: ((إنّ الظرف الأول بلا قدرة منها خبر كان قُدِّم لكونه مهماً في القصد ، والظرف الثاني(منها) متعلق بالأول))[١].

ويعضّد هذه العناية بالمتقدّم سياق الكلام أولاً ، وفيه تقدّم الجار والمجرور (إليه) على المبتدأ (مصيرُ جميع الأمور) ليدلَّ التقديم به وبما بعده على معنى أنَّ ابتداء خلق الأمور وانتهائها بيد الواحد القهّار .

٣ . التخصيص :

ومنه قوله (عليه السلام) في بيان الأسباب التي تُهلك الناس: ((أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهرٍ قَطُّ إلاَّ بَعْدَ تَمْهِلٍ وَرَخَاءٍ ... وفي دُونِ مَا اسْتَقْبلتُمْ مِنْ عَتَبٍ ، ومَا اسْتدبرتُم من خَطبٍ مُعتبرٌ ، وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ))[٢]، إذْ نَصَّ التستريّ على أَنَّ دلالة التخصيص في تقديم الخبر (في دون) على المبتدأ (معتبرٌ) ، إذ قال :((معتبرٌ مبتدأ لقوله (وفي دون) لكونه مختصاً يقال لك : في هذا الأمر عبرةٌ ومعتبرٌ))[٣] .

وقد بيّنَ الشيرازي دلالة هذا التقديم بقوله : ((ومعتبرٌ مبتدأ مؤخر خبره قوله (عليه السلام) (في دون) ، أي : إنَّ إذلال الزمان لكم وإنزال الخطوب بكم كافٍ لأنْ تعتبروا))[٤].

وأصحاب البيان يطبقون على أنّ تقديم الخبر يفيد الحصر، سواء أكان ظرفا أم جاراً ومجروراً ، كقوله تعالى : ﴿**لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ**﴾[٥]، أي: بخلاف خمور الدنيا فإنَّها تغتال العقول ، فالتقديم هنا يفيد الاختصاص فضلاً عن العناية ، وكذلك كونَ المقدَّم في تقديمه معنى لا يحصل عند التأخير[٦]، ومنه قول الشاعر[٧] :

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهى لِكِبَارِهَا وَهِمَّتَهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِن الدَّهرِ .

---

[١] بهج الصباغة ١ / ٣١٣

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٨٨ / ص ١٤٤ .

[٣] بهج الصباغة ٢ / ٥٣٤ .

[٤] توضيح نهج البلاغة ٢ / ٢٤ .

[٥] الصافات : ٤٧ .

[٦] ينظر : شروح التلخيص ٢ / ١٥٤ ، والإيضاح في علوم البلاغة ١ / ١٣٩ ، والإتقان في علوم القرآن ٢ / ١٣١ .

[٧] ينسب لـ (بكر بن النطاح) ورد في (الإيضاح في علوم البلاغة) ٢ / ١٣٦ .

ومثل هذا في دلالة هذا النمط على الاختصاص ما جاء في قوله (عليه السلام) يذكر فضله ويعظ الناس ((وَعِنْدَنا أهلَ البَيْتِ أبْوَابُ الحُكْمِ وَضِياءُ الأَمْرِ))[١] ، فقد ذكر التستري أنَّ المقصود بالحُكْم القضاء والفصل بين الناس في الخصومات والدعاوي وأن يُراد به الحكم الشرعي ، لقصد الاختصاص والتخصيص قَدَّمَ(عليه السلام) المسند ، وقال :(وعندنا أبواب الحُكم) أي :عندنا نور الإمامة والولاية[٢].

ومنه في قوله (عليه السلام) من وصية لابنه الحسن (عليه السلام) ((وليَكُنْ لَهَ تَعَبُّدكَ وإليهِ رَغْبَتُكَ ومنهُ شَفَقَتُكَ))[٣]، ذهب التستريّ أنَّ دلالة التقديم هنا تفيد الحصر ، إذ يقول ((وتقديم الظرف في الثلاثة للحصر (لهُ ، وإليهِ ، ومِنْهُ) وأنه لا يجوز التعبد لغيره ولا الرغبة ولا الشفقة من غيره تعالى))[٤]. فقدّم خبر كان (لهُ) على اسمها (تعبّدُكَ) للدلالة على أنَّ التعبد محصور لله تعالى وحده .

ولا بدَّ مِن الإشارة إلى أنَّ تقديم أشباه الجمل هنا واجب ؛ لأنَّ تأخيرها يؤدّي إلى معنى غير مقبول شرعاً ، إذ يصير التعبُّد والرغبة والشفقة لله ولغيره وهو معنى غير مطلوب ؛ لذا كان التقديم في المعنى واجباً .

ثانياً : تقديم المفعول به على الفاعل :

الأصل في ترتيب الجملة الفعلية أن يتقدّم الفعل فالفاعل ثمَّ المفعول به ، وهذه الرتبة قد تتغيَّر ، فيقدَّم المفعول به على فاعله أو فعله ، قال ابن جني: ((إنّ الأصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل كَضَرَبَ زيدٌ عمراً ، فإذا عناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل فقالوا : ضربَ عمراً زيدُ ، فإذا ازدادت عنايتهم به قدّموه على الفعل ناصبه فقالوا : عمراً ضربَ زيدُ ، فإن تضاهرت العناية به عقدوه على أنّه ربّ الجملة

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٢٠ /ص ٢٢٢ .

[٢] ينظر : بهج الصباغة ٤ / ٣٢٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ٧ / ٢٨٩ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٨ / ١٢٥ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٣١ /ص ٥٠١ .

[٤] بهج الصباغة ٨ / ٢٧٤ .

وتجاوزوا به حد كونه فضلة فقالوا : عمراً ضَرَبَهُ زيدٌ ، فجاءوا به جميعاً ينافي كونه فضلة ...وذا كلّه يدلُّ على شدة عنايتهم بالفضلة))[١]، وقد أورد التستري بعض الدلالات تلمّسها من أمثلة مختلفة تَقَدَّمَ فيها المفعول به على الفاعل ومن أهمها :

١ . مراعاة الترتيب المعنوي :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) : يَعِظُ الناس ويهديهم من ضلالتهم ((وَكيفَ يُراعي النَّبأةَ مَنْ أصَمَّتهُ الصَّيحَةُ))[٢]، وفيه تقديم المفعول به (النبأةَ) على الفاعل(مَنْ) ، فقد بنى التستريّ أنَّ دلالة هذا التقديم هو ترتيب المعنى في السياق بغية زيادة الإفهام والإيضاح ، إذ قال : ((إنَّ قوله (عليه السلام) أصَمّتهُ الصيحةُ كناية عن عدم ترتيب الأثر على الصوت القوي كالأصمّ عنه ، وحينئذٍ فمن لم يراع الصيحة كيف يراعي النبأةَ ، ومراده (عليه السلام) أنَّ الأمّة التي لم تراعِ مُحكمات القرآن في أهل البيت ، كقوله تعالى :﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[٣]، لم تراعِ تأكيدات النبي فيهم))[٤] ، فقدّم (النبأةَ) على الفاعل (مَنْ) وجعله في حيز الاستفهام لينبّه المخاطب على أنّ المقدّمَ يمثل موضع عنايته ، وقد جاء هذا الاستفهام مُفرغا من دلالته الحقيقية ليفيد دلالة التعجب .

واستعار (عليه السلام) لفظ (النبأةَ) لدعائه لهم وندائه إلى سبيل الحق ، والصيحة لخطاب الله ورسوله ، وهي استعارة على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة إلى قوة دعاء الله ورسوله ، وقد ورد قوله هذا في مورد الاعتذار لنفسه في عدم فائدة وعْظهِ لهم ، والاعتذار لهم في ذلك أيضاً على سبيل التهكم والذم[٥].

وكان ابن أبي الحديد قد فَهِمَ أنَّ ترتيب السياق كان على الأصل قبل التقديم والتأخير ، إذ قال ((كيف يراعي العِبَرَ الضعيفة من لم ينتفع بالعبر الجلية الظاهرة ،

---

[١] المحتسب١ / ٦٥ . ٦٦ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٤ / ص ٣٤ .

[٣] المائدة : ٥٥ .

[٤] بهج الصباغة ٣ / ٧ .

[٥] ينظر : شرح ابن ميثم ١ / ٢٧١ .

وذلك من أصمّته الصيحة القوية ، فإنه مُحال أنْ يراعي بعد ذلك الصوت الضعيف ، والنبأة هي الصوت الخفي))[١].

ويبدو لي أنَّ رأي ابن أبي الحديد أولى بالقبول ؛ لأننا لو رتّبنا الإخبار على أصله لقلنا : مَنْ أصَمَّتهُ الصَّيحَةُ فكيفَ يُراعي النَّبأةَ ، وبِهِ نستدلُّ على أنَّ فاعل (يراعي) الذي يؤثر في المفعول (النَّبأةَ) مقدّر وحينئذٍ لا تقديم .

ومدار تقديم المفعول على الفاعل في اللغة إنما يدور على الاهتمام والعناية وإن كان موطن الاهتمام مختلفاً بحسب المقام[٢]، قال سيبويه : ((فإن قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأول ، وذلك قولك : ضرب زيداً عبدُ اللهِ ؛ لأنّكَ إنّما أردتَ مؤخراً ما أردت به مقدَّماً ، ولم ترد أنْ تشغلَ الفعلَ بأوَّل منه وإنْ كان مؤخراً وهو عربيٌ جيِّد كثيرٌ))[٣].

٢ . بيان أهمية المفعول :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في التوحيد : ((لَمَ يَمنعْ ضَوْءَ نُورِها ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللّيلِ))[٤]، إذ تلمّس التستريّ غرض دلالة التقديم هنا فقال : ((قُدِّمَ المفعول به ضوءَ على ادلهمام[٥] للأهمية))[٦]، وقد ذكر ابن أبي الحديد أنَّ بعض الرواة روى (ادْلِهْمَامُ) بالنصب، وجعله مفعولاً ، و(ضَوْءَ نُورِها) بالرفع وجعله فاعلاً، أي : لا القمر ولا الكواكب تمنع الليل من الظلمة ، ولا الليل يمنع الكواكب والقمر من الإضاءة[٧].

---

[١] شرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٠٨ .

[٢] ينظر : معاني النحو ٢ / ٤٨ .

[٣] الكتاب ١ / ٣٤ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٢/ص ٣٢٨ .

[٥] ادلهمام : أي : اسوداد ، وأدْلَهُمَّ الليل كثُف الظلام وأسْوَدّ ، ينظر : لسان العرب ١٢ / ٢٠٦ (دلهَمَ)، وتاج العروس ١ / ٧٧١٣ (دلهم) ، ونهج البلاغة (صبحي الصالح)٣٢٨ .

[٦] بهج الصباغة ١ / ٣٣٠ .

[٧] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٠ / ٨٥ .

إلاّ أنَّ أكثر النسخ برفع (ادْلِهْمَامُ) على أنَّه فاعل للفعل يمنع ، ونصب (ضوءَ) على أنه مفعول به[١]، والأظهر أنَّ التركيب على رواية التقديم والتأخير وذلك بنصب ضوء ورفع ادلهمام ؛ لأنَّهُ الأنسب للمعنى الذي ذكره الإمام (عليه السلام) .

ثالثاً : تقديم أحد المفعولين على الآخر :

إنَّ لترتيب المفاعيل أساسا يقوم عليه ، وهو أنَّ الرتبة المقدّمة تعطى السابق بحسب ما كان عليه أصلا ، فالمفعول الذي أصله مبتدأ تكون رتبته التقديم ، والمفعول الذي هو فاعل معنى تكون رتبته التقديم أيضا هذا هو الأصل ، ولكن يجوز مجيء الكلام خلافا له إذا لم يكن ثمة مانع فيه ، ولا شك في أن لذلك غرضا في المعنى ، وقد تلمّس التستري لرتبة المفعولين في النهج دلالتين رئيستين ، هما :

١. مراعاة الترتيب المعنوي :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يصِف الغافلين عن الله تعالى : ((مَالِي أَرَاكُمْ عَنْ اللهِ ذَاهِبِيْنَ ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِيْنَ ! كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعىً وَبِي ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ ، لا تَعرفُ مَاذا يُرَادُ بِـها إذا أُحْسِنَ إليها تحسَبُ يَومَها دَهْرَهَا وَشِبْعَها أمْرَهَا))[٢]، إذ رأى التستريّ أنَّ معنى السياق ظاهر بالترتيب الأصلي الذي ذكره الإمام وهو أن يكون (يومها وشبعها) مفعولين أوْلِينِ ، و(دَهْرَهَا وأمْرَهَا) مفعولينِ ثانيين ، إذ قال :((بل المفعولان بالترتيب ، والمراد أنَّها تَحْسِبُ أنَّ في جميع دهرها مثل يومها وأنَّ شبعها هو أمرها ولا تعرف أنَّ لها يوما تجعل المِدية على حلقها وتشبع لأكلِ لحمها))[٣].

لكن الشارح ابن أبي الحديد وتبعه والخوئي قد حملا التركيب على التقديم والتأخير ، فذهبا إلى أن المفعول الثاني هو المُقدَّم (يومَها) و(شبعَها) على المفعول الأول (دهرها) و(أمْرها) ، واستظهر الخوئي دلالة الحصر بقوله : ((الظاهر أنَّ (يومها) مفعول ثانٍ وكذلك (شبعها) يعني تظن أنَّ دهرها مقصور على ذلك اليوم وانحصار شأنها في الشبع

---

[١] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٢ / ١٨٨ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١٠ / ٣٠٢ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ١٧٥ /ص ٣١٥ .

[٣] بهج الصباغة ١١ / ٣٨٦ .

))[١]، أي : إنَّ الخوئي فَهِم من التركيب التقديم ذلك أنَّ الغافلين كالبهائم ؛ لأنهم يحسبون عمرهم الطويل كيومهم الذي هم فيه وأن غاية أمرهم في الدنيا أكلهم وشبعهم .

٢ . بيان أهمية المفعول الثاني :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) إلى أهل الكوفة : ((وَإِنّي أُذكّرُ اللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هذَا لَمَّا نَفرَ إليَّ ، فَإنْ كُنْتُ مُحْسِناً أعانَنِي ، وإنْ كُنْتُ مُسْيِئاً اسْتَعْتَبَنِي))[٢]، إذ وضّحَ التستريّ دلالة التقديم قائلاً : ((قُدِّمَ (اللّه) لفظ الجلالة مفعولاً ثانياً لأهميته على المفعول الأول (مَنْ)))[٣]، ودلالة كلامه (عليه السلام) الثقة بالنفس فهو غير شاكٍ بنفسه بأنَّه ليس بمسيء ، إلاّ أنَّه تكلّم بكلام المنصف ليتأمل المتأمل ، ويطلع على حقيقة الأمر بالعيان[٤] .

رابعاً : تقديم متعلقات الجملة الفعلية :

وقد تلمّس التستريّ لهذا التقديم دلالة الحصر وذلك في قول الإمام (عليه السلام) من دعاء له : ((اللّهمَّ إليكَ أفْضَتِ القلُوبُ ، وَمُدَّتِ الأعْناقُ ، وشَخَصَتِ الأَبْصَارُ ، ونُقِلَتِ الأَقْدَامُ ، وَأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ))[٥] ، فقد بيّن التستري أنَّ الجار والمجرور (إليك) قُدِّمَ على متعلقه جملة (أفضت القلوب) وبيّن فائدة هذا التقديم فقال : ((وتقديم الظرف (إليك) للحصر، أي : إنّ وقوع جميع هذه الأمور كان مختصاً لك))[٦]، فأشار (عليه السلام) بإفضاء القلوب إلى الإخلاص له في تلك الحال ، وبمد الأعناق وشخوص الأبصار إلى ما يستلزمه الإخلاص من الهيئات البدنية[٧]، فالجار والمجرور من متعلقات الإسناد ، ورتبتها ورتبتها عند النحويين والبلاغيين هي التأخير عن الإسناد ومكونيه : المسند والمسند

---

[١] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٠ / ١٠ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١٠ / ١٧٨ .

[٢] نهج البلاغة ، الكتاب ٥٧ / ص ٥٧٢ .

[٣] بهج الصباغة ١٠ / ٤٩ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٣ / ٢١٦ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ١٥ / ص ٤٧٣ .

[٦] بهج الصباغة ٧ / ٣٠ .

[٧] ينظر : شرح ابن ميثم ٤ / ٣٨٦ .

إليه[١]، وعلى الرغم من ذلك فإنَّ هذه الرتبة غير محفوظة في نظام الجملة العربية ؛ ولذا قدّم (إليك) على الفعل (أفضت) والأصل : (أفضت القلوب إليك) ودلالة هذا التقديم هي الحصر في الإفضاء بما في القلب لله وحده .

ومثل هذا في تقديم متعلق الفعل الماضي قول الإمام (عليه السلام) يذكر فيه آل الرسول (صلّى الله وعليه وآله وسلّم) : ((وهُم دَعَائِمُ الإسْلامِ ، وَوَلائِجُ الاعْتِصَامِ بِهِم عَادَ الحقُّ إلى نِصَابِهِ ، وانْزَاحَ الباطِلُ عنْ مُقَامهِ))[٢]، صرّح التستريّ بأنَّ دلالة التقديم هي الحصر ، فقال : ((إنَّ تقديم الظرف (بِهم) على (عَادَ الحقُّ) ، مفاده أنَّ بغير أهل البيت لا يمكن رجوع الحق في محله ، وقوله (عليه السلام) بعدُ (وانقطع لسانه عن منبته) أيضا يفيد الحصر في أنَّ عدم استطاعة الباطل للتكلّم لا يحصل بغيرهم))[٣] ، فالتقديم بالظرف (بهم) (بهم) ابتداءً أفاد الحصر في كل الجمل المتعاطفة ، وكلامه(عليه السلام) يشير إلى خلافته وحكمه ، وأنَّ بحكمه عاد الحق إلى مكانه الطبيعي .

خامساً : التقديم والتأخير في سياق الكلام :

قال الإمام (عليه السلام) في الخطبة الشقشقية : ((وَلاَ يَرقَى إليَّ الطَّيرُ، فَسَدلْتُ دُونَها ثَوْباً ، وطَويتُ عَنْها كَشْحاً[٤]، وطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أنْ أصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ ، أوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ ، يَهْرَمُ فيها الكَبيْرُ ، وَيَشيبُ فيها الصَّغيرُ ، وَيَكْدَحُ فِيْهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى

---

[١] ينظر : المقتضب ٤ / ١٠٢ ، والمثل السائر ٢ / ٢٤٦ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٣٩ / ص ٤٥٤ .

[٣] بهج الصباغة ٣ / ٥٧ . ٥٨ .

[٤] كشحاً : أعرض عنها ، ينظر : لسان العرب ٢ / ٥٧١ (كشح) ، وتاج العروس ١ / ١٧٢٤ (كشح (كشح) ونهج البلاغة (صبحي الصالح) ٢٨ .

رَبَّهُ!))[1]، إذ فَهِمَ الشارح ابن أبي الحديد أنَّ في هذا السياق تقديما وتأخيراً ، وذلك أنَّهُ(عليه السلام) قَدَّمَ : ((فَسَدلتُ دُونَها ثوباً ، وطَويتُ عَنْها كَشْحاً)) ، والسياق يقتضي أنْ يقدّمَ : ((وطَفِقْتُ أرتئي بَيْنَ أنْ أصُولَ بِيَدٍ جذّاء ، أو أصبرَ على طَخيةٍ عَمياءَ ، يَهرمُ فيها الكَبيرُ ، فيها الصَّغيرُ ، فرأيت أنَّ الصَّبرَ أحْجَى فسدلتُ دونها ثوبًا ، وطويتُ عنْها كشحًا ، وصبرت وفي العين قذى ...)) ؛ لأنَّهُ لا يجوز أنْ يسدلَ ثوبا دونها ويطوي عنها كشحا ثم يطفق يرتئي بين أنْ ينابذهم أو يصبر[2].

على حين يرى التستريّ أنَّهُ لا تقديم ولا تأخير ، وإنما كلامه (عليه السلام) من باب الإجمال والتفصيل ، فأجملَ أولاً : إعراضه عنها بقوله :((فَسَدلتُ دُونَها ثوباً وطَويتُ عَنْها كَشْحاً))، وفصّل ثانياً بقوله : ((وطفِقتُ أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذّاء أو أصبر على طخيةٍ ... وصبرت وفي العين قذى)) ، فرأى أمره بين محذورين صولة غير منتجة ، وغمضة مؤلمة ، والمحذور الثاني أقرب إلى العقل فاختاره[3].

ولمّا أخرج التستريّ المسألة من باب الإجمال والتفصيل أقرَّ فيها تقديما وتأخيراً ولكن على نحو ينقض ما ذكره الشرّاح السابقون ، فقدَّم ما رآه متأخراً وهو قول الإمام ((فَسَدلتُ دُونَها ثوباً وطَويتُ عَنْها كَشْحاً)) ، وأخَّرَ ما رآهُ مُتقدّماً وهو ((وطَفِقْتُ أرتئي بَيْنَ أن أصُولَ بِيَدٍ جذّاء ...)) .

ويعضّد ما ذهب إليه التستريّ أنَّ مسألة التفريع بعد الإجمال قد وردت في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى :﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ**﴾[4]، والمراد بالتكذيب الأول التكذيب المطلق وهو تكذيبهم بالرسل ، وبالثاني بنوع خاصة ،

---

[1] نهج البلاغة : الخطبة ٣ / ص ٢٨ .

[2] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١ / ٥١ ، وشرح ابن ميثم ١ / ٢٥٥ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٣ / ٤٤ .

[3] ينظر : بهج الصباغة ٥ / ٣١ .

[4] القمر : ٩ .

كقوله تعالى : ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**﴾[١]، والمعنى : كذبت قوم نوح المرسلين فترتب عليهم تكذيبهم لنوح ، وهو وجهٌ حَسَنٌ[٢].

المبحث الخامس

الحذف والذكر

توطئة :

---

[١] الشعراء : ١٠٥ .

[٢] ينظر : تفسير الميزان ١٩ / ٣٦ .

هو ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانيّة ، وتظهر مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحاً ، كما هي الحال في العربية لما جبلت عليه في خصائصها الأصيلة من الميل إلى الإيجاز[١]، وقد كان لعلماء العربية أثرٌ كبيرٌ في رسم صورة واضحة عن الحذف ، فقد أشار إليه سيبويه إذ وضعه تحت باب أسماه (باب ما يكون في اللفظ من الأعراض) ((اعلم أنهم مما يحذفون الكلم وإنْ كان أصله في الكلام غير ذلك))[٢]، فقد بيّن سيبويه أن الحذف قد يكون لسعة الكلام والاختصار ، وذلك قولك : متى سِيْرَ عَليهِ ؟ فيقول : مَقدَم الحاجِّ ، وخفوق النجم ... فإنما هو زمن مَقْدَمِ الحاجِّ ، وحينَ خفوقِ النجمِ ، ولكنه على سِعَة الكلام والاختصار[٣].

وعدّه ابن جني من أبواب شجاعة العربية بقوله : ((قد حذفت العرب الجملة ، والمفرد ، والحرف ، والحركة ، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه ، وإلاّ كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))[٤]، وهو من أسرار اللغة الذي يمكن أن تتحقق به أغراض دلالية كثيرة ، فإن حذف أي عنصر من عناصر التركيب اللغوي يستدعي بالضرورة غموضاً دلالياً ، فضلاً عن القيمة الجمالية التي يكتسبها التركيب ، إذ يؤكد عبد القاهر الجرجاني ذلك بقوله : ((هو بابٌ دقيقُ المَسْلك ، لطيفُ المأْخذ ، عجيبُ الأمرِ ، شبيهٌ بالسحرِ ، فإنّكَ ترى به ترك الذّكر ، أفصحَ مِن الذكر ، والصَّمتَ عَن الإفادة ، أزيدَ للإفادةِ ، وتجدكَ أنطقَ ما تكون إذا لم تُنطِق ، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لمْ تُبنْ))[٥]، ثم يضيف قائلاً : ((فما من اسم أو فعل تجده قد حُذِفَ ، ثمّ أُصيب به موضعه ، وحُذِف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها ، إلاّ وأنت تجدُ حذفَهُ هناك أحسنَ من ذكره ، وترى إضماره في النفس أولى ، وآنس من النطق به))[٦]، وقد عُني التستريّ بهذه الظاهرة

---

[١] ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : (طاهر سليمان حموده) : ٩

[٢] الكتاب ١ / ٢٤ .

[٣] ينظر : الكتاب ١ / ٢٢٢ .

[٤] الخصائص ٢ / ٣٦٢ .

[٥] دلائل الإعجاز : ١٤٦ .

[٦] دلائل الإعجاز : ١٥٣ .

وأشار إليها في مواضع كثيرة ، وذكر دلالاتها المختلفة تبعاً لتعدّد اختلاف أنماطها ، ولعلَّ أهمَّ تلك الأنماط ودلالاتها ما يأتي :

١ . **حذف المبتدأ لإعمام دلالته :**

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يصف الإيمان ((سَبيلٌ أبلجُ المِنهَاجِ ، أنْورُ السِّراجِ ، فَبِالإيمانِ يُستَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ))[١]، إذ صرّح التستريّ بحذف المبتدأ وبقاء خبره ؛ وذلك لأنَّ المبتدأ يجوز أنْ يكون بمعنى الإيمان أو الدين عموماً ، إذ يقول :((سبيل خبر مبتدؤه محذوف راجع إلى المذكور قبله ولعلّه الدين ، ويحتمل أن يُراد به الإيمان لقوله (عليه السلام) بعدُ (فبالإيمان)))[٢].

وقد يحذف المبتدأ لوجود قرينة حالية ، أو لفظية تغني عن النطق به فيحذف لدلالتها عليه جوازاً أو وجوباً[٣]، وقد ذكر النحويون أن المبتدأ يحذف في الجملة الاسمية إذا دلَّ عليه المعنى ، يحذف للاختصار ، والاحتراز عن العبث بظهوره ، كقوله تعالى : ﴿ **وما أدْرَاكَ مَاهِيه نارٌ حامِيةٌ** ﴾[٤]، و(نارٌ) خبر مبتدأ محذوف ، أي : هِيَ نارٌ حامِيةٌ[٥].

وقد وصف(السبيل) بأنه أبلج المنهاج ، أي : واضح الطريقة المستقيمة ، وهو خبر لمبتدأ محذوف دلّ عليه سياق الكلام أي (الإيمان)[٦]، و قال الخوئي : ((سبيل أبلج استعارة مرشحة فإن الإيمان لمّا كان موصلاً صاحبه إلى الجنة صحّ استعارة لفظ السبيل له ، كما صحّ التعبير عنه بلفظ الصراط بذلك الاعتبار في قوله تعالى :﴿**أهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** ﴾[٧]))[١]، وذكر يحيى بن

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٦ / ص ٢٧٣ .

[٢] بهج الصباغة ١٢ / ٣٦٩ .

[٣] ينظر : شرح الرضي على الكافية ١ / ٢٤١ ، ومغني اللبيب ٢ / ٦٢٩ ، والتذييل والتكميل ٣ / ٣١٣

[٤] القارعة : ١٠ . ١١

[٥] التبيان في إعراب القرآن (العكبري) ٢ / ٤٧٥ .

[٦] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٢ / ١٠١ .

[٧] الفاتحة : ٦ . ٧

حمزة العلوي(٧٤٩هـ) أنَّ الغرض من هذا الإبهام هو((المبالغة في الحديث للتشويق إلى معرفة ما أُبْهم وإنَّما وجبَ ذلك في ضمير الشأن ؛ ذلك أنَّ الجملة إذا صدّرت بالضمير وفسرتَها كانت النفوس متطلعة إلى تفسير ما أبهم وبيان ما أُجمِلَ ، أكثر منها إذا كان مِن أول وهلة واضحا جليا فلا يكون لها توقان إليه، ولا تحظى بمزيد اشتياق))[٢].

٢ . **حذف المبتدأ للعلم به :**

وذلك في قول الإمام(عليه السلام) : ((وَمُجْتَنِيَ الثَّمْرَة لِغَيْرِ وَقْتِ إِيْنَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ)) [٣]، إذ ذكر التستريّ دلالة المبتدأ المحذوف هو العلم به إذ يقول :((وهو خبر بعد خبر المبتدأ ، هو (قيامي) ، أي : قيامي في هذا الوقت كاجتناء ثمرة غير يانعة لا ينتفع مجتنيها بها))[٤]، وذهب ابن ميثم إلى أن قوله (عليه السلام) (ومجتني الثمرة ... كالزارع بغير أرضه) تنبيه على أن ذلك ليس وقت طلب هذا الأمر[٥].

ورأى الخوئي أن مجتني الثمرة مبتدأ و(كالزارع) خبره ، والمعنى : مَن اجتنى الثمرة قبل أنْ تدرك لا ينتفع بها ، كما لا ينتفع الزارع بغير أرضه من زرعه لعدم الإقامة في محل زراعته[٦] .

وقد ضعّف التستريّ هذا الوجه بقوله : ((لا معنى لهذا فلا يريد (عليه السلام) أنْ يبين عدم فائدة اجتناء ثمرة غير يانعة حتى يجعله كالزارع بغير أرضه ، بل كل منهما واضح كونه أمراً عقلانياً))[٧]، والمعنى الذي استنبطه التستري من قوله (عليه السلام) أولى بالقبول لمناسبة سياق الحال التي وردت فيه الخطبة ، فالإمام معني ببيان سبب عدم قيامه للناس وليس غير ذلك ، ومع وجود القرينة الحالية جاز الحذف بدلالة قول الرضي : ((لا

---

[١] منهاج البراعة ٩ / ٢٨٥ .

[٢] الإيجاز لأسرار كتاب الطراز ١ / ١٣٩ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٥ / ص ٣٦ .

[٤] بهج الصباغة ٤ / ٣٠٠ .

[٥] ينظر : شرح ابن ميثم ١ / ٢٧٧ .

[٦] ينظر : منهاج البراعة ٣ / ١٣٦ .

[٧] بهج الصباغة ٤ / ٣٠٠ .

يحذف شيء من الأشياء إلاّ لقيام قرينة ، سواء أكان الحذف جائزا أو واجباً))[١]، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾[٢]والتقدير: هي نار الله ، فحذف المبتدأ في الجملة على طريقة استعمال أمثاله من كل إخبار عن شيء بعد تقدّم حديث عنه وأوصاف له[٣].

ومنه . أيضاً . ما في قول الإمام (عليه السلام) يصف خلق الكون : ((وأجْرى فيها سِرَاجاً مُستطيراً وقَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دائرٍ وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائرٍ))[٤]، استظهر التستريّ دلالة المحذوف ، بقوله : ((الظاهر أنَّ (دائر) خبر لكلمة (كل) المحذوفة ، لا صفة لـ (فلك) ، وفي (فلك) متعلق به ، ومثله سائر ومائر ، فيكون المعنى : كل الكواكب الشمس والقمر دائرٌ في فلك ، وسائرٌ في سقف ، ومائرٌ في رقيم ، فيكون مساوقا لقوله تعالى : بعد ذكر الشمس والقمر : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[٥]))[٦] .

ورأى الخوئي أنَّ (في فَلَكٍ دَائِر) ظرف وهو إمّا بدل عن (فيها) ، فيفيد حركة السفلى أو العليا ، أو الجميع على تقدير إرجاع الضمير بالحركة اليومية ، وإمّا في موضع حال عن المنصوبين[٧].

٣ . حذف الخبر لدلالة المبتدأ عليه في جملة القسم (ايمُ اللهِ) :

قال الإمام (عليه السلام) : ((وايمُ اللهِ مَا كَانَ قومٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِن عَيْشٍ ، فَزَالَ عَنْهُم إلاَّ بِذنُوبٍ اجْتَرَحُوها))[٨] ، فقد بين التستري أنَّ (ايم الله) قسمٌ مخفف (أيمن) من

---

[١] شرح الرضي على الكافية ١ / ١٨٧ .

[٢] سورة (الهُمزة) : ٥ . ٦ .

[٣] ينظر : التحرير والتنوير ١٦ / ٣٨٧ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٧ / ص ٣٤٨ .

[٥] الأنبياء : ٣٣ .

[٦] بهج الصباغة ١ / ٤٧١ .

[٧] ينظر: منهاج البراعة ١ / ٣٨١ .

[٨] نهج البلاغة ، الخطبة ١٧٣ / ص ٣١٢ .

اليمين ويجوز في همزتها الفتح والكسر ، وقد حذفوا منه النون والتقدير : أيمُ اللهِ قَسَمِي[١] ، كما في قوله تعالى :﴿ **قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيا** ﴾[٢] ، ، قال سيبويه : ((اعلم أنَّ القسم توكيد لكلامك)) [٣]، فالقسم جملة يؤكَّد بها جملة أخرى كلتاهما خبرية المعنى ما لم يصحب القسم سؤال[٤] .

وقد يكون اللفظ المعبر عن القسم اسماً ، إذا كان القسم بـ (أيمن) ، فالنحويون يقدرون أنَّ (أيمن) مبتدأ وأن خبره (قسمي أو يميني ، أو ما أقسم به) قال سيبويه : ((أيمن مفرد مشتق من اليُمن وهو البركة ، أي : بركة الله يميني ، وبعض العرب يقول : أيْمُنُ الكعبة لأفعلنَّ ، كأنّه قال : لَعَمْرُ اللهِ المقسم به ، وكذلك أَيْمُ اللهِ وأيْمُنُ اللهِ))[٥]، كما كما يجوز جعله مبتدأ يجوز تقديره خبراً ، ويقدر الكلام : قسمي يمين الله [٦] .

٤ . حذف الموصوف للعلم به :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في التوحيد : ((ومَا تَسْقُطُ مِن ورقةٍ تُزيلُهَا عَن مَسقَطِها عَواصِفُ الأنْوَاءِ وانهطالُ السَّماءِ))[٧]، وضّح التستريّ أنَّ الأصل في قوله (عليه السلام) قوله تعالى :﴿**وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[٨] ، فقد حُذِفَ الموصوف (الرياح) للعلم به ، وإبقاء الصفة (عواصف) التي بمعنى الشدائد للدلالة عليه[٩]، وحق الصفة أنْ تصحب الموصوف إلاّ إذا

---

[١] ينظر : بهج الصباغة ١٢ / ١٤ .

[٢] مريم : ٢٠

[٣] الكتاب ٣ / ١٠٤ .

[٤] ينظر : الإيضاح العضدي ٢٠٨ ، واللمع في العربية : ٢٨٦ ، والتوطئة (لأبي علي الشلوبين) : ٢٣٦ .

[٥] الكتاب ٣ / ٥٠٣ ، وشرح ابن يعيش ٩ / ٩٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٧٣.

[٦] ينظر: شرح الأشموني على الألفية ١ / ١٧٨ .

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٢ / ص ٣٢٩ .

[٨] الأنعام : ٥٩ .

[٩] بهج الصباغة ١ / ٣٣٢ .

إذا ظهر أمره ظهوراً يستغنى تبع عن ذكره ، فحينئذٍ يجوز تركه وإقامة الصفة مقامه ، كقوله تعالى : ﴿ **وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ**﴾[١]، أي : نساء قاصرات الطرف ، ومنه قول النابغة[٢] :

كأنّكَ مِن جِمالِ بَنِي أُقَيشٍ يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيهِ بِشَنِ .

أي : كأنَّكَ جَمَلٌ من جمال بني أقيش[٣].

وقول الشاعر[٤]:

أنَا ابنُ جَلاَ وَطَلاّعُ الثَنايا مَتى أضعِ العَمَامةَ تعرفُوني .

والتقدير : أنا ابنُ رجلٍ جَلاَ[٥].

وقال الرضي : ((اعلمْ أنَّ الموصوف يحذف كثيراً ، إنْ عُلِم ، ولم يوصف بظرفٍ أو جملة ، كقوله تعالى :﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[٦]، أي : ضحكاً قليلاً وبكاءً كثيراً))[٧] ، وعلى الرغم من ورود حذفه كثيرا في القرآن وكلام العرب ، إلاّ أنَّ بعض النحويين يرى في حذفه قبحاً[٨].

٥ . حذف الفعل والفاعل للدلالة على الإغراء والتحذير :

---

[١] الصافات : ٤٨ .

[٢] ديوانه : ١٢٣ .

[٣] ينظر : الكتاب ٢ / ٣٤٥ .

[٤] الشاهد لـ (سُحيم بن وثيل الرياحي) ورد في خزانة الأدب ١ / ١٢٢ ، وشرح شواهد المغني ١ / ٤٥٩

[٥] ينظر : المفصل في صنعة الإعراب ١ / ١٥٣ ، وجامع الدروس العربية ٢ / ٧٣ .

[٦] التوبة : ٨٢ .

[٧] شرح الرضي على الكافية ١ / ٨٢٨ ، وينظر: تفسير أبي السعود ٣ /١٩٥ ، والبحر المحيط ٢ / ٤٧٣

[٨] ينظر : الكتاب ٢ / ٢١ ، والمقتضب ٤ / ٢٩٣ ، والخصائص ٢ / ١٤٦ .

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يحثُّ على التّقْوى: ((فاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ ! فإنَّ الدُّنيا مَاضِيةٌ بِكم على سَنَنٍ))[١] ، بيّن التستريّ أنَّ قوله(عليه السلام) (فاللهَ اللهَ) منصوب إمّا بالإغراء ، أو بالتحذير ، إذ يقول : ((فالله الله نصب واجب إمّا بالتحذير نحو الضيغم الضيغم ، أي : اتقوه ، وإمّا بالإغراء ، نحو: أخاك أخاك ، أي : ألزموه))[٢] ، وذهب ابن ميثم إلى أن قوله (عليه السلام) منصوب بالتحذير ، وأكدّ ذلك بالتخويف من الله بكون الدنيا ماضية على سنن ، أي : على طريقة واحدة لا يختلف حكمها[٣].

وذكر النحويون أنه يجب حذف الفعل ، ولا يجوز إثباته في موارد منها الإغراء والتحذير[٤]، وفائدتهما التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف ، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم ، وقد اجتمعا في قوله تعالى على لسان صالح (عليه السلام) : ﴿ **فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾[٥]، والتقدير : ذروا ناقة الله وألزموا سقياها ، فحذفوا (ذروا ، وألزموا) اختصاراً وكسبا للوقت[٦].

ويبدو أنَّ المنصوب يكون على التحذير لا الإغراء ؛ لكون كلامه (عليه السلام) ورد في التحذير من الغفلة ، وعدم ذكر الموت ، وضرورة الاستعداد له ، والتذكير بالقبر ، والساعة ووقوعها ، إذ يقول (عليه السلام) : ((وَبَادِرُوا المَوْتَ وَغمَرَاتِهِ ، وَامْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وأعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ ... فاللهَ اللهَ عِبادَ الله ! فإنَّ الدُّنْيَا مَاضيةٌ بِكُمْ عَلى سَنَنٍ ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعةُ في قَرَنٍ ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بأشْرَاطِهَا، وأزَفَتْ بأفْرَاطِها وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلى صِرَاطِها))[٧] .

٦ . حذف الفاعل للعلم به:

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٠ / ص ٣٥٣ .

[٢] بهج الصباغة ١٢ / ١٤٦ .

[٣] ينظر : شرح ابن ميثم ٤ / ٢٠٦ .

[٤] ينظر: الكتاب ١ / ٢٧٥ ، والجمل في النحو (للفراهيدي) ٨٢ ، وأسرار العربية : ١٦٨ ، واللباب في علل البناء والإعراب : ٤٥٩ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٣٠١ .

[٥] الشمس : ١٣ .

[٦] ينظر : الإتقان في علوم القرآن ١ / ٢٩٤ .

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٠ / ص ٣٥٣ .

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) لمّا بويع في المدينة : ((وَاللهِ مَا كُتِمْتُ وَشْمَةٌ، ولا كَذَبْتُ كِذْبَةً وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذا المَقَامِ وَهَذَا اليَومِ))[١] ، فقد وضح التستريّ دلالة حذف الفاعل ، بقوله : ((فقد ورد الفعل (كتمت) بصيغة المبني للمجهول فحُذِفَ الفاعل للعلم به))[٢] ، أي : ما كتمني رسول الله كلمةً أبداً أخبرني بكل ما أخبره الله ، وعلّمني كل ما يعلم ، وإنّما طُوِيَ الفاعل المعلوم هنا للتركيز على الحدث، فذهن المتلقي مع ذكر الحدث وفاعله وأثره أقلُّ تركيزاً وعناية بغاية المتكلّم مِن الإخبار، وقُرِأت (كَتَمْتُ) بالبناء للمعلوم : ويكون المعنى : ما كتمت ، أي : ما سترت عنكم كلمة أخبرني بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا بعيد جدا ، فليس المعنى :أخبرتكم بكل ما أخبرني رسول الله[٣].

المبحث السادس

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٦ / ص ٤٤ .

[٢] بهج الصباغة ٤ / ٣٧٨ .

[٣] ينظر : شرح نهج البلاغة (للقزويني) ١ / ٣٧٣ .

دلالة الجملة

توطئة :

الجملة : هي عبارة عن مركب من كلمتين ، أسندت إحداهما إلى الأخرى ، سواء أفاد ، كقولك : (زيدٌ قائمٌ) أو لم يفد ، كقولك : (إنْ يكرمني)[١].

وقد عني علماء العربية بدراسة الجملة ، وأشاروا إلى أنواعها ومكوناتها ودلالاتها ، وإعرابها[٢]، وقد عدّها المحدثون أساس الدراسات الدلالية الحديثة ، إذ يقول إبراهيم أنيس : ((الجملة في أقصر صورها أو أطولها تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر ، يرتب بينها وينظم ويستخرج لنا مِن هذا النظام كلاماً مفهوماً نطمئن إليه ولا نرى فيه خروجا عمّا ألفناه في تجارب سابقة))[٣]؛ ذلك أنَّ كل لفظة تدّل على معنى معين ، وهو المعنى المعجمي لها ، وعند دخول هذا المعنى في التركيب الجملي سيكتسب معنى آخر ، وهو ما يسمّى بـ (النحوي أو الوظيفي) ليشترك مع معاني الألفاظ داخل التركيب لتكوين معنى الجملة كلها[٤].

وقد عُنِيَ النحويون بدلالة الجملتين الاسمية والفعلية ، وربطوا هاتين الدلالتين بالشكل التركيبي لكل منهما ، فالمُصَدَّرة بالاسم اسمية ، وتكتسب الدلالة على الاستقرار والثبوت ، والمصدّرة بالفعل فعلية تكتسب الدلالة على التغير والحدث[٥].

وقد تنبّه ابن جني على هذا الفرق الدلالي ، فقال : ((إذا زرتني فأنا ممن يُحسن إليك ، أي فحريٌّ بي أنْ أحْسُنَ إليك ، ولو جاء بالفعل مُصرّحاً به فقال : إذا زرتني أحسنت إليك ، لم يكن في لفظه ذكر عادته التي يستعملها من الإحسان إلى زائره ، وجاز به أنَّ يُظَنّ به عجزٌ أو نفورٌ دونه ، فإذا ذكر أن ذلك عادته ومظنة منه ، كانت النفوس

---

[١] التعريفات : ٦٨ ، وينظر: المقتضب ١/ ١٤١، ومغني اللبيب ٢/ ٣٦. .

[٢] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٩١ .

[٣] من أسرار اللغة : ٢٨٧ .

[٤] ينظر : دلالة الجملة الفعلية في آيات الآخرة : ٥٢ .

[٥] ينظر: الدلالة في النحو العربي : ٨٤ .

إلى وقوعه أسكن وبه أوثق ، فاعرف هذه المعاريض في القول ، ولا تزينّها تصرفاً ، واتساعا في اللغة المجردة عن الإعراض المُراد فيها ، والمعاني المحمولة عليها))[١].

ويرى الدكتورعلي أبو المكارم[٢] ، أنَّ هذا التحديد وإنْ كان يصلح لتصنيف كثير من الجمل الفعلية والاسمية لا يمكن قبوله في تصنيف جميع النماذج ، فمن ناحية ثمة الكثير من الجمل التي يعدّها النحاة فعلية ولم يتصدرها فعل ، أو اسمية ولم يتصدرها اسم ، وهي تلك التي يتصدرها الحرف عاملاً، ومن ناحية أخرى ثمة كثير من الجمل التي يتصدرها اسم ، ومع ذلك يعدّها النحويون جملاً فعلية لا اسمية ، كما لو كان الاسم مفعولا ، نحو قوله تعالى :﴿ **فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾[٣] ، وذلك مضطرد أيضا عند جمهور النحويين في جملة الشرط إذا وقع الاسم بعد أداته ، نحو ، قوله تعالى :﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّـهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[٤].

إلاّ إنَّ بعض النحويين وجدوا أنَّ ثمة أنواعاً أُخَر للجملة العربية ، لا تندرج تحت هذين النوعين ، وذهبوا إلى وجود نوع ثالث هو (الجملة الظرفية) التي يكون ركنها المتقدم ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، وقرر فريق آخر وجود نوع رابع ، زائد على الأنواع الثلاثة السابقة وهو ما اصطلحوا على تسميته بـ (الجملة الشرطية)[٥].

والناظر إلى الجملة العربية يرى أنّها ذات نوعين من الدلالة :

الأولى : أنْ تكون ذات دلالة قطعية تدلّ على معنى واحد لا تحتمل غيره ، مثل(حَضَرَ مُحَمدٌ وسَافرَ خَالِدٌ) ، **والثانية** : تحتمل أكثر من معنى ، نحو : (عندي حُبُّ عَسَلٍ) فهذا يحتمل عندك الوعاء وليس عندك العسل ، كما يحتمل أنْ يكون عندك العسل بخلاف قولك :(عندي حُبُّ عسلاً) فهذا نص في أن عندك عسلاً مقدار حبّ[٦]، وقد

---

[١] المحتسب ٢ / ٢٧٤ .

[٢] ينظر : الجملة الفعلية : ٣٠ .

[٣] البقرة : ٨٧ .

[٤] التوبة : ٦ .

[٥] ينظر : الجملة الفعلية : ٢٩ .

[٦] ينظر : الجملة العربية والمعنى (فاضل السامرائي) ١٢ .

وقف التستري على طائفة من الجمل وقفات لا تخلو من شرح وتحليل ، وبيان دلالة المعنى في شرحه النهج ، ومنها :

١ . دلالة الجملة الفعلية :

ذكر النحويون أنَّ الجملة الفعلية تدلُّ على التغيّر والتبدّل في الأمر ، فإذا قلت :(فَكَّرَ زَيْدٌ) كان معنى ذلك أن تفكيره كان في الزمن الماضي ، أمّا إذا عبّرت بالفعل المضارع ، فقلت : (يُفَكِّرُ زَيْدٌ) كان تفكيره منصباً على الزمن الحاضر دون الماضي ، وإذا قلت لشخص فكّر كان معنى ذلك أنك تطلب منه التفكير في المستقبل ، ومن هنا كانت للجملة الفعلية دلالة التغير والتجدد[١]، وهي الدلالة الرئيسة التي تتفرع منّها أنواع أخرى من الدلالات أهمها :

دلالة الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي على الدعاء :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) يَعِظُ النَّاس ويهديهم من ضلالتهم:((وكَيفَ يُراعي النَّبأة مَن أَصَمَّتْهُ الصَّيْحةَ ؟ رُبِطَ جَنَانٌ لمْ يُفَارِقْهُ الخَفَقَانُ))[٢] ، فقد وضحّ التستريّ أنَّ قوله (عليه السلام) (رُبِطَ جَنَانٌ لمْ يُفَارِقْهُ الخَفَقَانُ) ((جملة فعلية صدرت بماضٍ إمّا دعاء ، أي : يربط الله قلباً لم يفارقه الاضطراب ، والمراد قلبه ، وقلب شيعته ؛ لابتلائه بصفّين ، والجمل ، والنهروان ، وإمّا (ربط) محرف (يربط) ويكون دالاً على الخبر وعطفا على(يراعي) ، والمراد قلوب غير شيعته من أصحابه ، أي : كيف يَربِطُ قلباً بولايته وإمامته بعد النبي (صلى الله وعليه وآله وسلم) والحال لم يفارقه الاضطراب من أيامهم إلى يومه))[٣].

---

[١] ينظر : الجملة الفعلية: ٤٠ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٤ / ص ٣٤ .

[٣] بهج الصباغة ٣ / ٨ .

وقال ابن أبي الحديد هو دعاء لقلب لا يزال خائفا من الله ، يخفق بالثبوت والاستمساك[١]، وأردف(عليه السلام) بالدعاء للقلوب الوجلة الخائفة بقوله (رُبِطَ جَنانٌ) أي : سكن وثبت[٢].

٢. مجيء الجملة الاسمية فاعلاً للدلالة على اللزوم :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في مُبايعته : ((فَمَا رَاعَنِي إلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إليَّ ، يَنْثَالُونَ عليَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقد وُطِيءَ الحَسَنانِ ، وَشُقَّ عِطفَايَ))[٣]، ذهب التستريّ إلى أنَّ جملة (إلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إليَّ) فاعل لقوله (فَمَا رَاعَنِي) وكلمة راعني مختصة في كلام العرب بمجيء فاعله[٤].

قال عمر بن أبي ربيعة [٥] :

فَلَم يَرعهن إلاّ العيسُ طالعةً بالقومِ رُكبانا وأكوارا .

وقد اختلف النحويون في توجيه فاعل (بَدَا) في قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾[٦] ، إذ ذكروا ثلاثة أوجه ، هي[٧] :

الأول: وهو محذوف ، و(لَيَسْجُنُنَّهُ) : قائم مقامه ، أي بدَا لهم السجن ، فَحُذِفَ وأقيمت الجملة مقامه ، وليست الجملة فاعلاً ؛ لأن الجمل لا تكون كذلك .

والثاني: أنّ الفاعل مضمر ، وهو مصدر (بَدَا) ، أي بدَا لهم بداءٌ ، فأضمر

والثالث: أنّ الفاعل ما دلَّ عليه الكلام ، أي بَدَا لهم رَأي ، أي فأضمر أيضاً .

---

[١] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٠٨ .

[٢] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ٣ / ١٢٦ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٣ / ص ٣١ .

[٤] ينظر : بهج الصباغة ٥ / ١٦٢ .

[٥] ديوانه : ١٣٥ .

[٦] يوسف : ٣٥ .

[٧] ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٢ ، والتذييل والتكميل ٣ / ٣٤٩ .

على حين ذكر أبو حيان أن يكون فاعل (((بدا) ضميراً مستكنّاً عائدا على المصدر المفهوم من قوله تعالى:﴿ **وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[١]))[٢].

ورأي التستريّ أنَّ الصواب اختصاص الجواز بكلمة (راعني) ومستقبله منفيين بشهادة استعمالاتهما ، بل لا يجوز في فاعلهما غير الجملة ، وقد ورد كذلك في موضعين آخرين من كلامه (عليه السلام) ففي النهج : ((فما راعني إلاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه))، وإلى معاوية :((فما راعني إلاّ والأنصار قد اجتمعت))[٣].

أي : أنَّه وقف في هذه المسألة بمنزلة بين منزلتين ، فلم يمنع مجيء الفاعل جملة كما ذهب أكثرهم ، ولم يجز ذلك مطلقاً ، كما ذهب الفرّاء وثعلب ، بل قصر مجيء الفاعل جملة على الفعل (راعني) ومضارعه (يراعي) المنفيين مستدلاً لسياق النهج في ثلاثة مواضع .

على حين رأى الشارح ابن ميثم أنَّ الفاعل لقوله (عليه السلام) (فما راعني) ، إمّا الجملة الاسمية (إلاّ والناس إليَّ كعرف الضبع) وهو مقتضى قول الكوفيين، إذ جوّزوا كون الجملة فاعلاً، أو ما دلّت عليه هذه الجملة ، وكانت مفسّرة له من المصدر ، أي : فما راعني إلاّ إقبال الناس إليَّ ، وهو مذهب البصريين في المنع[٤].

وذهب الخوئي إلى أنَّ فاعل (راعني) محذوف مدلول عليه بالفعل ، وجملة (والنَّاس إليَّ) حالية مبينة لهيئة المفعول ؛ كون الجملة مفسّرة للمحذوف نظير قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾[٥] : أي : ظهر لهم رأي ليسجننه ، وتقدير كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) : ماراعني رايع إلاّ كون النّاس رُسلاً إليَّ[٦].

٣ . دلالة الجملة الاسمية الحالية على اللزوم :

---

[١] يوسف : ٣٢ .

[٢] ينظر : التذييل والتكميل ٦ / ٢٢٠ .

[٣] بهج الصباغة ٥ / ١٦٢ .

[٤] ينظر : شرح ابن ميثم ١ / ٢٦٣ .

[٥] يوسف : ٣٥ .

[٦] ينظر : منهاج البراعة ٣ / ١٠٣ .

الجملة الحالية : هي الجملة التي تبين هيئة صاحبها ، ومحلها النصب[١]، نحو قول ليلى الأخيلية[٢]:

دَعا قابَضاً ، وَالمُرْهَفَاتُ يُرِدْنَهُ فَقُبِّحْتَ مَدْعُوّاً ، وَلَبَّيْكَ داعِيًا .

وقد اشترط النحويون في الجمل الحالية أن تكون خبرية خالية من دليل استقبال أو تعجب ، وكذلك فيها رابط يربط الحال بصاحبها وهو(الضمير)أو(الواو)أو كلاهما[٣]، وقد وردت الجملة الحالية في قوله (عليه السلام) لمّا بويع في المدينة إذ قال : ((فَأَوْرَدَتْهُمْ الجَنَّةَ حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلٍّ أَهْلٌ ، فَلَئِنْ أَمِرَ البَاطِلُ لَقَدِيْماً فَعَلَ ، وَلَئِنْ قَلَّ الحَقُّ فَلَرُبَّما وَلَعَلَّ))[٤]، فقد استظهر التستريّ دلالة الجملة الحالية ،إذ قال:((فالجملة (فلئن أمر الباطل) جملة حالية لـ (قديماً فعل) أي : أنه من القديم تصدّى للإمارة ، ومراده (عليه السلام) أنَّ الذين تقدموا عليه ، واستقر أمرهم وتزلزل أمره فليس بغرو لأنه كان كذلك في جميع الأعصار بفرار الناس من أهل الحق))[٥] ؛ لذا كان يقول (عليه السلام):((أيّها النَّاسُ لا تَسْتَوْحشُوا فِي فِي طَرِيقِ الهُدَى لِقلَّةِ أَهْلِهِ ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدةٍ شِبعُها قَصِيرٌ ، وَجُوعُها طَوِيلٌ))[٦].

ولعلَّ الأولى أنْ يُقال ببقاء الجملة القسمية (فلئن أمر الباطل) على حالها ، وجوابها لـ (قديماً فعل) وفي ذلك من التوكيد المناسب لمَا أراده الإمام في هذا الأمر المخالف لسنن العدالة ما لا يخفى ، وأمّا القول بالحالية فلا يحقق معنى التوكيد ذاك .

٤ . دلالة الجملة الاسمية المُعْتَرِضَة على التنزيه :

---

(١) ينظر : المقتضب ٤ / ١٢٣، وشرح التسهيل ٢ / ٣٣٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ٤٠.

(٢) ديوانها : ٩٢ .

(٣) ينظر : تسهيل الفوائد ١١٢ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٦٥٦ ، وشرح الأشموني على الألفية ١ / ٢٥٥ ، وهمع الهوامع ١ / ٢٤٥ .

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ١٦/ ص ٤٤ .

(٥) بهج الصباغة ٦ / ١٧١ . ١٧٢ .

(٦) نهج البلاغة ، الخطبة ٢٠١ / ص٤٠٢ .

الجملة المعترِضة : هي الواقعة بين شيئين يحتاج كل منهما إلى الآخر ، غير معمولة لشيء من أجزاء الجملة الأصلية[١] ، وإنما يؤتى بها لإفادة الكلام تقويةً أو تحسيناً أو تنبيهاً على حالٍ أو تسديداً[٢].

وللجملة المعترضة مواضع مختلفة وكثيرة ، فمنها أنْ تكون بين المبتدأ والخبر ، وبين الشرط وجوابه ، وبين القسم وجوابه ، وبين الفعل ومعموله ، وبين الموصوف وصفته ، وبين القول ومقوله[٣]،ومنها قول الإمام (عليه السلام) في خلق آدم وذم إبليس:((فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ العَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ القُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ الغُيُوبِ ﴿ **إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[٤]))[٥] ، إذْ بين التستري دلالة الجملة المعترِضة التي وقعت بين قوله (عليه السلام) (وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات العيون) وبين قوله تعالى :﴿ **إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ وقد أدمج الجملة المعترضة بين القول ومقوله تنزيهًا له سبحانه مِنْ أنَّ اختياره ليس لعدم عرفانه مثلنا في اختياراتنا لغيرنا ، بل ليظهر حاله على الآخرين[٦]، والاعتراض هنا كما في قوله تعالى:﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ** ﴾[٧] ﴾[٧] ، يعني أن الله تعالى اختبر ملائكته بأن قال لهم ذلك مع علمه بباطنهم[٨].

---

[١] ينظر : الأشباه والنظائر في النحو ٢ / ٢٢ .

[٢] ينظر : مغني اللبيب ٢ / ٣٨٦ ، وهمع الهوامع١ / ٢٤٦ .

[٣] ينظر : مغني اللبيب ٢ / ٣٨٧ .

[٤] سورة (ص) : ٧١ . ٧٢ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٠ / ص ٣٦٠ .

[٦] ينظر : بهج الصباغة ٢ / ٦ .

[٧] سورة (النحل) : ٥٧ .

[٨] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ١١ / ٢٧١ .

دلالة حروف المعاني

توطئة :

عُنيَ سائرُ أهل اللغة والنحو بدراسة معاني الحروف ودلالاتها ؛ فقد بيّنوا أنَّ وقوعها في الكلام يدل على معانٍ ، إذ قال سيبويه : ((وأما ما جاء لمعنى وليس باسمٍ ولا فعلٍ ، فنحو: ثُمَّ، وسوف ، وواو القسم ، ولام الإضافة ونحوها))[١]. وقد توضّح ذلك بما قاله الزجّاجي : ((وحروف المعاني الّتي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعانٍ))[٢] أي إنّ الحرف ما دلّ على معنى في غيره ، وأنّ معناه يتوقّف على ذكر متعلّقاته[٣]، فـ ((الحرف وحده لا معنى له أصلاً))[٤] .

وكانت عنايتهم بها كبيرة ؛ لدخول هذه الحروف في تحديد الأحكام الفقهيّة والأصوليّة تبعاً لدلالاتها المختلفة. واختلفوا جميعاً في حقيقة دلالتها على المعنى ، هل تدل في نفسها ؟ أو في غيرها ؟ والغالب لديهم ، أنها تدل على معنى في غيرها[٥].

واختلف النحويون في معاني هذه الحروف ، أتلتزم معانيها الأصلية أم أنها تخرج إلى معانٍ أُخر، فذهب الكوفيّون إلى أنّه يجوز تنوع معاني الحرف الواحد، وجوّزوا نيابة حروف الجر بعضها عن بعض[٦]، وذهب البصريّون إلى أنّه لا يجوز ذلك، وعندهم أنّ حرف الجر باقٍ على معناه الأصلي[٧].

---

[١] الكتاب ١/ ١٢.

[٢] الإيضاح في علل النحو ٥٤ ، وينظر : الجمل (الزجّاجي) ١٧ .

[٣] ينظر : تناوب حروف الجر في لغة القران : ٧ ، والتراكيب اللغوية: ٦١ .

[٤] شرح الرضي على الكافية ١/ ٩- ١٠.

[٥] ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٨٥، وأثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام: ١٠٤.

[٦] ينظر: معاني القرآن (الفراء)٢/ ٢٧٥ ، و٢/ ١٢، وتأويل مشكل القرآن ٢٩٨-٣٠٩ ، والجنى الداني في حروف المعاني: ٨٦ .

[٧] ينظر: إعراب القرآن (النحاس) ٣/ ٢٩٨ ، والخصائص ٢/ ٣٠٨-٣١٧ .

ولكن واقع الاستعمال اللغوي لهذه الحروف يفرُض تداخل معانيها وتشابك علاقاتها، إذ تتعدد الدلالة النحوية لبعضها، تبعاً للسياق الذي ترد فيه والقرائن الدلالية المحيطة بها[١]، وخيرُ دليل على ذلك ما أثبته العلماء في كتبهم[٢]، إذ أثبتوا أنَّ لكل حرف عدةَ معانٍ، مستشهدين لها بشواهد عديدة.

وقد عُني التستريّ بهذه الحروف في (بهج الصباغة)وحرص على بيان الفروق الدلالية بينها باختلاف أنواعها، وتوجيه معانيها تبعاً للسياق التي ترِدُ فيه ، ويتبيّن ذلك فيما يأتي:

المبحث الأول

[١] ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٣.

[٢] ينظر : حروف المعاني (الزجاجي) ٤٧ . ٥١ ، والجنى الداني في حروف المعاني : ٨٦ .

دلالة الحروف الأحاديّة

المطلب الأول : دلالة (الباء) :

الباء : من الأدوات المختصة بالدخول على الأسماء ، ومعناها الأصلي الإلصاق ، فلا يفارقها هذا المعنى ؛ ولذلك اقتصر عليه سيبويه ، ولم يذكر غيره ، إذ عدّه المعنى الوحيد الذي أفادته (الباء) في صورها كافة ، وإنّ ما اتسع منه في الكلام فمردّه إلى هذا المعنى[١] ، وذهب ابن يعيش (٦٤٣هـ) إلى أنها أصل حروف القسم ، والواو مبدّلة منها ، وعلل قوله هذا بأنّ حرف الجر الذي يضاف به فعل الحلف إلى المحلوف غير متعدٍ وصَلوه بالباء المعدّية ، فصار اللفظ أحلف بالله ، أقسم بالله ، وهو يرى بذلك أن النحويين خصّوا الباء دون غيرها من حروف الجر لأمرين :

أحدهما : أنَّها الأصل في التعدية ، **والآخر :** أنّ الباء معناها الإلصاق[٢] ولم يذكر التستريّ معنى الإلصاق ، بل ذكر معاني أُخر ، وهي :

١ . باء السببية :

وهي التي تدخل على سبب الفعل ، كقوله تعالى :﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ** ﴾[٣]، أي : أنَّ الفعل يكون متضمناً لمعنى التعليل على طريق السبب ، كقولك : بِنعمة اللّه وصلتُ إلى كَذا ، وبزيدٍ فَعَلْتُ كَذا ، والمعنى بسبب معونة زيد لي فعلتُ[٤]، وهذه الدلالة هي الظاهرة المُبرَّزة(للباء) لدى التستريّ ، إذ ذكرها عدة مرات منها ما في قول الإمام (عليه السلام) في الإمامة :((بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُم ذُرْوَةَ العَلْيَاءِ ، وَبِنا انْفَجَرتُم عَن السّرارِ[٥]))[١]، ذكر التستري أنَّ

---

[١] ينظر : الكتاب ٤ / ٢١٧ .

[٢] ينظر : شرح المفصل ٨ / ٣٢ . ٣٣ ، ومغني اللبيب١ / ١٠٢ ، وهمع الهوامع ٢ / ٤٧٧

[٣] العنكبوت : ٤٠ .

[٤] ينظر : المقتصد في شرح الإيضاح ٢ / ٨٣٦ .

[٥] السرار : آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر ، وهو كناية عن الظلام ، ينظر: العين ٢ / ٥٠ (سرر) ، ولسان العرب ٤ / ٣٥٦ (سرر) ، وتاج العروس ١ / ٩٤٣ (سرر) ، ونهج البلاغة (صبحي الصالح) ٣٤ .

الباء في قوله (بنا اهْتَدِيتُم) سببية ، إذ يقول : ((بسببنا صرتم من أفاضل النّاس ، وبتلك الهداية وشرف الإسلام علاَ قدركم وشرف ذكركم ، والضمير في (بنا) راجع إلى نفس أمير المؤمنين فقط ، وإنّما أتى بلفظ الجمع للتعظيم ، كما هو شأن الأعاظم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[٢]))[٣] .

ومراده (عليه السلام) في الضمير (بنا) آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أي: بآل محمد اهتديتم في ظلمات الجهل ، إذ الاهتداء بالظلمة لا يكون إلاّ بالنّور الظاهر في ذاته المُظهر لغيره ، وهو كقوله(عليه السلام) : ((وإنّما مثلي بينكم مثل السراج في الظلمة يستضيء به من ولجها))[٤] .

وقوله (عليه السلام) في ذم الدنيا : ((ومَنْ أبْصَر بِهَا بَصَّرَته ، وَمَنْ أبْصَرَ إلَيْهَا أعْمَتْهُ))[٥]، إذ ذكر التستريّ أنَّ الباء في (أبْصَر بِهَا) للسببية ، إذ يقول : ((أي : من أبصر بسبب تغيرات الدنيا واعتبر بعبرها بصّرته وجعلته بصيراً))[٦] .

على حين عَدَّ الخوئي أنّ الباء في قوله (بها) للاستعانة الداخلة على آلة الفعل ، وتعدية (أبصر) بالحرف من قوله (ومَنْ أبْصَر بِهَا) مع كون الفعل متعدياً بنفسه ، أمّا من أجل تضمينه معنى التوجّه والالتفات ، أو من أجل تضمينه معنى النظر ، والأول أنسب [٧] .

وفي قوله (عليه السلام) في الجهاد : ((وهو لِبَاسُ التَّقوى ... فَمَنْ تَرَكَهُ رغبةً عَنْهُ أَلبَسَهُ اللهُ ثوبَ الذُّلِّ وشَمَلَهُ البَلاءُ ، وَدُيِّثَ[٨] بالصَّغارِ والقَمَاءَةِ ، وضُرِبَ على قَلبِهِ

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٤ / ص ٣٤ .

[٢] الحجر : ٩ .

[٣] بهج الصباغة ٣ / ٥ .

[٤] منهاج البراعة (الخوئي) ١٦ / ٣٥ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ٨٢ / ص١١٩ .

[٦] بهج الصباغة ١١ / ٣٠٥ .

[٧] ينظر : منهاج البراعة ٥ / ٣٣٣ .

[٨] دُيِّثَ : ديث الأمر ، لَيَّنَهُ ، ودُيِّثَ بالصغار ، أي : ذُلِّلَ ، ينظر : لسان العرب ١٥ / ٣٩٨ (ديث) ونهج البلاغة (صبحي الصالح) ٦١ .

بالأسدادِ ، وأُديلَ الحَقُّ منه بِتَضْييعِ الجِهَادِ)) [١]، فقد ذكر التستريّ أنَّ الباء في قوله (بِتَضْييعِ الجِهَادِ) أفادت معنى السببية ، أي : بسبب تضييعه للجهاد [٢] ، وهذا هو رأى ابن أبي الحديد ، إذ يقول : ((قد يظنُّ ظانٍ أنه يريد : وأديل الحقُّ منه بأن أضيع جهاده ، كالباءات المتقدمة ،وهي قوله (وديِّثَ بالصّغار) و(وضُربَ على قلبه بالأسدادِ) وليس كما ظنَّ ، بل المراد : وأديل الحقّ منه لأجل تضييعه الجهاد ، فالباء هنا سببية ، كقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾[٣]))[٤] .

وفي قوله(عليه السلام) بعد انصرافه من صفّين يصِفُ حال النَّاس قبل البعثة : ((أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ ، وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ ، بِهِمْ سَارَتْ أَعْلاَمُهُ))[٥]، ذكر التستريّ أنَّ الباء في قوله (عليه السلام)(بِهِمْ سَارَتْ أَعْلاَمُهُ) أفادت معنى السببية ، إذ يقول : ((أي : بسببهم وقعت ألوية الشيطان في السير حيث شاء ، فقوي الشّيطان شوكته واستحكم حبائله حيث كانوا من جنوده شركاء معه في إطفاء نور الهداية))[٦] ، ومنه قوله (عليه السلام) حين سئل عن حاله : (كيفَ حالُ مَنْ يَفْنى ببقائِهِ) فـ ((الباء في قوله (ببقائه) للسببية ؛ فإن البقاء مقرب للأجل موجب لضعف القوي))[٧] .

٢ . باء الاستعانة :

وهي الداخلة على آلة الفعل ، نحو : كُتِبَ بالقلمِ ، وضَرَبْتُ بالسيفِ ، ومنه في أشهر الوجهين (بسم الله الرحمن الرحيم)[٨]، وقد ورد هذا المعنى في قوله (عليه السلام) في

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٧ / ص ٦١ .

[٢] ينظر : بهج الصباغة ١٠ / ٣٧٢ .

[٣] الأنعام : ١٤٦ .

[٤] شرح ابن أبي الحديد ٢ / ٧٦ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ٢ / ص٢٦ .

[٦] بهج الصباغة ٢ / ١١٢ .

[٧] ينظر : شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ٣٨١/٣ .

[٨] ينظر : الجنى الداني : ١٠٣ .

ذكر العاصين لله عزَّ وجل : ((ألاَ وَأَنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُم مِنْ حَبْلِ الطَّاعَة ، وَثَلَمْتُم حِصْنَ اللهِ المَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بأَحْكَامِ الجَاهِلِيَّة))[١]، إذ قال التستريّ ((بأَحكام متعلق بقوله : (ثَلَمْتُم) والباء فيه للاستعانة ، أي : فاستعنتم بأحكام الجاهلية في التفرقة وانتهاك الحرمات ومنافثة العلماء))[٢] .

وقد وردت الباء لهذا المعنى كثيرا في النهج ومن أمثلتها ، قوله (عليه السلام) في صفة الملائكة : ((قَدْ ذَاقُوا حَلاَوَةَ مَعْرِفَتِهِ ، وَشَرِبُوا بِالْكأسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ))[٣]، فالباء في قوله (شَرِبُوا بِالْكأسِ) للاستعانة ، واستعار لفظ الشّرب لمَا تمكّن في ذواتهم من كَمال المحبة ، ورشحه بذكر الكأس الرَّويَّة ، أي: من شأنها أن تروي وتزيل العطش[٤]، وكذلك قوله (عليه السلام) : ((سُوسُوا إيْمانَكُم بالصَّدقةِ ، وحصِّنوا أمْوالَكُم بالزَّكاةِ ، وادْفعوا أمواج البلاء بالدعاء))[٥]، أي : حافظوا على إيمانكم بالتصدق ؛ لأنّ الصدقة أداة تستحفظ الشفقة ، والشفقة تستزيد الإيمان ، وعليكم أنْ تحصِّنوا أموالكم بالزكاة ؛ لأنَّ الزكاة أداء حق الله من المال ، وأمّا الدعاء فهو سلاح المؤمنين الذي يدفعون به عن أنفسهم البلاء[٦] .

٣ . باء المصاحبة :

ذكر بعض النحويين أنَّ لها علامتين : إحداهما: أنْ يحسن في موضعها (مع) ، والأخرى : أنْ يغني عنها وعن مصحوبها الحال ، كقوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾[٧]، أي : مع الحقِّ أو مُحقاً[٨] ، وقوله تعالى

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ / ص٣٧٦ .

[٢] بهج الصباغة ٢ / ٢٢٧ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ٩١ / ص١٥٨ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ٦ /٣٧٤ .

[٥] نهج البلاغة ، الحكمة ١٤٦/ ص ٦٢٩ .

[٦] ينظر : بهج الصباغة ١٣ / ١٤٨

[٧] النساء : ١٧٠ .

[٨] ينظر : شرح التسهيل ٣ / ١٥٠ . ١٥١ ، وشرح الكافية الشافية ٢/ ٨٠٧ ، والجنى الداني ١٠٤

:﴿**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ** ﴾[١] ، أي : مع جنوده[٢] ، وقد ورد هذا المعنى في قوله (عليه السلام) في طلب العِبْرَةِ من فِعْل إبليس : ((مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدخِلَ الجَنَّةَ بَشَراً بِأمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنها مَلَكاً))[٣]، ذكر التستريّ دلالة الباء في قوله (بأمرٍ) للمصاحبة ، إذ يقول : ((الباء في (بأمرٍ) تفيد معنى المصاحبة ، وفي(بِهِ) تفيد السببية ، أي : إذا كان الكِبر سببا للإخراج من الجنة لا يمكن إدخاله معه))[٤] .

على حين ذهب السرخسي إلى أنَّ الباء في(بأمرٍ) و(بِه) للسببية ، إذ يقول:((لأنَّ ما يكون سبباً للإخراج لا يكون سببا للإدخال))[٥] ، وردَّ ذلك ابن أبي الحديد ، إذ يقول : ((إنَّ كلام أمير المؤمنين يقتضي نفي دخول أحد الجنة بالمعصية ، فالباء هنا ليست للسببية ، بل هي كالباء في قولهم : خرجَ زيدٌ بِثيابهِ ، ودخل زيدٌ بِسلاحهِ ، أي : خرج لابساً ، ودخَلَ مُتسلحاً ، أي : يصحبه الثياب ، ويصحبه السلاح ، فكذلك قوله (عليه السلام) (بِأمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنها مَلَكاً) ، والمعنى : أن الله لا يدخل الجنّة بشراً ، يصحبه أمرٌ أخرج الله به ملكاً منها))[٦] ، ومن إفادتها المصاحبة قوله (عليه السلام) : ((إنّ أَخْسَرَ النّاسِ صَفَقَةً ، وأَخْيَبَهُمْ سَعْياً ، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَه فِي طَلَبِ مَالِهِ ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ المَقَادِيرُ عَلَى إِرَادتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرتِهِ ، وَقَدِمَ عَلى الآخِرَةِ بتَبِعَتِهِ))[٧] ، أي : فخرج من الدنيا مع حسرته ، ومع تبعته[٨] .

ويمكن القول إنَّ معنى المصاحبة الذي ذكروا له شواهد قرآنية كثيرة ، ومن ثمَّ ركن إليه التستريّ في توجيه دلالة (الباء) في النهج ما هو إلاَّ ضربٌ من الإلصاق الذي

---

[١] طه : ٧٨ .

[٢] ينظر : رصف المباني : ١٤٤ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ / ص ٣١٦ .

[٤] بهج الصباغة ١٤ / ٢٤٩ .

[٥] أعلام نهج البلاغة ١ / ٢٠٩ .

[٦] شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٣٤ .

[٧] نهج البلاغة ، الحكمة ٤٣٠ / ص ٦٨٨ .

[٨] ينظر : بهج الصباغة ١٤ / ٢٣٥ .

ذكره سيبويه معنىً رئيساً (للباء) تندرج تحته سائر المعاني الأخرى التي ذكرت للباء ، ومنها المصاحبة التي يقترب معناها كثيراً من الإلصاق .

٤ . باء التعدية :

هي القائمة مقام الهمزة في إيصال معنى الفعل اللازم إلى المفعول به ، نحو قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾[١]، وقد وردت مع المتعدي في قولهم : صككتُ الحَجَرَ بالحجرِ ، ودفعتُ بعضَ النّاسِ ببعضٍ[٢] ، وقد ورد هذا المعنى في قوله (عليه السلام) : ((أنَا وضَعْتُ في الصّغرِ بِكَلاَكِلِ العربِ وكَسَرتُ نَواجِمَ قرونَ ربيعة ومُضَر))[٣]، ذكر التستريّ أنّ الباء في (بِكَلاَكِلِ) للتعدية لا زائدة ، فمعنى (وضعت بالشيء) غير معنى (وضعتُ الشيءَ) ، ووصفه (عليه السلام) بكلاكل العرب كناية عن إذلالها كبعير تسقطه على الصدر فلا يقدر على التحرك[٤] .

وذهب ابن أبي الحديد ، والخوئي إلى أنَّ الباء في (بكلاكل) زائدة ، والمعنى أنّي أذللتهم وصرعتهم إلى الأرض ، وقد استعار لفظ الكلاكل للأكابر من العرب وأشراف القبائل ، الذين قتلهم في صدر الإسلام ، والجامع للاستعارة كونهم سبب قوة العرب وبهم انتهاضهم للحرب ، كما أن الكلكل للجمل كذلك سبب لنهوضه وقيامه وقوته[٥] .

واحتمل ابن ميثم البحراني أنْ تكون الباء للإلصاق ، أي : ألصقت بهم الوضع والإهانة[٦] ، وما احتمله مقبول ؛ لأنَّه يحافظ على المعنى الرئيس (للباء) ، وإنْ كان ثمَّة حرف زائد في السياق ، فليس (الباء) بل (في) والتقدير : أَنا وَضَعْتُ الصّغَر بِكَلاكِلِ العرب ، أي : ألصقت الذُّل والهوان بهم .

---

[١] البقرة : ١٧ .

[٢] ينظر : شرح التسهيل ٣ / ١٤٩ ، وشرح الكافية الشافية ٢ / ٨٢٦ ، والجنى الداني : ١٠٢، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٢٧ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٠ /ص ٣٥٥ .

[٤] ينظر : بهج الصباغة ٧ / ٣٥٦ .

[٥] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٩٧ ، و منهاج البراعة ١٢ / ٢٩ .

[٦] ينظر : شرح ابن ميثم ٤ / ٣١٢ .

ومنه قوله (عليه السلام) في موضع آخر : ((ولا تُدْخِلَنَّ في مَشورَتِكَ بَخيلاً يَعْدِلُ بِكَ عنِ الفَضْلِ))[١] فـ ((الباء في (يَعْدِلُ بِكَ) للتعدية))[٢].

المطلب الثاني : دلالة(الفاء) :

من الحروف غير المختصة ، فهي تباشر الأسماء والأفعال على حدٍّ سواء ، وتوافق (الواو) في كونها تضمُّ الشيء إلى الشيء ؛ فتفيد الإشراك بين المتعاطفين في اللفظ ؛ أي : الإعراب ، وفي المعنى ؛ أي : الحكم ، وتخالفها في أنّها للترتيب المتسق ، والواو لمطلق الجمع ، قال سيبويه : ((الفاء وهي تضم الشيء إلى الشيء ، كما فعلت الواو ، غير أنها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض وذلك ، نحو قولك : مَررْتُ بِعَمرٍو فَزَيدٍ فخالدٍ))[٣] .

وذكر ابن يعيش أنَّها في العطف تكون للترتيب بلا مهلة يدل على ذلك وقوعها في الجواب ، وامتناع حرفي العطف الآخرين (الواو وثم) منه ، ويرى أنّها موضوعة لدخول الثاني فيما دخل فيه الأول متصلاً ، وأنها تدخل الكلام على ثلاثة أضرب : ضرب تكون فيه متبعة عاطفة ، وضرب تكون فيه متبعة مجردة من معنى العطف ، وضرب تكون فيه زائدة دخولها كخروجها ، إلا أنَّ المعنى الذي تختص به وتنسب إليه هو معنى الإتباع وما عدا ذلك فعارض فيها[٤] ، وقد التفت التستريّ إلى بعض معاني الفاء ، مُبيّناً دلالاتها الآتية :

١. دلالة (الفاء) على الترتيب :

---

[١] ينظر: نهج البلاغة ، الخطبة

[٢] بهج الصباغة ٨ / ٤٥٣ ، وينظر : شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ٣ /٢٥٠ .

[٣] الكتاب ٤ /٢١٧ .

[٤] ينظر : شرح المفصل ٨/٢٥ .

أشار التستريّ إلى إفادة الفاء الترتيب والتعقيب بلا مهلة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهذه هي الدلالة الرئيسة لها[١] ، وذلك في قوله (عليه السلام) يصف السماء والأرض : ((فأجْرَى فِيهَا مَاءً ... حَمَلَهُ عَلى مَتْنِ الرِّيحِ العَاصِفَةِ والزَّعْزَعِ القَاصِفَةِ فأمَرَهَا بِرَدّه وَسَلَّطَهَا على شَدّهِ ، وَقَرَنَهَا إلى حَدِّه ، الهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ ، ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيْحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا))[٢] ذكر التستري دلالة (الفاء العاطفة) التي أفادت الترتيب في الجمل كون المذكور بعدها كلاماً مرتباً في الذكر على ما قبلها ، فقد فصَّلَ (عليه السلام) ثُمَّ أجْمَلَ وألمح التستريّ إلى الفرق بينها وبين (ثُمَّ) ، إذ يقول :((مقتضى كلامه (عليه السلام) أنَّ اللهَ تعالى أجرى الماء أولاً في الهواء المجرّد بجعل الهواء حاملاً له وإنَّ الماء كان جارياً حينئذٍ على مقتضى طبعه من الحركة إلى الأسفل ، ثُمَّ حمله على ظهر الريح فقسرت جريه وعكسته ، مع أنَّ ظاهر كلامه (عليه السلام) أنَّ جريه أولاً في الهواء كان بتوسّط حمله على ظهر الريح فإنَّ الظاهر أنَّ قوله(عليه السلام) (حَمَلَهُ عَلى متن الريح العاصفة) حال من (ماء) في قوله (فأجرى فيها ماءً) أي : أجرى الماء حاملاً له على متن الريح))[٣] .

وقال المجلسي : ((أي : أمر الريح أنْ تحفظ الماء ، وتردّه بالمنع عن الجري الذي سبقت الإشارة إليه بقوله (عليه السلام) (فأجرى فيها ماء) فكان قبل الردِّ قد خلّي وطبعهُ ، أي : عن الجري الذي يقتضيه طبعه))[٤] .

٢ . دلالة (الفاء) على التفريع :

والتَّفْرِيْعُ : ((هُوَ أَنْ يُثْبَتَ حُكْم لِمُتَعَلِّق أَمْر، بَعْدَ إِثْبَاتِهِ لِمُتَعَلِّقٍ لَهُ آخَرْ))[٥] ، وقد وردت هذه الدلالة في قوله (عليه السلام) في حَثِّهِ على صالح الأعمال : ((فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ الدُّنْيا مَا تَحْرَزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا ، فَاتَّقَى عَبْدٌ ربَّه ، نَصَحَ نَفْسَهُ ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ ، وَغَلَبَ

---

[١] ينظر : الكتاب ١ /٤٣٥ و ٤٣٨ ، والمقتضب ١٠/١ ، وشرح المفصل ٩٥/٨ ، وشرح الرضي ٤ / ٣٨٤ ، ورصف المباني : ٣٧٦ ، وارتشاف الضرب ٦٣٦/٢ ، والجنى الداني : ١٢١.

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ١ / ص ١٩ .

[٣] بهج الصباغة ١ / ٤٠٣ .

[٤] نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ١ / ٣٤ .

[٥] جواهر البلاغة ٣٨٦

شَهْوَتَهُ ، فَإِنّ أَجَلَهُ مَسْتُوْرٌ عَنْهُ ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ)) [١] ، ذكر التستريّ أنَّ (الفاء) في قوله (عليه السلام) (فَاتَّقَى عَبْدٌ ربَّه) تفيد التفريع التبييني ، إذ قال :((الفاء هنا للتفريع التبييني للتزوّد في اليوم يكون محرزاً به النفس في الغدِ))[٢] ، وقد ورد معنى التفريع (للفاء) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ *وَمَا لَا تُبْصِرُونَ** ﴾[٣] ، إذ قال ابن عاشور ((الفاء هنا لتفريع إِثْبَات أنَّ القُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ الله وَنَفْي مَا نَسَبه المُشْرِكُون إليه ، تَفْرِيعًا على ما اقْتَضَاه بِتَكْذِيْبِهِم بالبعث من التَّعْرِيض بتَكْذيب القُرآن الذي أَخْبَر بِوُقُوعِه، وَتَكْذيبِهم الرسول، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، القَائِل إنَّه مُوْحَى به إليه منَ الله تَعَالى))[٤] .

وقد ذهب ابن أبي الحديد إلى أنَّ الفاء في قوله : (فَاتَّقَى عَبْدٌ ربَّه) أفادت تفصيل أقسام الأمر ، إذ يقول :((لبيان ماهية الأمر الذي يحرّز الإنسان به نفسه ، ولتفصيل أقسامه وأنواعه ، كما تقول : فعل اليوم فلان أفعالا جميلة ، فأعطى فلانا ، وصفح عن فلان ، وفعل كذا)) [٥]

ويمكن القول إنَّ قياس المثال المصنوع على قول أمير المؤمنين للتمثيل قياس مع الفارق ، فالأمران مختلفان ، إذ إنَّ (الفاء) في قوله (عليه السلام) للتفريع كما قال التستري ، فتزود للنفس في الدنيا للاحتراز عند الأجل وبغده ، له سبل كثيرة ، أعلاها التقوى التي فرّعها الإمام في أوّل كلامه ، على حين أنَّ المثال المصنوع مصوغ لتقسيم أمر على أقسامه التي تساويه .

المطلب الثالث : دلالة (اللام)

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٦٤ / ص ١٠١ – ١٠٢.

[٢] بهج الصباغة : ١١/ ١٣١ .

[٣] الحاقة : ٣٨–٣٩ .

[٤] التحرير والتنوير ١٤٠/٢٩ – ١٤١ ، وينظر: التفسير الوسيط ١١٦/١٥ .

[٥] شرح ابن أبي الحديد ٥ / ١٤٥ .

حرف كثير المعاني والأقسام ، وأصله للاختصاص والملك ، وقد فصّل النحويون القول في معانيه[١] ، وأنَّ جميع أقسام اللام التي هي حرف من حروف المعاني ترجع عند التحقيق إلى قسمين : عاملة وغير عاملة ، فالعاملة قسمان : جارّة وجازمة ، وأخرى ثالثة ناصبة للفعل ، وغير العاملة أربعة أقسام : لام الابتداء ، ولام الفارقة ، ولام الموطئة ، ولام التعريف[٢] وقد تتبع التستريّ دلالات (اللام) وأغراضها الدلالية التي خرجت بها ، وهي :

١ . **لام العاقبة :**

وتسمّى لام المآل[٣]، ويسميها الكوفيون لام الصيرورة[٤]، وهي التي يكون ما بعدها نقيضاً لما قبلها[٥]، ومن أمثلتها في القرآن الكريم : ﴿**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا** ﴾[٦] فاللام في (ليقولوا) للعاقبة ، أي : ليترتّب على تلك الفتن أن يقول المفتونون من الأقوياء المستكبرين في شأن الضعفاء تحقيراً لهم وتعاميا عمّا هم فيه مناط التفضل حقيقة[٧]، وقد ذكر التستري هذه اللام عند شرحه النهج ، وذلك وذلك في قول أمير المؤمنين (عليه السلام) :((إنَّ لِلهِ مَلَكاً يُنادي فِي كُلِّ يَومٍ : لِدُوا لِلمَوْتِ ، واجْمَعُوا للفَنَاءِ ، وابْنُوا للخَرَابِ))[٨] ، قال التستريّ : ((اللام في قوله (لِدُو للموت) هي لام العاقبة ، كما في (الفناء ، والخراب) ، والنداء ينبغي أن يحمل على لسان الحال لا على المقام))[٩] .

---

[١] ينظر : الكتاب ٤ / ٢١٧ ، واللمع في العربية : ٦٠ ، وأسرار العربية : ٢٥٤ ، والجنى الداني : ١٤٣ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٠ .

[٢] ينظر: الجنى الداني : ١٤٣ .

[٣] ينظر : الجمل في النحو (الفراهيدي) ٢٧٥ ، والجنى الداني ١٦٠ ، ومغني اللبيب ١ / ٢١٤ .

[٤] ينظر : اللامات : ٣١ ، وأوضح المسالك ٣ / ٣٢ .

[٥] ينظر : شرح شذور الذهب : ٣٨٣ .

[٦] الأنعام : ٥٣ .

[٧] ينظر: تفسير مواهب الرحمن ١٣ / ٣٤١ .

[٨] نهج البلاغة ، الحكمة ١٣٢ / ص ٦٢٧ .

[٩] بهج الصباغة ١١ / ٢٤٠ .

وقال ابن أبي الحديد : ((وهذه اللام عند أهل العربية تسمّى لام العاقبة ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا** ﴾[1]، ليس أنّهم التقطوه لهذه لهذه العلّة ؛ بل التقطوه فكان عاقبة التقاطهم إيّاه العداوة والحزن))[2] .

ومثله قول الشاعر[3] :

فإنْ يَكُنِ الموتُ أفنَاهُمُ فللموتِ مَا تَلِدُ الوالدةُ .

واللام في الآية الكريمة هي موضع اتفاق الشرّاح[4] ، والنحويين[5] ، في إفادتها معنى العاقبة .

٢ . لام الاستغاثة :

وهي لام مفتوحة للمستغاث به[6] ، كقول قيس بن ذريح[7] :

تَكَنَّفَنِي الوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي فَيَا لَلنَّاسِ لِلْواشِي المُطَاعِ .

ولا تُكسَر إلاّ مع ياء المتكلم ، فإذا قُلت : يا لِي ، احتمل أنْ يكون مستغاثاً به ، ومستغاثاً من أجله[8] ، أمّا لام المستغاث من أجله فهي مكسورة مع المضمر ، فإذا قلت : يا لَكَ ، احتمل أنْ يكون مستغاثاً به ومستغاثاً من أجله ، وهذه اللام هي في الحقيقة لام التعليل ، وهي متعلقة بفعل محذوف ، فإذا قلت : يا لَزيدٍ لِعمرٍو ، فالتقدير : أدعوك لعمرو[9].

---

(١) القصص : ٨ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٣٢٨ ، وينظر : الكشاف ٣ / ٤٣٤ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٢٤٢ .

(٣) هذا البيت لـ (شتيم بن خويلد الفزاري) ورد في تاج العروس ٣٣ / ٤٥١ .

(٤) ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٣ / ٣١٨ ، وحدائق الحقائق ٢ / ٦٤٢ ، وشرح ابن أبي الحديد الحديد ١٨ / ٣٢٨ .

(٥) ينظر : منازل الحروف : ٢٢ ، والجنى الداني : ١٦٠ ، ومغني اللبيب ١ / ٢١٤ .

(٦) ينظر : الكتاب ١ / ٣١٩ ، والأصول في النحو ١ / ٣٤٨ ، وشرح المفصل ١ /١٣١ ، وشرح الرضي على الكافية ١ / ٣٣٦ ، والجنى الداني : ١٤٨، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٨٠.

(٧) ديوانه : ٩٣ من شواهد الكتاب ١ / ١٣٦ ، والأصول في النحو ١ / ٣٥٢ .

(٨) ينظر: الجنى الداني : ١٤٨، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٨١ .

(٩) الجنى الداني : ١٤٩ .

وقد وردت لام الاستغاثة في قول أمير المؤمنين(عليه السلام) في إمامته : ((حَتّى إذا مَضَى لِسبيلِهِ جَعَلَها في جَمَاعةٍ زَعَمَ أنَّي أحْدُهُم ، فَيَا لَلّهِ وَلِلشُّورَى ! مَتَى اعْتَرضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الأوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى أُقْرَنُ إلَى هذِهِ النَّظَائِرِ))[1]، إذ قال التستريّ : (((فيا لَلهِ) بفتح اللام ، و(لِلشُّورى) بكسر اللام وضم الشين ، واللامان جميعاً للجر ، ولكنّهم فتحوا الأولى وكسروا الثانية ليفرقوا بين المستغاث به والمستغاث له ، ولمّا كانت الشّورى تدبيراً لانتقال الأمر إلى غيره ، وموجباً قتله لو خالف ، وما ترتّب من حدوث صفّين والنهروان وحدوث الخوارج وقتله (عليه السلام) قال:((فيا لَلهِ ولِلشّورى))[2].

وذكر المجلسي أنَّ اللام في (فيا لَله) مفتوحة لدخولها على المستغاث به للدلالة على اختصاصها بالنّداء للاستغاثة ، وهي كلمة تخرج من قلب مكلوم ، وأمّا في(لِلشّورى) فمكسورة دخلت على المستغاث له ، والتقدير : فيا لَله لما أصابني عنه أو لنوائب الدهر عامّة وللشورى خاصّة ، والاستغاثة للتألم من الاقتران ممن لا يدانيه في الفضائل[3] ؛ ولذلك اتبعه (عليه السلام) بالاستفهام على سبيل الإنكار والتعجب بقوله : ((متى اعترض الرّيب فِيَّ مع الأوَّل منهم))[4] .

المطلب الرابع : دلالة (الواو) :

ذكر أكثر النحويين أنَّها حرف عطف[5] ، وقد يسميها بعضهم حرف ابتداء أو استئناف[6] ، وهي من الأدوات غير المختصة إذ تدخل على الأسماء كما تدخل على الأفعال ، ومعناها إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول ، وليس فيهما دليل على أيُّهما كان

---

[1] نهج البلاغة ، الخطبة ٣ / ص ٣٠ .

[2] بهج الصباغة ٥ / ١١٣ . ١١٤ .

[3] ينظر: شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ١ / ٧٢ .

[4] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ٣ / ٧٣ .

[5] ينظر : الكتاب ١ / ٤٣٧ . ٤٣٨ ، و١٢٦/٤ ، والأصول في النحو ٤٢٠/١ ، والمقتصد ٨٣٦/٢ ، وأمالي ابن الشجري ٢١٦/١ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٥١٢/١ ، والبسيط في شرح الجمل ٨٦٩/٢ ، والمساعد على تسهيل الفوائد ٢٩٦/٢ .

[6] ينظر : الكليات : ٨٧٦ ، ورصف المباني : ٤٧٩ .

أولاً[١] ، أي هي لمطلق الجمع فلا تفيد ترتيباً ولا معية إلاَّ بقرينة[٢] ، فضلاً عن أنَّها تجمع الشيئين فإنّها لا تدل على الترتيب ، وأوضح الدكتور فاضل السامرائي ذلك بقوله : ((ليس معنى قولنا أنَّها لا تفيد الترتيب أنَّها لا تأتي للترتيب البتة ، بل قد تأتي للترتيب وتأتي لغيره ، فقد يصحُّ أن يكون المعطوف بعد المعطوف عليه ، كما يصحُّ أنْ يكون قبله أو مصاحباً له وإنّما ردّنا على الذين يزعمون أنَّه لا تكون إلاَّ للترتيب ، إذ لو كانت للترتيب لتناقض قوله تعالى : ﴿**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** ﴾[٣] ، وقوله تعالى في موضع آخر:﴿**وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ** ﴾[٤] إذ القصة واحدة))[٥]، ولكونها من حروف العطف فهي لا تعمل شيئاً ؛ لأن الحرف الحرف إنّما يعمل إذا كان مختصاً وحرف العطف غير مختص فوجب ألاَّ يكون عاملاً[٦]، عاملاً[٦]، وقد برَّز التستري دلالة (الواو) وبيّنَ أهم المعاني الوظيفية التي خرجت بها : وهي :

١ . **الواو(لمطلق الجمع) :**

وهو المعنى الأصلي لها ، إذ يعدّها النحويون أُمَّ حروفه ؛ لكثرة استعمالها ودورها فيه ، ومعناها الجمع والتشريك ولا تخلو من هذين المعنيين في عطف المفردات[٧] ، وقد ورد هذا المعنى في قوله (عليه السلام) في اختبار المؤمنين :((وَلكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأنواعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهم بِأنْواعِ المَجَاهِدِ إخْرَاجاً للتَكَبّرِ مِن قُلُوبِهِم ، وإسْكَاناً للتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِم ،

---

[١] ينظر : المقتضب ١ / ١٠

[٢] ينظر : الكتاب ١/ ٤٣٧ ، والمقتضب١ / ٧٥ ، ، واللمع في العربية : ٩١ ، والجنى الداني : ١٨٨، ومغني اللبيب ٢ / ٣٥٤ .

[٣] البقرة : ٥٨ .

[٤] الأعراف : ١٦١ .

[٥] معاني النحو ٣ / ٨٨ .

[٦] ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ٣٧٧/١ .

[٧] ينظر: أسرار العربية : ٣٠٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٤ / ٣٨٢ ، ورصف المباني : ٤٧٣ والجنى الداني : ١٨٨.

وَلِيَجْعَلَ ذَلكَ أبْواباً فُتُحاً إلى فَضلهِ))[1]، ذكر التستريّ الفعل (لِيَجْعَلَ) معطوفاً على (إخْرَاجاً) ، إذ قال : (((وَلِيَجْعَلَ) عطف على (إخراجاً) وعطف الفعل على شبه وبالعكس كثير))[2] ، ويبدو إنما رجّحَ التستريّ عطف الفعل المضارع على (إخراجاً) المنصوب على أنَّه مفعولٌ لأجله ، لما بين الفعل والاسم المنصوب من معنى بيان السبب الذي يستدعيه المفعول لأجله ، فاللام في (ليجعل) للتعليل ، وبها حصل التشابه المعنوي بين الفعل المتمثل بدلالته على بيان السبب وبين المفعول لأجله.

وقد ذكر النحويون عطف الفعل على الاسم المُشْبِهِ بالفعل ، كاسم الفاعل، ويجوز العكس أيضاً[3]، وهو أن يعطف الفعل الواقع موقع الاسم اسمٌ ، ومثال الأول، قوله تعالى تعالى :﴿ **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا** ﴾[4]، ونحو قوله تعالى :﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾[5]، فعطف فعطف في الأولى (أَثَرْنَ) وهو ماض على (الْمُغِيرَاتِ) وهو اسم فاعل مشبه للفعل في المعنى لأنَّه في تأويل (واللاتي أغرنَ) ، وعطف في الثانية (يقبضن وهو مضارع على (صافاتٍ) لأنَّها في معنى (يصففنَ) ، ومثال الثاني ، وهو عطف الاسم المشبه للفعل في المعنى على الفعل الماضي أو المضارع ، كقول الشاعر[6]:

يَا رُبَّ بَيْضاءَ مِنَ العَوَاهِجِ أُمِّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أَو دَارِجِ .

فعطف (دَارِجِ) على (حَبَا) لتأويل (دارج) بـ (دَرَجَ) ، أو (حَبَا) بـ (حَابٍ)[7] .

---

[1] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ / ص ٣٧٠ .

[2] بهج الصباغة ١٣ / ٩٥ .

[3] ينظر: شرح التسهيل ٣ / ٣٨٣ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٥٣ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٤٤ ، وحاشية الصبان ١ / ٤٣١ .

[4] العاديات : ٣ . ٤ .

[5] الملك : ١٩ .

[6] البيت لـ (جندب بن عمر) وهو من الرجز ، من شواهد العيني ، وشواهد التصريح على التوضيح ٢ / ١٨٤ .

[7] ينظر : أمالي ابن الشجري ٢ /١٦٧ ، وشرح التسهيل ٣ / ٣٨٣ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٥٣ وشرح التصريح على التوضيح ٢ / ١٨٤ ، وحاشية الصبان ١ / ٤٣١ .

وكذلك ورد العطف بالواو للجمع المطلق في قوله (عليه السلام) من عهده إلى مالك الأشتر : ((أنْ يُوفْقني وإيّاكَ لِمَا فيهِ رِضَاهُ مع حُسْنِ الثَّناءِ في العباد ، وجَميلِ الأثَرِ في البِلادِ ، وتَمَامِ النِّعمةِ ، وتضْعِيفِ الكرامةِ))[1] ، فقد رجّحَ التستريّ أن يكون (تمام النعمة وتضعيف الكرامة) معطوفاً على (حُسْنِ الثَّناءِ) ، إذ قال : ((و(تمام) معطوف على (حُسْنِ الثَّناءِ) ولا يصحُّ ما قاله ابن أبي الحديد لأنَّه يصير المعنى على ما قال : (أسأل الله أنْ يوفقني لتمام النعمة وتضْعِيف الكرامة) ولا معنى له ، وتوجيهه بأنَّ المراد للأعمال الصالحة التي يستوجبهما بها تعَسّف))[2] .

على حين ذهب ابن أبي الحديد إلى أنَّ (تَمَامِ النِّعمةِ) معطوف على مذكور سابق هو (ما) في (لِمَا فيهِ رِضَاهُ) ، إذ قال : ((و(تَمَامِ النِّعمةِ) معطوف على (ما) في قوله (لِمَا فيهِ رِضَاهُ) ، كأنَّهُ قال : أسأل الله لذا ولتمام النعمة ، أي : ولتمام نعمته عليَّ وتضاعف كرامته لديَّ))[3] .

ويرجّح الباحث ما ذهب إليه التستريّ من أنَّ حسن الثناء وجميل الأثر من ضمن سياق تمام النعمة وتضعّيف الكرامة ، فتكون الواو عطفاً في جميع هذه المواضع الأربعة ، وهذه المواضع هي تفصيل للجمل قبلها ولذا صدّرت بـ (مِن) البيانية ، وأمّا عطف (تمام النعمة) على (ما فيه رِضَاهُ) فمرجوح لكثرة الفواصل بين المتلازمين ، فضلاً عن أنَّ معنى الجمع غير مفهوم بين الخاص والعام ؛ لأنَّ (ما فيه رضاه) عام ، و(تمام النعمة) خاص .

وكذلك أفادت الواو مطلق الجمع في قوله (عليه السلام) يصف خلق السموات والأرض : ((فانْظُرْ إلَى الشَّمْسِ ، وَالقَمَرِ والنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ ، وَالمَاءِ وَالحَجَرِ واخْتِلاَفِ هَذا اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، وَتَفَجُّرِ هذِهِ البِحَارِ وَكَثْرةِ هذِهِ الجِبَالِ وَطُولِ هذِهِ القِلاَلِ))[4]، إذ برّز التستري معنى الجمع في خلق هذه الأشياء ، دون ترتيب بينها ، لما في الترتيب من تعارض مع قدرة الباري عزَّ وجلّ ، إذ قال : ((إنَّ الواو هنا لمطلق الجمع ، وأراد (عليه السلام) في

---

[1] نهج البلاغة ، الكتاب ٥٣ / ص ٥٦٩ .

[2] بهج الصباغة ٨ / ٤٨٣ .

[3] شرح ابن أبي الحديد ١٧ /١١٧ .

[4] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٥ / ص ٣٤٠ .

الجمع أنَّه تعالى خالق ما هو في اللينة كالماء ، وما هو في الصلابة كالحجر ، فهو خالق الضدين ، ولا يكون خلق الضدين إلاَّ عن كمال قدرة ، وعن تدبير حكيم ، لا خصوص الماء والشجر))[١] .

٢ . واو القسم :

ذهب جمهور النحويين إلى إفادة (الواو) معنى القسم ، إذ تكون حرفاً يجر الظاهر دون المضمر ، وهو فرع الباء ، ويرى كثير من النحويين أنَّ (الواو) في القسم هي بدل من الباء ؛ وعلّلوا القول بذلك لتشابههما مخرجاً ومعنى ؛ لأنهما من الشفتين ، والباء للإلصاق والواو للجمع ، واستدلوا على ذلك بأنّ المضمر لا تدخل عليه الواو ؛ لأنَّ الإضمار يَردُّ الأشياءَ إلى أصولها[٢] .

وترى د. عائشة عبد الرحمن: ((أنَّ القسم بالواو، غالبًا، لونٌ من البيان الفني للمعاني بالأشياء الحسية وما يلمح فيه من الإعظام إنَّما يُقْصَدُ به إلى قوَّة اللفت، واختيار المُقْسَمِ به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف، وحين نتتبَّع أقسام القرآن في مثل آية (الضحى) نجدها تأتي عَرضًا بيانيًّا لصورة ماديَّةٍ مُحَسَّةٍ يستحضر بها واقعٌ مشهودٌ لافتٌ إلى صورةٍ مماثلةٍ أخرى معنوية غير مشهودة ولا ملموسة))[٣] .

وقد وردت في متن النهج طائفة من أساليب القسم ، برّز التستري دلالة الواو فيها ، مبيناً معنى التوكيد في الغالب ، كما في قوله (عليه السلام) في إعراضه عن الدنيا وتواضعه : ((وَاللهِ لأَنْ أبيتَ على حَسَكِ السَّعْدانِ مُسَهَّداً ، أو أُجَرَّ فِي الأغْلالِ مُصَفَّداً أَحبُّ إليَّ مِن أنْ أَلقى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَومَ القِيَامَةِ ظَالماً لبَعْض العِبَادِ))[٤] ، إذ برّزَ التستري معنى التوكيد الكامل في عبارة الإمام المصدّرة بالقسم ، مع كون الإمام معصوماً ولا ينسلُّ النقصان إلى كلامه ، إذ قال التستريّ :((الواو للقسم في (واللهِ) فقد أقسم (عليه السلام) مع كونه معصوماً متحرّزاً في كلامه عن الزيادة والنقيصة ، لئلا يحمل قوله على الإغراق

---

[١] بهج الصباغة ٧ / ٨٨ .

[٢] ينظر : الجمل في النحو (للفراهيدي) ٣٠٤ ، والمقتضب ٣١٨/٢ ، والأصول في النحو ٤٢٣/١ ورصف المباني : ٤٨٢-٤٨٣ ، والجنى الداني : ١٨٥ ، ومغني اللبيب ٢٤/٢ .

[٣] التفسير البياني للقرآن الكريم ٢٠/١ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٤ / ص ٤٣٧ .

والمبالغة ؛ ولأنَّ الناس منكرون عملاً لما يقول (عليه السلام) وإنْ أقرّوا به لساناً ، فكان المقام مقام التأكيد الكامل ، فأكّدَ (عليه السلام) بالأوكد ، أي : القسم بالله الواحد الأحد))[١] ، والقرآن الكريم وهو كلام الله قد أكَّدَ بالقسم في مواضع كثيرة، اقتضاها المعنى تارةً ، ومراعاة مقتضى المخاطبين تارةً أخرى .

ومنه . أيضا . ما في قول الإمام (عليه السلام) في فضله وعلمه : ((فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَ الَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعةِ ... إلاَّ أَنْبَأْتُكُم))[٢]، ذكر التستريّ دلالة واو القسم في قوله (عليه السلام) (والَّذي) ، إذ يقول:((صَدّر (عليه السلام) كلامه بالتأكيد القسمي حيث إنَّ ما قاله من إنبائهم عن كل ما سألوه في ما بينهم وبين القيامة أمرٌ عظيم ينكره كثير من الناس ، وأمّا الأنباء بما يحدث إلى يوم القيامة فأمور غير متناهية لا يحصل ذلك إلاَّ لمن له اتصال تام بالمبدأ الأعلى))[٣] ، وقد تكرر هذا النوع من القسم في أقوال أمير المؤمنين ، ومن أمثلته :((فو الذي خَلَقَ الحبّة وَبَرِأَ النسمة)) و((فو الذي لا إله إلاّ هو إنّي لَعَلى جادّة الحقِّ)) و((فو الذي وسِعَ سمْعُهُ الأصوات)) .

٣ . الواو الحالية :

اشترط عدد من النحويين لإفادتها هذا المعنى أنْ تكون بمنزلة (إذْ) كقولك : مررتُ بزيدٍ وعمرٌو جالسٌ ، معناه : إذْ عمرٌو جالسٌ ، وجعل منه قوله تعالى :﴿**يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾[٤] ، معناه : إذ طائفة في هذهِ الحال ، فإنّما جعلهُ وقتاً ولم يُرِدْ أنْ يجعلها واوَ عطفٍ [٥] ، وقد وردت دلالة هذه الواو

---

[١] بهج الصباغة ٦/ ٣٨٣ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ٩٣ / ص ١٧٠ .

[٣] بهج الصباغة ٥ /٢٧٩ .

[٤] آل عمران : ١٥٤ .

[٥] ينظر : الكتاب ١/٩٠ ، وحروف المعاني : ٣٧ ، و سر صناعة الإعراب ٢/٦٤٠ ، والتبيان في إعراب القرآن ١ / ٢٤٦ .

في قوله (عليه السلام) يصف الأنبياء : ((فَألصَقُوا بِالأرضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرابِ وُجُوهَهُم ، وخَفَضُوا أجْنَحَتَهُم للمؤمنين وكانوا قَوْمَاً مُسْتَضْعَفِينَ قَدْ اخْتَبَرَهُمْ اللهُ بِالمَخْمَصَةِ))[١] ، قال التستريّ : ((وقوله (عليه السلام) (وكَانُوا قَوْمَاً مستضعفين) ، الجملة حال عن المؤمنين ، أي : مع كون المؤمنين قوماً مستضعفين خفضوا الجناح لهم ، وكان شرفاء الكفّار يسمّون أولئك المؤمنين بالأنبياء أراذلهم))[٢]، وهنا لا يتحقق الاستضعاف إلاَّ بالعطف على ما قبلها ، ويمكن القول إنَّ (الواو) باقية على معناها من الجمع بين المتعاطفين ، وقد أكّدَ ذلك طائفة من النحويين على أنَّ الواو لا تفارق معنى العطف في موضع الجمل الحالية ، إذ تؤدّي مهمة الربط بين الجملتين المتغايرتين ، وتسميتها بواو الحال لا تخرجها من معنى العطف[٣] .

٤ . واو الاستئناف :

ويسميها النحويون واو الابتداء[٤]، وهي الواو التي ما بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى، ولا مشاركة له في الإعراب ، ويكون بعدها الجملتان : الاسمية والفعلية [٥] .

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ / ص ٣٦٦ .

[٢] بهج الصباغة ٢ / ٤٤ .

[٣] ينظر : الكشاف ٣ / ٨٧ ، وشرح ابن الناظم ١١٠ .

[٤] ينظر : الجمل في النحو : ٣٠٣ (للفراهيدي) ، والمقتضب ١١٦/١ ، وسر صناعة الإعراب ٦٤٥/٢ ، والجنى الداني : ١٩١ .

[٥] ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب ٣٨٦/١ ، والجنى الداني : ١٩١ .

وقد أفادت الواو هذا المعنى في قوله (عليه السلام) من كتاب له إلى معاوية : ((فَاتَّقِ اللهَ فِيمَا لَدَيْكَ ... فَنفْسَكَ نَفْسكَ ! فقد بيّنَ اللهُ لكَ سبيلَكَ ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إلى غَايةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ))[1] ، ذكر التستريّ أنَّ الواو في قوله (عليه السلام) (وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ) أنَّها واو الاستئناف ، إذ قال: ((إنهُ ليس عدم عطفه أولى بل غير جائز ؛ لأنّهُ لا معنى للعطف واستئنافه معيّن)) [2] .

على حين قال ابن أبي الحديد : ((قوله (عليه السلام) :(وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ) الأوْلى ألاَّ يكون هذا الكلام معطوفاً ولا متصلاً بقوله (فقد بيّنَ اللهُ لكَ سبيلَكَ) ؛ بل يكون كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف (حيث أنتَ) ، أي : قفْ حيثُ أنتَ ، فلا يذكرون الفعل ، ومثله : مكانك ، أي : قف مكانك)) [3] .

ولم يرتضِ التستريّ هذا ، إذ قال : ((لا مناسبة لأنْ يقول (عليه السلام) له قف مكانك ، فإنّهُ كان قد تجاوز حدَّه ، وأفْرَطَ في أمره ، فالمناسب أن يقول له (فارجع عن غيّكَ وظلالِكَ) لا (قفْ حيثُ أنْتَ)))[4] .

وذهب الخوئي إلى أنَّ قوله (عليه السلام) (وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ) عطف على (سبيلك) ، أي : فقد بيّن الله لك مالكَ ومنقلبك ، قال تعالى :﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾[5] ، فهو عليه السلام يحذّره من عاقبته الوخيمة ، ويخوّفه ويخوّفه عن جزاء أعماله الفاضحة[6] .

ويمكن القول أنَّ رأي التستريّ أولى بالقبول في كون الواو للاستئناف لا العطف لمناسبة ذلك المعنى الظاهر بكلامه (عليه السلام) ؛ ولأنَّ القول بغيره مظنة للتأويل والتقدير .

---

[1] نهج البلاغة ، كتاب ٣٠ / ص ٤٩٥ .

[2] بهج الصباغة ٤/ ٢١٢ .

[3] شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٦ .

[4] بهج الصباغة ٢ / ٢١٢ .

[5] الانشقاق : ٢٥ .

[6] ينظر : منهاج البراعة ١٩ / ٣٨٧ .

ومنه كذلك قول الإمام (عليه السلام) يصف الخفافيش : ((فَسُبْحانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيلَ لَها نَهَاراً ومَعاشاً ، والنَّهارَ سَكَناً وقَرَاراً ! وجَعلَ لها أجنحةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الحاجةِ إلى الطَّيَرَانِ)[١] ذكر التستريّ احتمالين للواو في قوله (وجَعَلَ لها أَجْنَحَةً) إذ قال :((يمكن أن يكون مستأنفة ، وأن يكون عطفاً على (جعل الليلَ) ، ولا يخفى ما في هذا التشبيه من اللطف والغرابة ، يعني أنَّ جناحيه لم يجعلا دقيقين بالغين في الرّقة ، ولا غليظين بالغينِ في الغلظ حَذَرَاً من الانشقاق))[٢] .

ولعلَّ الأقرب إلى معنى النص هنا العطف لا الاستئناف ؛ لأنَّ الخطبة معقودة لبيان غرابة الخفافيش ، وأشرك معنى العطف في الإعراب والمعنى .

الواو بمعنى (مع) :

قال الإمام (عليه السلام) :((عِبَادَ اللَّهِ إنَّكُم وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذهِ الدُّنْيَا أَثْوِياءُ مُؤَجَلُونَ ، وَمَدِينونَ مُقْتَضُوْنَ : أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ))[٣] ، ذكر التستريّ دلالة الواو في قوله (عليه السلام) (وَمَا تَأْمُلُونَ) أنَّها أفادت معنى (مَعَ) إذ قال : ((أي : إنَكم معَ ما تأملون من الخلود في هذه الدُّنيا وبقاء الأموال مقيمون بآجال معينة شابا وكهلاً وشيخاً))[٤] .

المبحث الثاني

دلالة الحروف الثنائية

المطلب الأول : دلالة (إذْ) :

ذكر النحويون أنّها لفظٌ مشترك بين الاسمية والحرفية ، وذكروا لها ستة أقسامٍ ، من ضمنها أن تكون للمفاجأة بعد بينا وبينما[٥] ، قال سيبويه : ((أمّا (إذ) فلما يستقبل من

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٥٥ / ص ٢٧٢ .

[٢] بهج الصباغة ٧ / ٣٢٥ .

[٣] نهج البلاغة ، الخطبة ١٢٩ / ص ٢٣٥ .

[٤] بهج الصباغة ٨ / ١٢٥

[٥] ينظر : الجنى الداني : ٢١٣ .

الدهر، ولا يليها إلاَّ الفعل الواجب، وذلك قولك : بينما أنا كذلك إذْ جاء زيدٌ))[١] واستعمل الفرّاء معنى المفاجأة في (إذْ) وبيّن أنَّها تأتي كذلك مع الظرفين (بينا) و(بينما) ، كقول جميل بثينة [٢] :

بَيْنَمَا هُنَّ بالأراكِ مَعاً إذْ أتى رَاكِبٌ على جَمَلِهْ .

ثمَّ أشار إلى أنَّ الأكثر في كلام العرب أن تترك منهما ، كما هو الأمر في قول الشاعر :

بَيْنَا تَبْغِّيهِ المَشَاءَ وَطَوْفِهِ وقعَ العَشَاءُ بِهِ عَلى سِرحانِ .

وقال : ((ومعناهما واحد بـ (إذْ) وبطرحهما))[٣] ، وقد ذكر التستري دلالة (إذْ) للمفاجأة في قوله (عليه السلام) في ذم الدنيا : ((وإنَّ أهلَ الدُّنيا كَرَكبٍ بَيْنَا هم حلوٌ إذْ صَاح بِهِم سَائقُهُم فارتَحَلُوا))[٤] ، ذكر ابن أبي الحديد أنَّ أكثر أهل العربية يمنعون (إذ) و(إذا) من مجيئهما بعد(بَيْنَا) و(بَيْنَما) ، ومنهم من يجيزه ،وعليه جاء كلام أمير المؤمنين وانشدوا[٥] :

بَيْنَما النَّاسُ على عَلياتِها إذ هَووا فِي هُوَّةٍ فيها فَغَارُوا[٦] .

وقالت الحرقة بنت النعمان :

وَبَيْنَا نَسوسُ النَّاسَ والأمرُ أمْرُنَا إذا نحنُ فِيهم سُوقةٌ نَتَنَصَّفُ .

على حين لم يرتض التستريّ ما ذكره ابن أبي الحديد ، فقال معقباً على كلامه مستدلاً بما ذكره ابن هشام : ((لم أدرِ مَن منع من أهل العربية ما قاله ، بل قال ابن هشام : ومن وجوه (إذ) أنْ تكون للمفاجأة وهي الواقعة بعد (بَيْنَا) و(بَيْنَمَا)))[٧] .

---

[١] الكتاب ٤ / ٢٣٢.

[٢] ديوانه : ١٨٨ .

[٣] معاني القرآن (الفرّاء) ١ / ٤٥٩ . ٤٦٠ .

[٤] نهج البلاغة ، الحكمة ٤١٥ / ص ٦٨٥ .

[٥] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٢٠ / ٥٢ .

[٦] لسان العرب ٥ / ٤٢٦ ، وتاج العروس ١ / ٨٦٨٠

[٧] بهج الصباغة ١١ / ٤٣٩ ، وينظر : شرح شذور الذهب : ١٦٤ ، ومغني اللبيب١ / ١١٥

ويبدو أنَّ قول ابن أبي الحديد استند إلى ما قاله الزمخشري : ((كان الأصمعي لا يستفصح إلاَّ طرحهما في جواب (بينما وبينا)))[١] ، وكون (إذ) للمفاجأة قد نصَّ على ذلك سيبويه وهي الواقعة بعد (بيْنَا و بيْنما) في قول الشاعر :

اسْتَقْدِرِ اللَّهَ خَيْرَاً وأَرضَيَنَّ بِهِ فَبَيْنَمَا العُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ[٢] .

ومع ورود الشواهد السمعية على اقتران جواب (بينا وبينما) بـ (إذا الفجائية) ، ومنها قول الإمام (عليه السلام) وما استشهد به سيبويه وغيره لا يلتفت إلى تشدد الأصمعي ومن تابعه في منع هذا الاستعمال .

المطلب الثاني : دلالة (إنْ):

تُعَدُّ (إنْ) من الأدوات الشرطية الجازمة وهي حرف باتفاق النحاة جميعاً ، وهي من الأدوات البسيطة والمركبة، وذكر سيبويه أنّ الأصل الذي وضعت له (إنْ) هو المجازاة ، أي : الشرط إذ يقول : ((وأمّا (إنْ) فتكون للمجازاة ، وتكون أنْ يبتدأ ما بعدها في معنى اليمين ، وفي اليمين ، كما قال عزّ وجل : ﴿ **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾ ((٣)) ﴿**وإِنْ كلٌّ لمَّا جَمِيعٌ لَدَينا مُحْضَرُونَ** ﴾[٤]))[٥] لذلك سميت بـ(أم حروف الجزاء) بإطلاق من سيبويه عليها بقوله : ((وزعم الخليل أنّ (إنْ) هي أم حروف الجزاء، فسألته: لِمَ قلتَ ذلكَ ؟ فقال: مِن قبل أنّي أرى حروف الجزاء قد يتصرفنَ فيكنّ استفهاماً ومنها ما يفارقه (ما) فلا يكون فيه الجزاء، وهذه على حال واحدة أبداً لا تفارق المجازاة))[٦] .

وقد التفت التستريّ إلى الدلالة الوظيفية التي أفادتها (إنْ) في توجيه المعنى في قوله (عليه السلام) يوصي أصحابه قبل موته : ((أَمَّا وَصيَتِي : فَاللَّه لا تشركوا بِهِ شيئاً ومحمداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) فلا تضيعوا سنته ... أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُم ، وأَنَا اليوم

---

[١] المفصل في صنعة الإعراب : ٢١٤ .

[٢] ينظر : الكتاب ٣ / ٥٢٨ .

[٣] الطارق : ٤ .

[٤] سورة (يس) : ٣٢ .

[٥] الكتاب ٣ / ١٥٢ ، وينظر : المقتضب ٢ / ٣٥٩ .

[٦] الكتاب ٦٣/٣، وينظر : المقتضب ٤٥/٢ ، والأصول في النحو ١٦٤/٢، وشرح المفصل ٤١/٧، ٤١/٧، وشرح الرضي على الكافية ٨٦/٤ .

عِبْرَةٌ لكُم ، وغداً مُفَارقكم ! غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُم ، إنْ تُثْبُتِ الوَطْأةُ فِي هذِهِ المَزَلّةِ فَذَاكَ ، وإنْ تَدْحَضِ القَدَمُ فإنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاء أغْصَانٍ))[1]، وقد برّز التستري دلالة (إنْ) الموضوعة للشك في قوله (عليه السلام) (إنْ تُثْبُتِ الوَطْأةُ) ، إذ جاءت مقترنة بالفعل المضارع (تُثْبُتِ) الدالّ على الاستقبال ، وأتى بها للثبوت ، بمعنى إنْ يكن لي ثباتٌ في هذه الدنيا وبقاء في هذه المزلّة ، إذ قال : ((جعل (عليه السلام) الدُّنيا مزلّة حيث لا ثبات لقدم الإنسان فيها ، وهو فيها في كل ساعة مظنّة للوقوع والسقوط فيها من آفاتها ومصيباتها ، وأتى (عليه السلام) للثبوت فيها بـ (إنْ) الموضوعة للشك ، حيث إنَّ ثبوت القَدم في المزَلّةِ أمرٌ مشكوك))[2]، أي : أنَّه (عليه السلام) فرّق بين مجيء (إن) الشرطية للشك ، ومجيء (إذا) لليقين .

وقوله (عليه السلام) في موضع آخر في ذمِّ العاصين من أصحابه : ((أَحْمَدُ اللَّهَ عَلى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعلى ابْتلائِي بكم ... فَوَ اللَّهِ لَّئِنْ جَاءَ يَومي ، وَلَيَأْتِيَنّي ، لَيُفَرَّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُم وأنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ ، وبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ لِلَّه أنْتُم ! أَيَّتُهَا الفِرْقَةُ الَّتي إذا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ))[3] ، بيّنَ التستريّ دلالة (إنْ) الموضوعة للشك ، كون دعوته غير متحققة فلم يتبعوا أمره فيما دعاهم ، إذ قال :((جاء (عليه السلام) بـ (إنْ) الموضوعة للشك في قوله (لَئْن جَاءَ يَومي) لكون جوابه (لَيُفَرَّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُم) غير متحقق الوقوع دون شرطه ؛ ولذا جاء بالاستدراك وقال : (وَلَيَأْتِيَنّي) بالتشديد))[4] .

فقد أقسم (عليه السلام) إن جاء يومه ، أي : وقت موته ليفرقنَّ بينهم وبينه ، وهو تهديد لهم بفراقه وانشعاب أمورهم بعده ، وأتى بـ (لَيَأْتِيَنّي) للتأكيد ؛ لأنَّ إتيان الموت أمر محقق ، وكأنَّهُ ردَّ بِها ما تقتضيه إنْ من الشك[5] ، فجملة (لَيُفَرَّقَنَّ) جواب القسم ، استغنى بها

---

(1) نهج البلاغة ، الخطبة ١٤٩ / ص٢٥٩ . ٢٦٠ .

(2) بهج الصباغة ١١ / ٣١ .

(3) نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٠ / ص ٣٢٤ . ٣٢٥ .

(4) بهج الصباغة ١٠ / ٤٢١ .

(5) ينظر : شرح ابن ميثم ٣ / ٣٧٦ .

عن جواب الشرط ، وجملة (لَيَأْتِيَنّي) معترضة بين القسم والشرط وجوابيهما المذكور والمحذوف [١] .

المطلب الثالث : دلالة (عَنْ) :

ذهب كثير من النحويين إلى أنّها لفظٌ مشترك بين الاسمية والحرفية ، فتجيء اسماً تارةً وحرفاً تارةً أخرى ، وبيّنوا أنّها تقع اسماً إذا دخل عليها حرف الجر ، إذ قصروا ذلك على الحرف (مِن) ، فذكروا أنّها لا تُجَرُّ بغيره ، وهي حينئذٍ تكون اسماً بمعنى (جانب) مستدلين على أسميتها بقول الشاعر [٢]:

ولَقَد أراني للرِمَاحِ دَرِيئةً مِنْ عَنْ يَمِيني تَارةً وَشِمَالي .

وقول الآخر [٣] :

فَقلتُ لِلرَّكْبِ لَمَّا أَنْ عَلا بِهِمُ مِنْ عَنْ يَمِينِ الحُبَيَّا نَظرَةٌ قَبَلُ .

وهي في ذلك تكون اسماً بمعنى (جانب) وما بعدها مجروراً بالإضافة[٤] ، ومن أهم المعاني التي خرجت إليها في الشرح ، وهي :

١ـ **الانتهاء والمجاوزة** ، وهو من أشهر معانيها ، ولم يثبت لها البصريون غير هذا المعنى ، إذ قال سيبويه : ((وأمَّا (عَنْ) فلما عدا الشيء ، وذلك قولك : أطْعَمَهُ عَنْ جُوعٍ ، جعل الجوع منصرفاً تاركاً له قد جاوزه))[٥]، وهي دلالة أصلية أوردها التستري في شرح قوله (عليه السلام) ينصح أصحابه : ((فَرحِمَ اللهُ رَجلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فإنَّ هذهِ النفسَ أبْعَدُ شيءٍ مَنْزَعاً))[٦] إذ قال التستري في :(نزعَ عن شهوتهِ) ((فالفعل نزع هنا متعدٍ بـ (عَنْ) ومع عن بمعنى الانتهاء ، أي : كَفَّ وقلعَ عن شهوته))[٧] ، فـ

---

[١] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ١٠ / ٢٧٥ .

[٢] البيت لـ (قطري بن الفجاءة) وهو من شواهد : الأصول في النحو ١ / ٤٣٧ ، وأسرار العربية : ٢٥٤ ، والجنى الداني : ٢٦٠ .

[٣] البيت لـ (القطامي ، ديوانه : ٢٨) وهو من شواهد : الجنى الداني : ٢٦٠ ، وابن الناظم : ١٤٤

[٤] ينظر : الأصول في النحو ١ / ٤٣٧ ، وأسرار العربية : ٢٥٤ ، والجنى الداني : ٢٦٠ .

[٥] الكتاب ٤ /٢٢٦ ، وينظر : أسرار العربية : ٢٥٥ ، ومغني اللبيب ١ / ١٥٦ .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ٣١٧ / ص ٥٣١ .

[٧] بهج الصباغة ١٢ / ٩٤ .

(عَنْ) في قوله (عليه السلام) أفادت الدلالة على تجاوز لذّات الدنيا والابتعاد عن معاصيها ورغباتها .

وقال (عليه السلام) رداً على كلام اليهودي : مَا دَفَنْتُم نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُم فِيهِ ، فقالَ لَهُ (عليه السلام) : ((إنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ ، وَلَكِنَّكُمُ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ البَحْرِ حَتَّى قُلْتُم لِنَبِيِّكُم ﴿ **يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ﴾ فـ ﴿ **قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ** ﴾[1]))[2] إذ فَهِمَ التستري من قول الإمام (عليه السلام) (اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ) أنَّه ردَّ ذلك اليهودي بما يسكته ؛ وذلك أنَّ الاختلاف عن النبوّة غير الاختلاف فيها ؛ لما في (عن) من دلالة المجاوزة ، فكأنَّ اختلاف المسلمين في فهمهم لمبادئ النبوة غير الاختلاف في أصل نظرية النبوّة ، ومن هنا استحسن ابن أبي الحديد عبارة الإمام (عليه السلام) إذ قال : ((ما أحسن قوله عليه السلام (اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ) وذلك أنَّ الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوّة ؛ بل في فروع خارجة عن ذلك نحو الإمامة والميراث))[3] .

لكنَّ التستريّ رأى أنَّ (عن) بمعنى (في) وذلك أنَّ الاختلاف كان في أصل من أصول الدين هو الإمامة ، إذ قال: ((الإمامة أيضاً من أصول الدّين ، وإنّما هي فرع من فروع النبوّة ، بمعنى أنَّ الإمام يعيّنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وأنّه (عليه السلام) أجاب جدلاً حيث إنَّ ذلك اليهودي أدخله في المختلفين ، فأجابه بما يسكته ، وإلاَّ فاختلافهم إنّما كان عنْهُ (صلى الله عليه وآله وسلّم) في الظاهر وفي الباطن ، كما يلمح إليه قوله جلَّ وعلاَ : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾[4])) [5] .

---

[1] الأعراف : ١٣٨ .

[2] نهج البلاغة ، الحكمة ٣١٧ / ص ٦٦٥ .

[3] شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ٢٢٥ .

[4] آل عمران : ١٤٤ .

[5] بهج الصباغة ٤ / ٣٥١ .

والأوْلى أنْ تبقى (عن) على معناها الظاهر وهو المجاوزة ، أي اختلافهم بعيد عن مفهوم النبوّة ، ولو دلّت (عن) على (في) لكان التقدير : (اختلفنا فيه لا فيه) وهو غير موجّه، وكان الإمام قد نبّه على الاستعمال الدقيق لهذه الأدوات في مواضع كثيرة من النهج .

المطلب الرابع : دلالة (لا) :

أداة لها في الكلام مواضع كثيرة ، وجملتها النفي، وتتعدد تلك المواضع ، فتكون (لا) حرفاً عاملاً وغير عامل ، وأصول أقسامه ثلاثة : لا النافية ، ولا الناهية ، ولا الزائدة [١]، وقد تلمّس التستري بعض المعاني الوظيفية التي أفادتها (لا) وهي :

١. **(لا) المهملة** : ذكر النحويون أنّها تُهمل إذا دخلت على جملة اسمية صدرها معرفة ، ويلزمها التكرار في غير ضرورة ، وجاء في شرح التسهيل : ((إذا انفصل مصحوب (لا) ، أو كان معرفة بطُلَ العمل بإجماع ، ويلزم حينئذٍ التكرار في غير ضرورة))[٢] وقد نصَّ على ذلك سيبويه إذ قال : ((واعلم أنَّ المعارف لا تجري مجرى النكرة في هذا الباب ؛ لأنَّ (لا) لا تعمل في معرفة أبداً))[٣] ، وقد وردت مكررة وأهملت في قوله (عليه السلام) في مَن يدّعي العلم ، وهو جاهل : ((يذرِي الرِّوايَاتِ إذْرَاءَ الرِّيحِ الهَشِيمِ، لا مَلِيءٌ واللّهِ بإصْدَارِ مَا وَرَدَ عَليه ، ولاَ هوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إليه ، لاَ يَحْسَبُ العِلْمَ فِي شيْء مِمّا أنْكَرهُ))[٤] ، إذ قال التستري : ((يجب تكرار (لا) إذا دخلت على الاسمية وأهملت ، كقوله تعالى : ﴿ **لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[٥])) [٦] .

---

[١] ينظر : الجنى الداني : ٣٠٠ ، وهمع الهوامع ٢ / ٦٠٦ .

[٢] شرح التسهيل ١ / ٣٧٧ و ٢ / ٥٤ ، وينظر : الجنى الداني : ٣٠٥ ، وأوضح المسالك ٢ / ٥ ، ومغني اللبيب ١ / ٢٤٢ .

[٣] الكتاب ٢ / ٢٩٦ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٧/ ص٤٧ .

[٥] سورة (يس) : ٤٠ .

[٦] بهج الصباغة ٧ / ٢٣١ .

وذكر ابن أبي الحديد أنَّ قوله (عليه السلام) : (ولا هوَ أَهْلٌ لِمَا فُوِّضَ إليه) أي : ليس بمستحقٍ للمدح الذي مدح به ، والذي رواه في التتمة هو الصحيح الجيد ؛ لأنّهُ يستقبح في العربية أن تقول : (لا زيدٌ قائمٌ) حتّى تقول : (ولا عمرو) أو (ولا قاعد)[١].

وقد ردَّ التستريّ ذلك إذ قال:((إلاَّ إنَّ قوله حتّى يقول:(ولا عمرو) أو (ولا قاعد) غلط ، فبعد (لا زيدٌ قائمٌ) يتعيّن أنْ يقولَ:(ولا عمرو) أو (ولا عمرو قاعد) ، وإنّما يَصحُّ (ولا قاعد) إذا قيل : (زيدٌ لا قائمٌ) ، نحو قوله تعالى :﴿ **إِنَّـهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ** ﴾[٢]))[٣] .

٢ .(لا) الزائدة :

ذهب كثير من النحويين[٤] والمفسرين[٥] إلى زيادة (لا) بعد القسم لإفادة معنى التوكيد ، بقولهم: إنَّ الحرف الزائد لابدَّ من أنْ يكون له إمَّا فائدة معنويَّة كالتوكيد، أو فائدة لفظيَّة كاسْتِقَامة وزن الشعر أو حسن السجع ، ولا يجوز خُلوِّها من الفوائد اللفظيَّة والمعنويَّة معًا ، وإلاَّ لعُدَّ عبثًا [٦] .

وقد وردت زائدة في سياق القسم في قوله (عليه السلام):((لاَ وَالَّذي أَمْسَيْنا مِنْهُ فِي غُبْرِ ليلَةٍ دَهماءَ ، تَكْشِرُ عَنْ يَومٍ أَغَرَّ ، مَا كَانَ كَذا وكَذَا))[٧] ، قال التستري :((قوله (عليه السلام) (لاَ وَالَّذي) الذي يظهر من استعمالات لغة العرب في مثل كلامه (عليه السلام) من كون الجواب منفياً لزوم زيادة (**لا**) في أول القسم إيذاناً بكون الجواب منفياً ، قال تعالى : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا**

---

[١] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١ / ٢٨٥ ، وشرح ابن ميثم ١ / ٣١٧ .

[٢] البقرة : ٦٨ .

[٣] بهج الصباغة ٧ / ٢٣١ .

[٤] ينظر : شرح المفصل ١٣٦/٨– ١٣٧ ، ومغني اللبيب ٢٤٩/١ ، ومعاني النحو ١٣٤/٤ .

[٥] ينظر الكشاف ٥٨/٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٨٣ ، وتفسير أبي السعود ١٩٩/٨ ، والبحر المحيط ٨ / ٢٢٩ ، وزاد المسير ١٢٦/٩، ، وروح المعاني ١٥٢/٢٧ .

[٦] ينظر : شرح الرضي على الكافية ٤٣٣/٤ .

[٧] نهج البلاغة ، الحكمة ٢٧٧/ ص ٦٥٩ .

مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] ، وقالوا : قَسَمُ العرب (لا بذي تسلم ما كان كذا وكذا))[2]. قال الزمخشري: (((فلا وَرَبِّكَ) معناه فَوَرَبِّكَ، كقوله تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ**﴾[3]» فـ(لا) مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في ﴿ **لِئلا يَعْلَمَ**﴾[4] لتأكيد وجوب العلم و(لا يُؤْمِنُون) جواب القسم))[5] وقال العكبريُّ : ((قوله تعالى:﴿**فَلَا وَرَبِّكَ**﴾ فيه وجهان: أحدهما: أحدهما: أنَّ (لا) الأولى زائدة ، والتقدير، (فَوَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ) ، وقيل الثانية زائدة ، والقسم معترضٌ بين النفي والنفي))[6].

ومن استقراء استعمال (لا) قبل القسم ثبت أنّها تستعمل مع الجواب المنفي كما تقدَّم في الأمثلة المذكورة آنفاً ، وأنّها تستعمل مع الجواب المثبت كقوله تعالى : ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ** ﴾[7] وقوله تعالى : ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**﴾[8] ولمّا كان استعمالها مع الجواب المنفي والمثبت لم يستقر النحويون والمفسرون والمفسرون على أنّها تفيد معنى توكيد الخبر ، وذهبوا في دلالاتها مذاهب متعددة ، منها :

١. أنَّ (لا) نافية لأمر سابق للقسم ففي قوله تعالى : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾ التقدير :(ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم)[9].

٢ـ أنَّ (لا) نافية للقسم مشعرة بإعظام المقسم به ، فكأنَّ المعنى : أنا لا أعظم الأمر بالقسم ، وهو معظّم بنفسه ولا يحتاج إلى قسم [10] .

---

[1] النساء : ٦٥

[2] بهج الصباغة ٨ / ٨٩ . ٩٠ .

[3] الحجر: ٩٢ .

[4] الحديد: ٢٩ .

[5] الكشاف ٥٣٨/١ ، وينظر: روح المعاني ١٣٥/٢٩-١٣٦ .

[6] التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٣٩ ، وينظر : التأويل النحوي في القرآن ١٣٧٩/٢ .

[7] البلد : ١ . ٣ .

[8] الواقعة : ٧٥ .

[9] التفسير الكبير ١٠ / ١٦٣ .

[10] ينظر : الكشاف ٣ / ٢٩٢ ، وأساليب القسم في اللغة العربية : ١٥٠ . ١٥١ .

٣ـ أنَّ (لا) نافية للمقسم عليه ، مؤكدة للنفي الذي يأتي في ما بعد ، و(لا) الواقعة ابتداءً من غير كلام سابق ، ولا يكون جوابها إلاَّ منفياً[١] ، وعلى هذا المعنى حُمِلَ قول الإمام (عليه السلام) : ((لاَ وَالَّذي أَمْسَيْنا مِنْهُ فِي غُبْرِ ليلَةٍ دَهماءَ ، تَكْشِرُ عَنْ يَومٍ أَغَرَّ ، مَا كَانَ كَذا وكَذَا)) .

المطلب الخامس : دلالة (ما) :

هي أداة تدخل على الجملة الفعلية ولا تعمل شيئاً[٢] ؛ لأنها لا تترك أثراً في الفعل إلاّ تحديد زمنه ، وتدخل على الماضي ، نحو ، قوله تعالى :﴿**وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا**﴾[٣] وعلى المضارع ، نحو : قوله تعالى :﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[٤] ، قال سيبويه: (((ما) نفي لقوله : هو يَفْعَل إذا كانَ في حالِ الفعلِ ، فتقول : ما يفعلُ)) [٥]، ويقول المبرد :((... أنّهم رأوها في معنى (ليس) تقع مبتدأة ، وتنفي ما يكون في الحال ، وما لم يقع))[٦]، وتدخل على الجملة الاسمية ، إذ تكون عاملة عمل ليس ، وسمّاها النحويون الحجازية ، نحو قوله تعالى : ﴿ **وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾[٧]، قال سيبويه :((وأمّا أهل الحجاز فيشبهونها بـ (ليس) إذا كان معناها كمعناها)) [٨] ، وقد وقف التستريّ على أهم الأغراض الدلالية التي أفادتها(ما) ، وهي:

١ ـ ما المصدرية :

---

[١] ينظر : معاني النحو

[٢] ينظر : الكتاب ١ / ٥٧ ، والأصول في النحو ١ /٥٥ ـ ٥٦ ، وشرح المفصل ١ / ١٠٨ .

[٣] الشمس : ٥ .

[٤] سورة (ق) : ١٨ .

[٥] الكتاب ٤ / ٢٢١ .

[٦] ينظر : المقتضب ٤ / ١٨٨ .

[٧] يوسف : ٣١ .

[٨] الكتاب ١ / ٥٧ .

ما المصدرية قسمان[١] : وقتية وغير وقتية ، فالوقتية : هي التي تؤوّل بمصدر نائب عن ظرف الزمان ، كقوله تعالى:﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ** ﴾[٢]، وتسمى ظرفية أيضاً .

وغير الوقتية : هي التي تقدر مع صلتها بمصدر ، ولا يحسن تقدير الوقت قبلها ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ** ﴾[٣] ومنه قول الشاعر[٤] :

يَسرُّ المرءَ ما ذَهَبَ الليالي وكان ذهابُهُنَّ له ذهابا .

وقد وردت في قوله (عليه السلام) في التزهيد بالدُّنيا :((وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ، وغَافِلٌ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ ، وَعَلَى أَثَرِ المَاضِي مَا يَمْضِي البَاقِي !))[٥]، بيّن التستريّ دلالة ما في قوله(عليه السلام) (مَا يَمْضِي البَاقِي) إذ يقول : ((إنّ (ما) في (ما يمضي) مصدرية معيناً ، أي : على أثر الماضي مضى الباقي))[٦]، واحتمل ابن أبي الحديد أن (ما) زائدة أو مصدرية[٧] ، على حين ذهب أكثر شراح النهج إلى أنّها مصدرية [٨] ، وهو وهو الأولى ؛ لأنَّ القول بزيادة الأداة إمكان حمل معناها على ظاهره .

ومن أمثلتها قوله (عليه السلام) ينبّه من الغفلة :((فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ ما قَدْ عَايَنَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ ... وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الحِجَابُ !))[٩]، إذ ذكر التستريّ دلالة (مَا) في قوله (مَا يُطْرَحُ) أنّها مصدرية بمعنى طرحه ، يعني رفعه بالموت ، ويجوز نصب (قريب)

---

[١] ينظر : الجنى الداني : ٣٣٠ . ٣٣١ ، ومغني اللبيب ١ / ٣٠٣ . ٣٠٤ .

[٢] هود : ١٠٨ .

[٣] التوبة : ٢٥ .

[٤] شاعر مجهول ورد في : شرح المفصل ١ / ١٤٢ ، والبحر المحيط ٥ / ١١٨ ، والجنى الداني : ٣٣١ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ٩٩ / ص ١٨١ .

[٦] بهج الصباغة ١١ / ٣١٩ .

[٧] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٧ / ٨١ .

[٨] ينظر : الأمثال والحكم : ٢٦٣ ، واختيار مصباح السالكين : ٤٤٦

[٩] نهج البلاغة ، الخطبة : ٢٠ / ص ٥٠ .

بالمصدرية بأنْ يكون الأصل : (ويطرح الحجابُ قريباً ما) ، فليس بين الإنسان وما وعده الله من الثواب والعقاب إلاّ أنْ يبلغَ النفس الحلق ، والموت قريب[١] ، ودلالة ما المصدرية المصدرية وفعلها في محل رفع مبتدأ ، و(قريب) خبره ، وهي موضع اتفاق شراح النهج [٢] .[٢]

وقد ورد في قوله (عليه السلام) في ذكر جيش أنفذه إلى بعض أعدائه : ((فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ المُسْلِمِينَ ... وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ ، فَلأيًا بِلأيٍ مَا نَجَا))[٣]، ذكر ذكر التستري دلالة (ما) في قوله (ما نجا) ، إذ قال : ((يمكن أن تكون ما مصدرية ، أي : نجاته ، وأن تكون وصفاً لِلَّأْي ، أي : بلأي عظيم ، وكيف كان ، يُجاء بـ (ما) هذه بعد (لأي) غالباً))[٤] ، ثمَّ عضّد رأيه بقول زهير بن أبي سلمى[٥] :

فلأياً بَلأْيٍ مَا حَمَلْنَا وَليدَنا عَلى ظَهْرِ مَحْبُوكٍ ضِمَاءٍ مَفَاصِلَهْ .

واحتمل ابن أبي الحديد أنَّ (ما) زائدة أو مصدرية ، وانتصب (لأياً) على المصدر القائم مقام الحال ، أي : نجا مبطئاً ، والعامل في المصدر محذوف ، أي : أبطأ مبطئاً ، والفائدة في تكرير اللفظة المبالغة في وصف البطء ، الذي نجا موصوفه به[٦] .

٢ . ما الظرفية :

وقد وردت (ما) الظرفية في قوله (عليه السلام) في الهجرة: ((وَالهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأوَّلِ ، مَا كَانَ للهِ فِي أهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ))[٧]، إذ اختار التستري أن يكون معنى الهجرة إلى الإمام نفسه ، إذ قال : ((أنَّه لا مناسبة أنْ تكون (ما) هنا نافية ، وليس المحلُّ مَحلَّ التوهم حتى يحتاج إلى الدفع ؛ فإنّه لو كان قوله (عليه السلام): ((وَالهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى

---

[١] ينظر : بهج الصباغة ١١ / ٨٧ .

[٢] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١/ ٢٩٨ ، وحدائق الحقائق ١ / ٢١٧ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٣ / ٢٨٢ ، وفي ظلال نهج البلاغة ١ / ١٥٦ .

[٣] نهج البلاغة ، الكتاب ٣٦ / ص ٥١٨ .

[٤] بهج الصباغة ١٠ / ٤٥٨ .

[٥] ديوانه : ٥٣ .

[٦] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ١٥٠ .

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٩ / ص ٣٥١ .

حَدِّهَا الأوَّلِ)) موهماً لاحتياجه تعالى ، كان بيان كل حكم من أحكام الشريعة كذلك ، وإنّما لدفع التوهم موضع ، كقوله تعالى:﴿ **وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى**﴾[١]، والمعنى : أنَّ الهجرة قائمة على حدِّها الأوَّل ما دام التكليف باقياً))[٢] ، وهذا الذي اختاره التستري هو رأي ابن أبي الحديد في أنَّ (ما) هنا مصدرية ظرفية [٣] .

وكان الراوندي والبحراني قد ذهبا إلى أنَّ (ما) هنا نافية ، إذ قدّر الراوندي المعنى بقوله : ((ما هنا نافية ، أي : لم يكن لله في أهل الأرض ممن أسرَّ دينه أو أعلنه أو أظهره حاجة ، فإنه تعالى لمّا خلق الخلائق لينفعهم ويحسن إليهم عاجلاً وآجلا والله غنيٌ عن الحقيقة ، ولم يخلقهم لينتفع بهم أو ليدفع ضرراً بسببهم))[٤].

وقدّر البحراني المعنى بقوله :((غير بعيد أنْ تكون (ما) نافية مع اتصال الكلام بما قبله ، ووجههُ أنّه لمّا رغَّب الناس في طلب الدين والعبادة ، فكأنّه أراد أن يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله الدين والعبادة من حاجته إليها من خلقه حيث كرر طلبه منهم بتواتر الرسل والأوامر الشرعية ، ويصير معنى الكلام : أنَّ الهجرة باقية على حدِّها الأوّل في صدقها ... وليس ذلك لأنَّ لله في أهل الأرض من حاجة))[٥].

ويبدو للباحث أنَّ (ما) هنا مصدرية ظرفية كما اختاره التستريّ تبعاً لابن أبي الحديد ، فيكون المعنى : والهجرة قائمة على حدّها ما دام لله في أهل الأرض ممن أسرَّ دينه أو أعلنه حاجة ، وليس المعنى افتقار الله إلى أهل الأرض فهو الغني بذاته ، وإنّما المراد الإشارة إلى الغرض الذي من أجله خلقهم ، وهو العبادة ؛ لقوله تعالى :﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[٦] .

---

[١] طه : ٢٢ .

[٢] بهج الصباغة : ٣ / ٢٩٥ .

[٣] شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٠٣ .

[٤] منهاج البراعة ٢ / ٤٤٥ .

[٥] شرح ابن ميثم ٤ / ١٩٦ ، وينظر : مصباح السالكين : ٤٤٢ .

[٦] الذاريات : ٥٦ .

ومن أمثلتها قوله (عليه السلام) لبعض أصحابه : ((مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسعَةِ هذِهِ الدَّارِ في الدُّنْيَا ، مَا أَنْتَ إلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أحْوَجَ ؟))[١] ، قال التستريّ : ((في نسخة ابن ميثم البحراني من دون الهمزة (ما أنت في الآخرة أحوجَ) وصحَّ ذلك لكون نسخة الرضي عنده ، وحينئذٍ فإنَّ (ما) في الكلام ظرفية بمعنى ما دام))[٢] ، وقد استفهمه (عليه السلام) في توسعة داره استفهام توبيخ وإنكار لمَا أن ذلك ينافي الزهد والحرص في الآخرة ، ثم لكونه أحوج إليها في الآخرة استفهام تثبيت وتقرير[٣].

وذهب الخوئي إلى ((إثبات الهمزة في قوله : (أما أنت إليها في الآخرة كنتَ أحوجَ) ، تنبيهاً على أنَّ السعة محتاجا إليها في الآخرة مزيد الاحتياج ، وذلك لكون الدنيا دار فناء وانقطاع ، والآخرة دار قرار))[٤] .

٣ . ما التعجبية :

وللتعجب في العربية أساليب مختلفة ، والأدوات واحدة منها ، و(ما) هي أحدى الأدوات التي تستعمل في معنى التعجب ، وذلك في صيغة (ما أفْعَلَ) القياسية ؛ وهي نكرة تامّة بمعنى شيء ، نحو : ما أحْسَنَ زيداً، والمعنى : شيءٌ حسَّنَ زيداً، وهذا مذهب سيبويه وجمهور البصريين ، إذ قال سيبويه : ((هذا بابُ ما يعملُ عملَ الفعل ولم يجرِ مجرى الفعل ولمْ يتمكَّن تمكّنه ، نحو قولك : مَا أَحسَنَ عبدَ اللهِ ، زعم الخليل أنّه بمنزلة قولك : شيءٌ أحسَنَ عبدَ اللهِ ، ودخله معنى التعجب وهذا تمثيلٌ ولم يُتَكَلَّم به ، ولا يجوز أن تُقَدِّمَ عَبدَ اللهِ وتؤخِّر ما ولا تزيل شيئاً عن موضعه))[٥] ، وقد تلمّس التستري دلالة

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٠٩ / ص ٤٠٨ .

[٢] بهج الصباغة ٦/ ٢٧٤ .

[٣] ينظر : شرح ابن ميثم ٤ / ١٧ .

[٤] منهاج البراعة ١٣ / ١٢٣ .

[٥] الكتاب ١ /٧١ . ٧٢ .

التعجب في قوله (عليه السلام) في الخلافة : ((فَيَا عَجباً بينا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا في حَياتهِ ، إذْ عَقَدَها لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتهِ لَشَدَّ ما تَشَطَّرَا ضَرعيها ! فَصَيَّرَها في حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ))[1]، استظهر التستريّ أنّ دلالة (ما) في قوله (لشدَّ ما) أفادت معنى التعجب ،إذ قال :((الظاهرأنَّ (ما) في (لشدَّ ما) للتعجب فيكون في معنى (ما أشدَّ) والمعنى : أنّ الشيء كان في غاية الشدة يشهد له موارد استعماله من كلامه (عليه السلام) وكلام آخرين))[2]، ثمَّ عَضّدَ رأيه بقول البحتري[3] :

لَشَدَّ مَا نَالَ منّي الدّهرُ واعتَقَلَتْ يَدُ الزّمَانِ وأوْهَتْ مِن قِوى مَرَري .

وقال ابن أبي الحديد : (((شَدَّ ما) ، أي : صار شديداً ، كما أنّ حبذا صار حبيباً))[4]، وذهب ابن ميثم والمجلسي إلى أنَّ (لشدّ ما) اللام للتأكيد ، وما مع الفعل بعدها في تقدير المصدر ، وهو فاعل (شَدَّ) ، والجملة من تمام التعجب ، وقد استعار (عليه السلام) لفظ الضرع ها هنا للخلافة ، وهي استعارة ملزمة لتشبيهها بالناقة[5] .

ويبدو أنَّ ما ذكره التستريّ هو الراجح في أنَّ صيغة (لَشَدَّ ما) تعجبية ، وهو أنَّ الشيء كان في غاية الشدّة ، ولا يستقيم بعد ذلك تأويله بـ(صار شديداً) فالتعجب من شدّته هو التعبير الملائم له .

٤ . ما الاستفهامية :

وذلك في قول الإمام (عليه السلام) في ذكر الملاحم : ((ذَلكَ إذَا عَضَّكُم البَلاَءُ كَمَا يَعَضُّ القَتَبُ غَارِبَ البَعِيرِ ، مَا أطْوَلَ هذَا العَنَاءَ ، وَأبْعَدَ هذَا الرَّجَاءَ !))[6] ، قال ابن أبي أبي الحديد في قوله (عليه السلام) : (ما أَطْوَلَ هذَا العَنَاءَ ، وأَبْعَدَ هذَا الرَّجَاءَ !) هذه حكاية

---

[1] نهج البلاغة ، الخطبة ٣ / ص ٢٩ .

[2] بهج الصباغة : ٥ / ٧١ . ٧٢ .

[3] ديوانه : ٢٧٨ .

[4] شرح ابن أبي الحديد ١ / ١٧٠.

[5] ينظر : شرح ابن ميثم ١ / ٢٥٧ ، وشرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ١ / ٦ .

[6] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٧ / ص ٣٤٨ .

كلام شيعته وأصحابه[١] ، أي : أنه قدّر قولاً محذوفاً ، والتقدير : تقولون : حينئذٍ مَا أطْوَلَ هذَا العَنَاءَ ، لكنَّ التستريّ لم يرَ في السياق قولاً محذوفاً ، بل الكلام عنده استفهام من الإمام (عليه السلام) ، إذ قال : ((وأي مانع أن يكون إنشاء منه عليه السلام ؟ والحكاية إنما تصحُّ بإسقاط القول ، وإبقاء المقول ، ولم نقف على مثله في كلامه (عليه السلام) وإن كان في القرآن كثيرا كقوله تعالى :﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ** ﴾[٢]))[٣]، وذكر ابن ميثم في قوله (عليه السلام) (ما أطول ... الرجاء) كلام منقطع عما قبله ، وظاهره يقتضي أنه ذكر فيما كان متصلاً بالكلام ما ينال شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار الفرج ، ويحتمل أنْ يكون الكلام متصلاً ، ويكون قوله (عليه السلام) كلاماً مستأنفاً في معنى التوبيخ لهم عن إعراضهم عنه وإقبالهم على الدنيا [٤] .

ويكون الرجاء رجاء ظهور القائم (عليه السلام) فعلى هذا يكون المعنى أنّهم في غيبته يصابون بالبلاء ويمتد زمن ابتلائهم ومشقتهم حتى يقولوا : ما أطول هذا العتب والمشقة ، وما أبعد ظهور الدولة الحقّة القائمية والخلاص من العناء[٥] .

وحذف القول من الكلام استغناءً عنه بذكر المحكي بغية الاختصار ، كثيرٌ في كلام العرب ، حتى قيل فيه ((حذف القول من حديث البحر ، قل ولا حرج))[٦] ، وقد ورد ورد في القرآن الكريم ، ومنه قوله تعالى :﴿ **وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾[٧]، أي : يقولون : سلام عليكم ، فأضمر لفظ القول هنا ؛ لأنَّ في الكلام دليلاً عليه ؛ولأنَّهُ جارٍ في حذفه مجرى المنطوق به[٨] .

---

[١] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ٩٧ .

[٢] يوسف : ٢٩ .

[٣] بهج الصباغة ٣ / ٣٩١ .

[٤] ينظر : شرح ابن ميثم ٤ / ١٨٥ .

[٥] بنظر : منهاج البراعة (الخوئي) ١١ / ١٤٦ .

[٦] ينظر: مغني اللبيب ٢ / ٢٢٧ ، وهمع الهوامع ٢ / ٢٤٥ ، وظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ٢٣٣ .

[٧] الرعد : ٢٣ . ٢٤ .

[٨] ينظر : التفسير الكبير ٩ / ١٧٤ .

وأشار الدكتور أحمد عبد الستار الجواري إلى أنَّ حذف القول ضرب من ضروب الانقطاع الذي يحمل السامع ، أو القارئ على توقع أمر ذي بال ، ولو اتصل الكلام لما أثار قدراً من الانتباه والاهتمام الذي يثيره الانقطاع [١] .

ويمكن القول إنَّ كلامه (عليه السلام) متصل ، وجملة ((ما أَطْوَلَ هذَا العَنَاءَ ، وأَبْعَدَ هذَا الرَّجَاءَ !)) جملة خبرية صيغت بأداة من أدوات الاستفهام ؛ لأنَّ في الاستفهام من الحيرة في طلب المستفهم عنه وتوقعه ما لا يخفى ، فنوع ذلك العناء وذلك الرجاء مِمَّا يذهب فيه الذهن كل مذهب ، ويتّوقع منه الشدة وطلب الانتباه كثيراً .

٥ . ما الزائدة :

تأتي (ما) زائدة غير كافة[٢] ، وفائدتها التأكيد ، وتقع في حشو الجملة ، أو في آخرها وبين الشيئين المتلازمين[٣]، وقد ذكر التستري زيادتها في قوله (عليه السلام) في تكبّر قابيل على هابيل : ((وَلاَ تَكُونُوا كَالمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أَمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ))[٤] إذ قال : ((قوله (عليه السلام) (مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ) أي : من غير فضلٍ و(ما) زائدة هنا لتأكيد الكلام ، كما في قوله تعالى:﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ**﴾[٥]))[٦] ، واستشهد له بقول الشاعر[٧] :

أعُلاَقَة أمّ الوليد بَعْدَ مَا أَفْنَان رَأْسَكَ كَالثَّغَامِ المخلسِ .

ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) في التزهيد عن الدنيا:((أَيُّهَا النَّاسُ ، انْظُرُوا إلى الدُّنيا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيْهَا ، فَإنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ))[٨] إذ قال التستري :((وعَمَّا قليل ، أي : عَنْ قليل و(ما) هنا زائدة أفادت معنى التوكيد))[١] .

---

[١] ينظر: نحو القرآن : ٣٨ .

[٢] ينظر : المفصل في صنعة الإعراب : ٤٢٤ .

[٣] ينظر : مغني اللبيب ١ / ٣١٢ ، والإتقان في علوم القرآن ١ / ٥١٤ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٢ / ص ٣٦٤ .

[٥] آل عمران : ١٥٩ .

[٦] بهج الصباغة ٢ / ١٣ .

[٧] البيت لـ (مرار الفقعسي) ينظر : شرح شواهد المغني ٢ / ٧٢٢ .

[٨] نهج البلاغة ، الخطبة ١٠٣ /ص ١٨٦ .

٦ . دلالة (ما الإبهامية)

وهي الدلالة التي برّزها التستريّ في قول الإمام (عليه السلام) :((ودعْ عنكَ نهباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ))[٢] وهو بيت أمريء القيس[٣] ، وتمامه :

دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ .

إذ قال التستريّ: ((التحقيق إنَّ (ما) هنا إبهامية ؛ لكنها لا تزيد النكرة إبهاماً ؛ بل تقلل إبهامها حتَّى تقرّبها إلى المعرفة ؛ لأنَّها في معنى الوصف لها ، والوصف إمَّا حقير ، كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا**﴾[٤] ، وإمَّا عظيم كما في المثل (لأمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أنْفَهُ))[٥] .

وكان ابن أبي الحديد وتبعه آخرون قد ذكر ثلاثة احتمالات لـ (ما) هي[٦] :

١. أن تكون صلة ، كالَّتي في قوله تعالى : ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾[٧]، إلاَّ إنَّ التستري رفض أن تكون صلة مؤكدة ، قائلاً : ((وأمَّا الصلة المؤكدة فلا وجه لهُ ؛ لأنَّ شرطه أنْ يستغني عن (ما) ؛ لأنَّهُ يفوت بفوتها الوصف المحتاج إليه)) [٨] .

---

[١] بهج الصباغة ٤ / ٢١٦، وينظر : شرح ابن أبي الحديد ٧ / ١٠٥ ، وحدائق الحقائق ١ / ٥٠٥

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ١٦٢ / ص٢٨٨ .

[٣] ديوانه : ١٤٠ .

[٤] البقرة : ٢٦ .

[٥] بهج الصباغة ٤ / ١٥٥ ، وينظر : مجمع الأمثال ٢ / ١٩٦ ، وجمهرة الأمثال ٣ / ٣٢٦ ، وأمثال العرب ١ / ١١٢ .

[٦] ينظر: شرح ابن أبي الحديد ٩ / ٢٤٦ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ١٠ / ٤ ، وشرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ٢ / ١٢٢ .

[٧] النساء : ١٥٥ .

[٨] بهج الصباغة ٤ / ١٥٥ .

٢ـ أن تكون (ما) موصولة بمعنى (الذي) وصلتها الذي هو حديث الرواحل ، ثم حذف صدر الجملة ، وضعَّف ذلك التستري ، إذ قال : ((وأمَّا الموصولة فلا يصحُّ ؛ من حيث كونها معرفة فكيف يكون وصفاً للنكرة ؛ لأنَّهُ في تقدير (حديثاً الذي)))[١] .

٣ـ أن تكون (ما) استفهامية بمعنى (أي) ، وردَّ التستري هذا الاحتمال إذ قال : ((وأمَّا الاستفهامية فإنَّما تَصحُّ لو كان قال أولاً (حديثُ الرواحل) ثُمَّ يقول (ما حديث الرواحل) ، كقوله تعالى :﴿ **الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ**﴾[٢]))[٣] .

المطلب السادس : دلالة (مِنْ) :

حرف جر موضوع لابتداء الغاية المكانية ، قال سيبويه : ((وأما (مِنْ) فتكون لابتداء الغاية في الأماكن ، وذلك قولك : من مكان كذا وكذا إلى مكان كذا وكذا ، وتقول إذا كتبت كتاباً : من فلان إلى فلان فهذه سوى الأماكن بمنزلتها))[٤] .

وقد التفت التستريّ إلى بعض المعاني الوظيفية التي أفادتها (مِن) في شرحه النهج ، وهي :

١ . **دلالة (مِن) لبيان الجنس :**

وهو معنى مشهور في كتب النحويين ، وقال به جماعة من متقدميهم ومتأخريهم[٥] وعلامتها أن يصحَّ الإخبار بما بعدها عمّا قبلها كما في قوله تعالى :﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ** ﴾[٦] ، وقوله تعالى:﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا**

---

[١] بهج الصباغة ٤ / ١٥٥ .

[٢] الحاقة : ١ . ٢ .

[٣] بهج الصباغة ٤ / ١٥٥ .

[٤] الكتاب ٣٤٧/٤ . وينظر : الصاحبي في فقه اللغة : ١٢٦، وشرح المفصل ١٠/٨ .

[٥] ينظر : معاني الحروف : ٩٧ ، والأزهية في علم الحروف : ٢٣٣ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ١٥ ورصف المباني : ٣٢٣ ، و الجنى الداني : ٣١٥ .

[٦] الحج : ٣٠ .

مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾[١]، فالرجس هي الأوثان ، والأساور هي الذّهبُ[٢] .

وقد وردت (مِن) بيانية في قوله (عليه السلام) في الهجرة :((والهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأوَّلِ ، مَا كانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الأرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الإمّةِ[٣] ومُعْلِنهَا))[٤] ، فقد ذكر التستريّ دلالة (مِن) في قوله (عليه السلام) (مِنْ مُسْتَسِرِّ الإمّةِ) أنَّها لبيان الجنس ، إذ قال : ((يشترط في زيادة (مِن) تقدّم نفي أو شبهه ، وكون مدخولها نكرة ، كما في ما جاءَنِي مِنْ أحدٍ ، والأمران مفقودان في كلامه (عليه السلام) ، والصواب كون (مِنْ) لبيان الجنس ، كما نقله شرح النهج لابن ميثم عن الراوندي بكونها بيان أهل الأرض))[٥] ، ف (من) لبيان الجنس ، أي : لم يكن لله في أهل الأرض ممن أسرَّ دينه أو أعلن حاجة[٦] .

وذهب ابن أبي الحديد إلى أنها زائدة في قول أمير المؤمنين (من مُسْتَسِرِّ) كقولك : ما جَاءَنِي مِنْ أحدٍ ، فلو حُذِفَتْ لَجُرَّ (مُسْتَسرِّ) بدلاً من أهل الأرض))[٧] ، وهو بهذا يوافق الأخفش في زيادتها في الإيجاب ، وقد ذهب إلى زيادتها في قوله تعالى:﴿**لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾[٨] ، والقول بالزيادة في القرآن الكريم غير مقبول مع إمكان حمل الآية على معنى مرضي وهو أن تكون (مِن) للتبعيض ، أي : شيئاً من ذنوبكم[٩] ، ومن هنا حمل التستريّ (مِنْ) في كلام أمير المؤمنين على بيان الجنس .

٢ . دلالة (من) على التبعيض :

---

[١] الكهف : ٣١ .

[٢] ينظر : الكشاف ٤ / ٢٨٨ ، وحاشية الصبان ٣١٣/٢ ،.

[٣] الإمَّةِ : بكسر الهمزة : الحالة ، ينظر : الصحاح في اللغة ١ / ٢٢ (أمم) ، ولسان العرب ١٣ / ٤٧١ (أمّه) ، ونهج البلاغة (صبحي الصالح)٣٥١ .

[٤] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٩ / ص ٣٥١ .

[٥] بهج الصباغة ٣ / ٢٩٦ .

[٦] ينظر : منهاج البراعة (الراوندي) ٢ / ٤٣٦ .

[٧] شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ١٠٣ .

[٨] إبراهيم : ١٠ .

[٩] ينظر : التبيان في إعراب القرآن (للعكبري) ٢ / ٣٧ .

وعلامتها إمكان سد (بعض) مسدّها [١] وقد أثبته سيبويه إذ قال : ((وتكون أيضاً أيضاً للتبعيض تقول : هذا مِن الثوبة وهذا منهم ، كأنَّكَ قلت بعضه))[٢] ، هذا المعنى وإليه ذهب أبو البركات الأنباري[٣] ، المرادي[٤]، والسيوطي[٥] ، وهو مذهب جمهور النحويين على حين نفاه المبرّد وردّه إلى الابتدائية[٦] ، وقد وردت (مِن) للتبعيض في قول أمير المؤمنين : ((مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ (عليه السلام) وإنَّمَا سُمّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهُ الحَقَّ))[٧] ، فقد استظهر التستريّ دلالة (مِن) التبعيضية ، إذ قال: ((الظاهر أنَّ (مِن) ها هنا للتبعيض ، أي : بعض خطبة له (عليه السلام) ، غير (مِن) في قوله : ((ومن خطبة له (عليه السلام) في باقي المواضع ، ففي الباقي للتقسيم ، بمعنى قسم من خطبه (عليه السلام) ، قلنا ذلك لأنَّ قوله (وإنَّما سُمّيت الشبهة إلى ودليلهم العمى) ليس أول الكلام))[٨].

٣ . دلالة (مِنْ) السببية :

وقد ورد هذا المعنى في قوله (عليه السلام) يَعِظُ النَّاس : ((ومَا هُوَ إلاَّ المَوْتُ اسْمعَ داعِيهِ ، وأعْجَلَ حَادِيهِ ، فلا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ،فقد رأيتَ مَنْ كَانَ قبْلَك مِمّنْ جَمَعَ المَالَ ، وحَذِرَ الإقْلالَ ...كَيْفَ نَزَلَ بِهِ المَوْتُ فأزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ))[٩] ، فقد بين التستريّ دلالة (مِن) في قوله (عليه السلام) (فلا يَغُرَّنَّكَ سوادُ النّاسِ من نفسِكَ) بأنّها سببية إذ قال : ((واضح أنَّ المراد دفع التوهم بأنَّ الإنسان في كل وقت يرى عدداً لا يحصون ، فيقول كما لم يمت هولاء الجمع الكثير لا أموت أنا بأنَّ ذلك لا يصير سبباً لاغتراره ؛ لأنَّ

---

[١] ينظر : الجنى الداني :٣١٥ ، ، ومغني اللبيب ٢٧٦/١ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ١٥ .

[٢] ينظر : الكتاب ٣٤٧/٤ .

[٣] ينظر : أسرار العربية : ٢٥٩ .

[٤] ينظر : الجنى الداني : ٣١٥ .

[٥] ينظر: همع الهوامع ٤٦٧/٢ .

[٦] ينظر : المقتضب ١ / ٤٤ .

[٧] نهج البلاغة ، الخطبة ٣٨ / ص ٨١ .

[٨] بهج الصباغة ١٤ / ١٣٤ .

[٩] نهج البلاغة ، الخطبة ١٣٢ / ص ٢٣٩.

السواد يحصل من كثير من الناشئين الذين نشأوا بعده وقليل من الذين كانوا في سنّه أو أكثر منهم بقليل))[١] .

وذهب ابن أبي الحديد إلى أنَّ (مِن) في (فلا يَغُرَّنَّكَ سوادُ النّاسِ من نفسِكَ) بمعنى الباء ، والتقدير : ((لا يغرنّك الناس بنفسك وصحتك وشبابك فتستبعد الموت اغترارا بذلك ، فتكون متعلقة بالظاهر))[٢]، وردَّ الخوئي ذلك ؛ لأن معنى السبب لا يناسب المقام ، إذ سبب الاغترار هو كثرة الناس ، لا سببه نفس الإنسان وصحته وشبابه ، واستظهر أن تكون (مِن) بمعنى (عند) كما في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ** ﴾[٣]، ليكون المعنى(فلا يَغُرَّنَّكَ سوادُ النّاسِ مجتمعين عندك)[٤] .

والأوْلى أن تكون (مِن) على أصلها ، بيانية ، لا تناوب فيها ، ويكون المعنى : لا يغرنَّكَ كثرة النَّاس من تنبيه نفسك وتذكيرها بالموت .

المطلب السابع : دلالة(يا النّداء) :

المنادى : هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب أدعو لفظاً أو تقديراً ، وقد يكون النداء مجازياً ، بأنْ يُنادى مَن لا يجيب ، قال سيبويه : ((وقالوا : يا للعجب ويا للماء لمَّا رأوا عجباً ، أو رأوا ماءً كثيراً ، كأنَّهُ يقول : تعال يَا عَجَبُ ، أو تعال يا ماءُ فإنَّه مِن أيامك وزمانك ، ومثلُ ذلك قولهم : يا للدواهي ، أي : تعالين))[٥] .

وقد ورد دلالة هذا النمط من النداء في قوله (عليه السلام) في الموت :((فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً ، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشَّقْوَةِ !))[٦] بيّن التستريّ أنَّ دلالة النداء في قول أمير المؤمنين (فَيَا لَهَا حَسْرَةً) أفاد التعجب ، إذ قال : ((إنَّ قوله (عليه السلام) (يا لَهَا حَسْرَةً) نداء ما لا يجيب ، تشبيهاً بمن يعقل ، نحو قوله تعالى

---

[١] بهج الصباغة ١١ / ١٤٨ .

[٢] شرح ابن أبي الحديد ٨/ ٢٦٩ ، وينظر : شرح نهج البلاغة (محمد عبده) ٢٦٨/١.

[٣] آل عمران : ١٠ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة ٨ / ٢٩٨ . ٣٠٠ .

[٥] الكتاب ٢ / ٢١٧ ، وينظر : الأصول في النحو ١ / ٣٤٥ .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ٦٤ / ص١٠٢ .

: ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**﴾[١] وزيادة الضمير الجار هنا للتعظيم والتعجب ، كقول الشاعر : يا لَكَ مِنْ قُبَّرةٍ بِمُعَمرٍ))[٢] .

واحتمل ابن أبي الحديد احتمالين في قوله (عليه السلام) : (فَيَا لَهَا حَسْرَةً) ، **أحدهما** : يجوز أنْ يكون نادى (الحسرة) ، وفتحه اللام على أصل نداء المدعو ، أي (المستغاث) كقولك : يَاَ للرجال ، ويكون المعنى : هذا وقتكِ أيّتُها الحسرة فاحضري .

والآخر: يجوز أن يكون المدعو غير(الحسرة) ويكون المنادى محذوفاً وهو المستغاث ، كأنَّه قال : يَاَ لَلرجال لِلحسرة ، فتكون لامها مكسورة نحو الأصل ؛ لأنَّها المدعو إليه ، إلاَّ أنَّها لمَّا كانت للضمير فُتِحَت ، أي : أدعوكم أيُّها الرجالُ لتقضوا العجبَ من هذه الحسرةِ[٣].

ويبدو أنَّ الراجح أنْ يكون (حَسْرةً) منادى خالياً من التقدير ، كما جاء في قوله تعالى ﴿ **يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ** ﴾ .

---

[١] سورة (يس) : ٣٠ .

[٢] بهج الصباغة ١١ / ٩٧ ، وينظر : توضيح نهج البلاغة ١ / ٢٥٣ .

[٣] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ٥ / ١٤٥ ، ومنهاج البراعة (الراوندي) ١ / ٢٨٦ ، وحدائق الحقائق ١/ ٣٣١ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٤ / ٣٩٦ .

المبحث الثالث

دلالة الحروف الثلاثية

المطلب الأول : دلالة(ثُمَّ) :

ثُمَّ : حرف عطف ، يشرك في الحكم ، ويفيد الترتيب والتراخي في الزمن ، فإذا قلت : قام زيدٌ ثُمَّ عمرو ، آذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة ، وهذا مذهب الجمهور ، وما أوهم خلاف ذلك تأولوه[١] ، وهي كالفاء في إفادة الجمع والترتيب ، ولكنها تخالفها في أنها للمهلة ، أي : التراخي ، وجاء في المقتضب : ((وثُمَّ مثل الفاء إلاَّ أنّها أشدُّ تراخياً))[٢]، ولهذا قيل في قوله تعالى:﴿**ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾[٣] إنه عقّب بالفاء بعد (أَمَاتَهُ) لأَنَّ الإقبار عقب الموت ، وراخى بعد ذلك لأنّ النشور يتأخر[٤]، وأَمّا أهم معاني (ثُمَّ) لدى التستري فهي :

دلالة (ثُمَّ) على التفصيل بعد الإجمال :

وقد برّز التستريّ دلالة (ثُمَّ) العاطفة وهي الترتيب المتراخي بين المتعاطفينِ ، وذلك في قوله (عليه السلام) يصف خلق السماء والأرض : ((أَنْشَأَ الخَلْقَ إِنْشَاءً وابتدأَهُ ابتداء ...ثمّ أنشأَ سبحانه فَتْقَ الأجواءِ وَشَقَّ الأرجاءِ وسَكَائِكَ الهَوَاءِ ... ثُمّ فَتَقَ مَا بَين السَّمواتِ العُلا فَمَلأَهُنّ أَطْوَارا مِنْ مَلائِكَتِهِ ...ثُمّ جَمَعَ سُبَحانه مِنْ حَزَنِ الأَرْضِ وَسَهْلِهَا وَعَذْبِهَا وَسَبْخِهَا

---

(١) ينظر : المفصل في صنعة الإعراب : ٤٠٤ ، وأسرار العربية : ٣٠٤ ، والكليات :٦٢١ ، والجنى الداني : ٤٠٦ ، وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٢٧ ، وهمع الهوامع ١٩٥/٣ .

(٢) المقتضب ١٠/١ .

(٣) سورة (عبس) ٢١ . ٢٢ .

(٤) ينظر : شرح التصريح على التوضيح ١٤٠/٢ .

تُرْبَـةً ... ثُمَّ نَفَخَ فِيْهَا مِنْ رُوْحِهِ ... ثُمّ أَسْكَنَ سُبحانه آدمَ دارًا أَرْغَدَ فِيْها عَيْشَـهُ ... ثُمَّ اخْتارَ سُبحانه محمَّدا (صلى الله عليه وآله وسلّم)))[١] ، فقد أفادت(ثُمَّ) ترتيب الأحداث ترتيباً متراخياً ، إذ قال التستريّ :(((ثُمَّ) هنا أفادت التفصيل بعد الإجمال في سابقه ، أي : تفصيل لمخلوقات الله))[٢] ، وقد اختلفت آراء شرّاح النهج في (ثُمَّ) ، فقد رأى الكيدريّ أنَّ خلق الأشياء قبل خلق السموات ، وهو خلاف المشهور والمأثور لقوله تعالى : ﴿ **أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾[٣]))[٤] .

على حين ذهب ابن أبي الحديد إلى أنَّ لفظة (ثُمَّ) أفادت الترتيب التراخي والجمع المطلق ، إذ يقول : ((ولفظة (ثُمَّ) للتراخي ، فالجواب أنَّ قوله (ثُمَّ) هو تعقيب وتراخٍ ، لا في مخلوقات الباري سبحانه بل في كلامه (عليه السلام) ، كأنّه يقول ثُمَّ أقول الآن بعد قولي المتقدم إنَّهُ تعالى أنشأَ فتق الأجواء ، ويمكن أنْ يقال أنَّ لفظة (ثُمّ) ها هنا تعطي معنى الجمع المطلق كالواو ، ومثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾[٥])) [٦] .

وقال الخوئي: ((إنَّ الأصل في كلمة (ثُمَّ) العاطفة أن تكون مفيدة للتشريك والترتيب والمهلة ، ولا يمكن حمل (ثُمَّ) في قوله (عليه السلام) ((ثمّ أنشأَ سبحانه فَتْقَ الأجواءِ وَشَقَّ الأرجاءِ وسَكَائِكَ الهَوَاءِ)) على وفق ذلك الأصل من حيث استلزامها حينئذٍ خلق الفضاء والسموات بعد خلق كل شيء مع التراخي ، كما هو ظاهر ، فلا بدَّ إمّا من جعلها بمعنى الواو على حد قوله تعالى :﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ ، أو

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١ / ص ١٨ –٢٣ .

[٢] بهج الصباغة ١ /٤٠١ ، وينظر : شرح ابن ميثم ١ / ٢٢ ، و مصباح السالكين ١ / ١٣٨ ، وشرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ١ / ٣٣ ، وفي ظلال نهج البلاغة ١ / ٣١ .

[٣] النازعات : ٢٧ . ٣٠ .

[٤] حدائق الحقائق ١ / ١٣٥

[٥] سورة (طه) ٨٢ .

[٦] شرح ابن أبي الحديد ١ / ٨٤ .

من المصير إلى ما ذهب إليه الفرّاء وبعض النحويين[١] من تخلّف المهلة والترتيب عنّها أحياناً ، مستدلاً بقول العرب : أعْجَبَنِي مَا صَنَعْتَ اليومَ ثُمَّ ما صَنَعت أمْسِ أعْجَبُ ، حيث لا تراخي بين المعطوف والمعطوف عليه ، كما لا ترتيب بينهما ، وقوله تعالى : ﴿ **خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾[٢] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً**﴾[٣] حيث لا ترتيب في الآية الأولى ولا تراخي في الثانية))[٤] .

ويبدو للباحث أنَّ ما ذهب إليه التستريّ وبعض الشرّاح أوْلى بالقبول في أنَّها للتفصيل بعد الإجمال ؛ لكونه (عليه السلام) أشار في الفصل المتقدم إلى قدرة الله سبحانه وأنّه يخلق بلا حركة ولا همامة نفسٍ ، وبعدها شرع في تفصيل الخلق ، فهو عطف مفصل على مجمل . والعلماء لا يجيزونها أنْ تكون بمعنى الواو ويجزمون في أنّها للترتيب والتراخي ويتأولون ما ورد من الآيات والشعر بتأويلات مختلفة[٥] .

المطلب الثاني : دلالة (على) :

ذكر لها النحويون معاني كثيرة[٦]، منها الاستعلاء ، إذ قال سيبويه : ((أمّا (على) (على) فاستعلاء الشيءِ ، تقول : هذا على ظهرِ الجَبَلِ ، وهيَ على رأسه ، ويكون أنْ يَطْوِيَ مُسْتعلياً ، كقولك : مَرَّ المَاءُ عَليه ... وهو اسم ولا يكون إلاَّ ظرفاً، ويدلك على أنّه اسم قول بعض العرب : نَهَضَ مِنْ عَلَيه))[٧] ، ومنه قول الشاعر[١] :

---

[١] ينظر : معاني القرآن (الفرّاء) ٢ / ٤١٥ .

[٢] الزمر ٦ .

[٣] المؤمنون ١٢ . ١٤ .

[٤] منهاج البراعة ١/ ٣٧١ . ٣٧٢ .

[٥] ينظر : الكشاف : ٤ / ١١٥ ، والتفسير الكبير ٢٦ / ٢١٣ ، ومغني اللبيب١ / ١١٨ ، وهمع الهوامع ٣ / ١٩٥ .

[٦] ينظر : المقتضب ٢/ ٢٣٠ ، الأصول في النحو ٢١٦/٢ ، وحروف المعاني : ٢٣ ، ومعاني الحروف : ١٢١ ، وأسرار العربية : ٢٥٦ ، والمقرّب في النحو ١٩٦/١ ، والجنى الداني : ٤٤١ ومغني اللبيب ١٢٤/١ .

[٧] الكتاب ٤ / ٢٣٠ . ٢٣١ .

غَدَتْ من عليه بعدما تمَّ خِمْسُها تَصِلُ وَعَنْ قَيْضٍ بِبَيْداءَ مَجْهَلِ .

وقد بيَّن أبو حيان أنَّ الاستعلاء حقيقي ومجازي[٢]، وقد مثَّل للأول بقوله تعالى : ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾[٣] والثاني بقوله تعالى :﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾[٤] وقد ذكر لها التستري بعض الدلالات ، وهي :

١. **الاستعلاء** : وهي دلالة أصلية نبّه عليها التستريّ ، وشرّاح النهج تبعاً للنحويين[٥] وذلك في قوله (عليه السلام) في التوحيد : ((هوَ الّذي اشتدَّتْ نَقْمَتُهُ عَلَى أعدائِهِ في سَعَةِ رَحْمَتِهِ ، واتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لأَوْليائِهِ في شِدَّةِ نِقْمَتِهِ قاهِرُ مَنْ عَازَّه[٦]))[٧] ، إذ ذكر التستري :((أنَّ (على) تفيد الاستعلاء الحقيقي ، وهي إشارة إلى كمال ذاته بالنسبة إلى ملوك الدّنيا ، فلا تجتمع النقمة وسِعَة الرحمة في وقت واحد))[٨] ،ومعنى كلامه (عليه السلام) أنَّهُ مع كونه واسع الرحمة في نفس الأمر ، وأنه أرحم الراحمين فإنَّهُ شديد النقمة على أعدائه ، ومع كونه عظيم النقمة في نفس الأمر ، وكونه شديد العقاب فإنَّهُ واسع الرحمة لأوليائه[٩] .

---

[١] البيت لـ (مزاحم العقيلي) وهو من شواهد : الكتاب ٤ / ٢٣١ ، والمقتضب ٢ / ٥٣ ، واللباب في علل البناء والإعراب ٣٥٩/١ ، وشرح المفصل ٨ / ٣٧ . ٣٨ ، وتوضيح المقاصد ٧٦٥/٢.

[٢] ينظر : البحر المحيط ١ / ٢٦ ، والصاحبي في فقه اللغة : ١٥٦ ، والجنى الداني : ٤٧٦ .

[٣] الرحمن : ٢٦ .

[٤] البقرة : ٢٥٣ .

[٥] ينظر: الكتاب ٤/ ٢٣٠ ، ومعاني الحروف ١٠٨ ، والأزهية في علم الحروف : ٢٠٢ ، واللمع في العربية : ٧٤ ، ورصف المباني : ٣٧١ ، والجنى الداني : ٤٤٤ ، ومغني اللبيب ١٩٠/١ وشرح ابن عقيل ٢ / ٢٣ .

[٦] عازَّهُ : بالتشديد : رام مشاركته في شيء من عزّته ، ينظر : لسان العرب ٥ / ٣٧٤ (عزز) ، وتاج العروس ١ / ٣٧٥٨ (عزز) ، ونهج البلاغة (صبحي الصالح) : ١٤٧ .

[٧] نهج البلاغة الخطبة ٩٠/ ص ١٤٦.

[٨] بهج الصباغة ١ / ٢٢٢ .

[٩] ينظر : شرح ابن أبي الحديد : ٦ / ٣٩٥ ، وشرح ابن ميثم البحراني ٢ / ٣١٥ ، ومنهاج البراعة (الخوئي) ٧ / ١٨٨ .

٢. **على بمعنى (مع)** : أي : المصاحبة[١]، كقوله تعالى :﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٢] أي : مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب ومحلُّه الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم[٣] ، وقد ورد ذلك في قوله (عليه السلام) في كتاب إلى معاوية : ((أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنّي عَلى التَّردُّدِ فِي جَوابِكَ ، وَالاسْتِمَاعِ إلى كِتَابِكَ ، لَمُوهِنٌ رَأْيِي ، وَمُخْطِئٌ فِرَاسَتِي))[٤] إذ ذكر التستريّ أنَّ (على) جاءت بمعنى (مع) في قوله (عليه السلام) (عَلى التَّردُّدِ) ، فقال : ((إنني مع توقفي ، وترددي هل أجيبك أم لا ، وهل استمع إلى كتابك أم لا ؟ ، مُضعّف رأيي ؛ لأَنَّ مقتضى الرأي الذي ليس به ضعف أَلاَّ تُجاب أصلاً ، وكيف كان فقوله (عَلى التَّردُّدِ) ليس بخبر ، بل هو متعلق بالخبر ، أي : لموهن ، و(على) بمعنى(مع) ، كقوله تعالى : ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾[٥] ، أي : مع حبِّه اشتهائه والحاجة إليه))[٦].

ومن أمثلة ذلك في النهج في مجيء(على) بمعنى (معَ) قوله (عليه السلام) يصف خلق الأرض: ((وَأَرَّزَهَا فِيْهَا أَوْتَادًا فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيْدَ بِأَهْلِهَا))[٧]، إذ ذكر التستري أن قوله (عليه السلام) (عَلَى حَرَكَتِهَا) أي : مع حركتها متحركة ، فإنَّ (على) في مثل هذا الموضع بمعنى (مع) كقوله تعالى:﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾[٨] ، أي : وهب لي مع الكبر الذي لا تحصل معه في في الغالب ولادة [٩] ، ومنه قول الشاعر :

وَإِنّي عَلَى ليلى لَزَارٍ وإنّني عَلى ذاكَ فِي مَا بَيْنَنا مُسْتَدِيمُها .

---

[١] ينظر : الجنى الداني : ٤٤٤ .

[٢] الرعد : ٦ .

[٣] ينظر : الكشاف ٢ / ٥٠٥ .

[٤] نهج البلاغة ، الكتاب ٧٣ / ص٥٩٢ .

[٥] الإنسان : ٨ .

[٦] بهج الصباغة ٤ / ١٩٧ ، وينظر : الكشاف ٤/ ٥١٤ .

[٧] نهج البلاغة الخطبة ٢١١/ ص٤١٣ .

[٨] إبراهيم ٣٩ .

[٩] ينظر : الكشاف ٢ / ٥٤٤ ، والتبيان في إعراب القرآن ٢ / ٤٣ .

أي : مع ليلى [١] .

وقال ابن أبي الحديد : ((المراد بـ (على) في قوله (عليه السلام) (فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا) هي لهيئة الحال ، كما تقول : عَفَوْتُ عَنْهُ على سوء أَدَبِهِ ، أي : حال كون الجبال بمنزلة الوتد تمنع الأرض من الحركة والاضطراب))[٢] .

ومنه كذلك قوله (عليه السلام) من كتاب له إلى المنذر بن الجارود العبدي ، وقد خان في بعض ما ولاّه من أعماله : ((وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يُنَفَّذَ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيانَةٍ))[٣] ، قال التستريّ : ((ونقله ابن أبي الحديد (على جباية) من جباية الخراج ، وقال : نقله الراوندي (عَلَى خِيانَةٍ) ، وابن ميثم البحراني ونسخته بخط المصنف ، وعليه (على) بمعنى (مع) ، أي : يؤمن مع خيانة))[٤] ، وتوجيه التستري بهذا المعنى ؛ لأنهُ يدلُّ على عدم استحقاقه الائتمان لمصاحبته فعل الخيانة ، وأنه (عليه السلام) خاطب هذا الخائن بعد علمه بحصول ذلك الفعل القبيح منه ، فلن (يؤمن على خيانة) ؛ لأنهُ ارتكب كبيرة خان بها نفسه وإمامه والمسلمين .

وذهب بعض شرّاح النهج إلى تقدير محذوف ؛ ليكون المعنى : يُؤمنُ على دَفْعِ خيانةٍ ، فليس بذاك الشجاع المؤتمن الذي يصحُّ أن يجعل في مواضع مواجهة الأعداء ، فيحمي الأوطان ويدافع عنها[٥].

المطلب الثالث: دلالة (كَأَنْ):

ذهب النحويون إلى أنَّ (كأنَّ) تفيد التشبيه المؤكد لأنَّهُ مركب من(الكاف) و(أنَّ)[١] وقد وردت مخففة من الثقيلة في جملة فعلية فُصلت بـ (قَدْ) ، واسمها ضمير الشأن ،

---

[١] ينظر : بهج الصباغة ١ / ٤٣٦ .

[٢] شرح ابن أبي الحديد ١١ / ٥٨ .

[٣] نهج البلاغة : الرسالة ٧١ / ص ٥٩١ .

[٤] بهج الصباغة ٨ / ٥٨ .

[٥] ينظر : حدائق الحقائق ٢ / ٥٨٧ ، وشرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ١ / ١٦٢ ، وفي ظلال نهج البلاغة ٤ / ١٨٩ .

وخبرها الجملة الفعلية (نَزَلَ بِكُمْ المَخُوفُ) وذلك في قول الإمام(عليه السلام) يَعِظُ أصحابه ، ويحذرهم من النار:((وبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُم ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُم ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ ، وَكَأَنْ قَدَ نَزَلَ بِكُمْ المَخُوفُ ، فلاَ رَجْعَةً تَنَالُونَ ولاَ عَثْرَةً تُقَالُون))[٢] ، قال التستريّ : (((كأنْ) رويت بالتشديد والفتح ، والصحيح التخفيف والسكون لعدم دخوله على الجملة الاسمية وفي مثله يقدر الاسم ، نحو قوله تعالى : ﴿**فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٣] ، فقد نبّه (عليه السلام) على قرب الموت بقوله (وَكَأَنْ قَدَ نَزَلَ بِكُمْ المَخُوفُ) أي : أشرف عليكم وأظلّكم فليس بعد نزوله رجعةً تعطوها ، ولا عثرةً تُقَالونَ منها))[٤] ، وقد أكّدَ هذا المعنى ابن ميثم بقوله : (((وكأنْ قَدْ نَزَل) هي المخففة من (كَأنَّ) للتشبيه ، واسمها ضمير الشأن ، والمقصود تشبيه حالهم وشأنّهم الحاضر بحال نزول الموت بهم وتحققه في حقِّهم الذي يلزمه ويترتب عليه عدم نيلهم للرجعة وإقالتهم العثرة))[٥] .

المطلب الرابع : دلالة (كان) :

١ . (كان) التامّة :

قال سيبويه يذكر (كان) التامّة : ((وقد يكون لـ (كان) موضع آخر يقتصر على الفاعل فيه))[٦] ، وتأتي (كان) تامّة بمعنى ثبت كقولنا : كان الله ولا شيء معه ، وبمعنى حدث ، نحو : إذا كانَ الشتاء فأدفئوني ، وبمعنى حضر ، نحو قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ** ﴾[٧] ، وبمعنى وقع ، نحو : ما شاءَ اللهُ كانَ ، وبمعنى وجد[٨]، وقد وردت (كان) تفيد معنى

---

(١) ينظر : المقتضب ٤ / ١٠٨ ، والأصول في النحو ١ / ٢٣٠ ، والخصائص ١ / ٣١٧ ، وأسرار العربية : ١٤٦ ، والجنى الداني : ٥١٨ ، وأوضح المسالك ١ / ٣٢١ .

(٢) نهج البلاغة ، الخطبة ١٩٠ / ص٣٥٤ .

(٣) يونس : ٢٤ .

(٤) بهج الصباغة ١٢ / ١١٩ .

(٥) شرح ابن ميثم ٤ / ٢٠٩ .

(٦) الكتاب ١ / ٤٦ .

(٧) البقرة : ٢٨٠ .

(٨) ينظر : الكتاب ١ / ٤٦ ، والأصول في النحو ١ / ٩١ ، وأسرار العربية : ١٣٢

التمام في قول أمير المؤمنين وقد سأله رجلٌ أنْ يعرّفه الإيمان ، فقال (عليه السلام) : ((إذَا كَانَ الغَدُ فَأْتِنِي حَتّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ ، فَإنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ))[١] ذكر التستريّ : ((أنَّ الصواب في قوله (عليه السلام) (إذا كان الغدُ) أن تكون (غدُ) بدون اللام ، و (كان) هنا تامّة ، لعدم وجود اسم وخبر لها ، والمعنى : إذا وجد غدُ ، وكون (غدُ) بالضم بلا تنوين لأنَّ المراد غد يوم السؤال ، ولو نوّنَ يكون نكرة تشمل كل غدٍ))[٢].

على حين احتمل ابن أبي الحديد لـ (كان) احتمالين ، هما : التامّة والناقصة ، إذ قال : ((تكون (كان) ها هنا تامّة ، أي إذا حدث ووجد ، وتقول : (إذ كانَ غداً فأتني) باعتبار آخر ، أي إذا كان الزمانُ غداً ، أي موصوفاً أنّه من الغد ، ومن النحويين مّن يقدّره : إذا كان الكونُ غداً ؛لأنَّ الفعل يدلُّ على المصدر ، والكون هو التجدد والحدوث وقائل هذا القول يرجحه على القول الآخر ؛ لأنَّ الفاعل عندهم لا يحذف إلاَّ إذا كان في الكلام دليل عليه))[٣] .

ويبدو للباحث أنَّ الراجح أن تكون (كان) هنا تامّة بمعنى حدث ووجد أو حلَّ و(غدٌ) فاعلها والمعنى واضح بيّنٌ ، وأمّا الوجه الآخر الذي ذكره ابن أبي الحديد بوصفها ناقصة ، وتقدير اسمها بـ (الزمان) وجعله (غداً) خبرها ، فإنّه كلام لا دليل عليه لأنَّها رويت (غدُ) بالرفع باتفاق شرّاح النهج[٤] النهج[٤] .

٢ . **دلالة (كان) الاستمرارية** : وهي التي تدلُّ على الدوام والاستمرار بمعنى (لم يزل) ومن الدالّة على الدوام في صفات الله تعالى ، نحو : ﴿ **وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾[٥] ، أي : لم يزل متصفاً بما ذكر[٦] ، وقد وردت في الدلالة

---

[١] نهج البلاغة ، الحكمة ٢٦٦/ ص ٦٥٦ .

[٢] بهج الصباغة ٦ / ٢٦٨ .

[٣] شرح ابن أبي الحديد ١٩ / ١٥٤ .

[٤] ينظر : منهاج البراعة (الخوئي) ٢١ / ٣٥١ ، وشرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار ١ / ١ / ٣٥٢ .

[٥] الفتح : ١٤ .

[٦] ينظر : البحر المحيط ١٠ / ١٨ ، والمحرر الوجيز ١ / ٤٨٢ ، وتفسير الجلالين ١٠ / ٩٥ والتحرير والتنوير ٣ / ٨١ .

على هذا المعنى في قوله (عليه السلام) في التوحيد : ((لا يُقَالُ : كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكنْ ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصّفاتِ المُحْدَثاتِ))[١] قال التستريّ : ((يعني : أنَّ قولنا (كانَ) في ﴿**وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[٢] و﴿**وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[٣] بمعنى الاستمرار لا بمعنى (صار) وإلاَّ لزمت بواطل))[٤] .

وهو إشارة إلى أنَّه ليس بمحدث ؛ لأَنّ كون الشيء بعد أنْ لم يكنْ هو معنى حدوثه ، فالفاء في (فتجري) في جواب النفي لتقدير الشرط ، أي : لو صدق عليه أنَّه مُحدث للحقتهُ الصفات المحدثة ، والتقدير : لكون لحوق الصفات المحدثة له باطل فكونه مُحدثاً باطلاً[٥].

المطلب الخامس : دلالة (كَيفَ)

أداة استفهام عن الحال ، وهي بمعنى : على أي حالٍ ، قال سيبويه : ((وكيف : على أي حالٍ ، وهذا لا يكون إلاَّ مبدوءاً به قبل الاسم ؛ لأنَّها من حروف الاستفهام))[٦] نحو قولك : كيفَ جاءَ زيدٌ ؟ ، أي : على أي حالٍ جاء ، والاستفهام بـ (كيفَ) سؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسؤول ، نحو قولك : كيْفَ عِلْمُ زَيدٍ[٧] ، وقد برّز التستري هذه الدلالة في قوله (عليه السلام) في ذم الدنيا : ((فَكَيفَ بِكُم لَوْ تَنَاهَتْ بِكُم الأمُورٌ، وبُعْثرتِ القُبُورُ))[٨]، إذ قال:(((كيف) هنا للحال، أي : كيف حالكُم إذا إذا تناهى الأمر من البرزخ إلى المحشر ، فمن شدّة أهواله تظنون البرزخ نوم راحة ، وأنَّ الأصل في كلام أمير المؤمنين هو قوله تعالى :﴿ **أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ**

---

[١] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٦/ ص٣٤٥ .

[٢] النساء : ١٣٤ .

[٣] النساء : ١١١ .

[٤] بهج الصباغة ١ / ٣٠٦ .

[٥] ينظر : شرح ابن ميثم ٤ / ١٧٣ .

[٦] الكتاب ٤ / ٢٣٣ ، وينظر : المفصل في صنعة الإعراب : ٢١٧ .

[٧] ينظر : أحكام القرآن (القرطبي) ٣ / ٢٩٩ .

[٨] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٢٦ / ص ٤٤١ .

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[1]))[2] ، فالإمام(عليه السلام) على وفق وفق هذا ينبّه الناس على حال هذا الأمر ويتعجب من شدّته .

المطلب السادس: دلالة (لات)

حرف نفي وأصله (لا)زيدت عليها التاء كما زيدت في (ثمّتَ) و (رُبَّتَ) ، وهذا مذهب الجمهور [3] ، إ ذ قال سيبويه : ((تعمل عمل ليس وإنَّ اسمها مضمرٌ فيها)) [4] ، ولم يُسمَع الجمعُ بين اسمها وخبرها ، بل الأكثر أن يحذف اسمها ويبقى خبرها ، كقوله تعالى : ﴿ **وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ** ﴾[5]،والتقدير : ((ولاتَ الحينُ حينَ مَنَاصٍ)) وقد وردت (لاتَ) في قوله (عليه السلام) في ذم الدنيا وفنائها : ((وَقَدْ أَدْبَرَتِ الحيلَةُ وأَقْبَلَتِ الغِيلَةُ وَلاَتَ حينَ مَنَاصٍ ، هَيْهَاتَ هيْهَاتَ ، قَدْ فَاتَ ما فَاتَ وَذَهَبَ ما ذَهَبَ ، ومَضَتِ الدُّنيا لِحَالِ بَالهَا))[6] ، نقل التستريّ أقوال النحويين في تأصيل (لات) ، فقال : ((ولاتَ حينَ مناصٍ ، اقتباس من قوله تعالى : ﴿ **كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ** ﴾ قال أبو عبيدة (لاتَ) هي (لا) و (التاء) إنَّما زيدت في (حين) وإنْ كتبت مفردة ،وقال المؤرج السدوسي : بل زيدت في (لا) كما تزاد في (ربّ)))[7] ، ثُمَّ صححَ التستريّ مذهب المؤرج السدوسي فقال : ((وهو أصح لكتابتها مفردة ولوجودها مع عدم (حين) في قوله :(هَنَّت ولاتَ هَنّت) التأخر ، أي : ليس ذاك الوقت وقت تأخر وفرار))[8]

المطلب السابع : دلالة (متى) :

---

[1] العاديات : ٩ . ١١ .

[2] بهج الصباغة ١١ / ٤٠٩ .

[3] ينظر: الجنى الداني : ٤٥٢ ، وشرح ابن عقيل ١ / ٣١٩ .

[4] الكتاب ١ / ٢٨ .

[5] سورة (ص) : ٣ .

[6] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٦/ ص٣٤٦ .

[7] بهج الصباغة ١٢ / ٢٣ .

[8] بهج الصباغة ١٢ / ٢٣ .

أداة اسمية ظرفية ، تستعمل في الاستفهام عن الزمان ماضياً كان أو مستقبلاً، وهي بمعنى (أي حين) ، أو (في أيِّ زمانٍ)[١]، ولا تختصُّ بوقت دون وقت بل تعمُّ جميع الأوقات ، أي : أنَّ دلالتها هذه على الزمان المبهم لا المعلوم ، وقد ذكر التستري هذا المعنى في قوله (عليه السلام) يصف التوحيد : ((لا يُقَالُ لَهُ : ((مَتَى)) ؟ وَلاَ يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بـ ((حَتَّى))))[٢]، إذ بيّن التستري[٣] دلالة (متَى) ووضعها للزمان ، واستشهد لها بقول امرئ القيس[٤] :

مَتى عَهْدُنَا بِطعانِ الكُما ةِ ، والمَجدِ والحَمدِ والسُؤدُدِ .

وقول جرير[٥] :

مَتى كانَ حُكْمُ اللهِ فِي كَرَبَ النَّخلِ وَهوَ تَعالى منزّهٌ عَنْ المَكانِ .

وقال ابن أبي الحديد : ((إنَّ (متى) تدلُّ على الزمان ، والله تعالى هو واجب الوجود مرتفع عن قيد الزمان ، ومن هنا نفى الإمام (عليه السلام) عن الله تعالى أنْ يُسأل عنه بـ (متى)))[٦] .

---

[١] ينظر: الكتاب ٣ /٥٦ و ٤ / ٢٣٣ ، والمقتضب ٢/٤٥ و ٥٢ ، وشرح الرضي على الكافية ٢ / ١١٦، والجنى الداني : ٤٦٨ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ١٦٣/ ص٢٩٠ .

[٣] ينظر : بهج الصباغة ١ / ٢٧١ .

[٤] ديوانه : ٨٨ .

[٥] ديوانه :٩٧ .

[٦] شرح ابن أبي الحديد ٩ / ٢٥٣ .

المبحث الرابع

دلالة الحروف الرباعية

المطلب الأول : دلالة (أَنّى) :

ظرف مكان تضمن معنى الشرط ، وإنّ استعمالها الأصلي هو إنّها أداة استفهام وقد ذكر سيبويه أَنَّها :((تكون في معنى كيف ومتى))[١] ، وقال ابن يعيش: ((وأمّا (أنّى) فظرف مكان يستفهم بها كـ (أينَ) قال الله تعالى: ﴿ **أَنَّى لَكِ هذَا**﴾[٢] أي : من أينَ لك هذا ، ويجازون بها يقولون: (أنّى تقمْ أقمْ) ، ومنه قول لبيد بن أبي ربيعة[٣]:

فَأَصبَحتَ أَنَّى تَأْتِها تَشْتَجِرْ بِهَا كلا مَرْكَبَيْها تَحتَ رِجْليكَ شَاجِرُ .

وقال بعضهم: إنّها تؤدي معنى(كيفَ) نحو قوله تعالى:﴿ **فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ**﴾[٤] ، والمجازاة بها دليل على استعمالها استعمال (أينَ)))[٥].

وقد برّز التستريّ دلالة (أَنّى) في قوله (عليه السلام) في خطابه للناس في إمامته : ((فأينَ تَذْهَبُونَ ، وَأَنَّى تُؤفَكُونَ ، ! وَالأعْلامُ قَائِمَةٌ ، وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ ، وَالمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ))[٦] فقد بيَّنَ التستريّ أنَّ الاستفهام هنا إنكاري غرضه التوبيخ والتحقير على ما استقبح من عملهم بتركهم أمير المؤمنين ، إذ قال:(((أنَّى) ها هنا بمعنى (كيف) أي :

---

[١] الكتاب ٤ / ٢٣٥ .

[٢] آل عمران : ٣٧ .

[٣] ديوانه : ٢٢٠ .

[٤] البقرة : ٢٢٣ .

[٥] شرح المفصل ٤/ ١١٠ .

[٦] نهج البلاغة ، الخطبة ٨٧ / ص١٤٢ .

كيف تُخْدَعُون وتتركون مَن علَّمهُ النبي ألف باب من العلم من كل باب ألف باب ، والأعلام واضحة))[١] .

على حين ذهب ابن ميثم إلى أنَّ (أنَّى) هنا بمعنى (مَتى) أي : متى تصرفون عن تيهكم وذهابكم في الضلالة مع أنَّ فيكم عترة نبيكم[٢] ،ورأى الخوئي أنَّها بمعنى (كيف) كما فسّر به قوله تعالى :﴿ **فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ** ﴾ واستظهر بمقتضى السياق أنَّه (عليه السلام) أراد توبيخ المخاطبين على العدول عنّه ،فيكون معنى قوله (أنَّى تؤفكون) أنّى تقلبون عنّي وعن ولايتي وملازمتي[٣] .

المطلب الثاني: دلالة (لَمَّا) :

اختلف النحويون في تحديد دلالة (لمّا) فمنهم من يرى أنّها ظرفية بمعنى (حين) ومنهم من يرى أنّها حرف فيه معنى الشرط ؛ لأنّها تؤدي معنى الربط والتعليق، فمذهب سيبويه أنّها حرف وجود لوجود[٤]، وعدّها بمنزلة (لو) ((فهي للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره وإنّما تجيء بمنزلة (لو) لما ذكرنا، فإنّما هما لابتداء وجواب))[٥]. وواضح من كلام سيبويه أنّ هذه الأداة تختص بالماضي،وتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما[٦] .

وقد وردت (لَمَّا) في قوله (عليه السلام) من كتاب إلى أهل الكوفة : ((وَإِنّي أُذكِّرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هذا لَمَّا نَفَرَ إليَّ ، فإنْ كُنْتُ مُحْسناً أَعَانَنِي ، وإنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي))[٧]، ذكر التستريّ أنَّها هنا ليست بمعنى (إلاّ) كما ذهب إلى ذلك ابن أبي الحديد[٨]

---

[١] بهج الصباغة ٣ / ٣٧٦ .

[٢] ينظر : شرح ابن ميثم ٢ / ٣١١ .

[٣] ينظر : منهاج البراعة ٦ / ١٩٢ .

[٤] ينظر: شرح قطر الندى : ٦٢ .

[٥] الكتاب ٢٣٤/٤ ، وينظر : شرح الرضي على الكافية ٢٣١/٣ ، ٥٣٧ ، والجنى الداني :٥٣٧ ، وشرح قطر الندى : ٦١ .

[٦] ينظر: شرح التسهيل ٤ / ٦٤ ، ومغني اللبيب ٣٦٩/١ .

[٧] نهج البلاغة ، الكتاب ٥٧/ ص٥٧٢ .

[٨] ينظر : شرح ابن أبي الحديد ١٧ / ١٤٠، وشرح ابن ميثم ٥ / ١٩٣ .

واستدلَّ بقوله تعالى : ﴿ **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ** ﴾[١]، بل هي مخففة وأصلها لام التوكيد دخلت عليها (ما) الزائدة وهي (لَمَا) ، إذ قال التستريّ : ((كون (لَمَّا) بمعنى (إلاَّ) إنْ ثبت شرطه تقدّم (إنْ) نفي وليس في كلامه (عليه السلام)))[٢] . أي : أَنَّ التستريّ اشترط لمجيء (لمّا) المشددة أن أن تسبق بنفي ، كما في قوله تعالى :﴿ **إِنْ كُلُّ نَفْسٍ**﴾ ولعدم سبقها بنفي جزم بأنَّها مخففة .

المطلب الثالث : دلالة (لولا) :

أداة غير عاملة فيها معنى الشرط ، وذلك لأنَّها ((إذا دخلت على جملتين ربطت إحداهما بالأخرى وصيرت الأولى شرطاً والثانية جزاء))[٣] ، فهي تقوم بعملية الربط لا الجزم، أمّا دلالاتها ، فقد ذكرها سيبويه بقوله : ((الابتداء وجواب ، فالأول سبب ما وقع ولم يقع))[٤] .

وقد ذكر التستريّ (لولا) عند شرحه قوله (عليه السلام) في معاوية : ((وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي ، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ ، وَلَوْلا كَرَاهِيةُ الغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاس))[٥] ، برّز التستري دلالة (لولا) الامتناعية في قوله (عليه السلام) في امتناعه عن الاتصاف بالغدر والفجور ، إذ قال : (((وَلَوْلا كَرَاهِيةُ الغَدْرِ...) إتيانه (عليه السلام) بـ (لولا) الامتناعية ؛ لأنَّ الدّهاء ليس مجرد جودة الرأي ، بل مع النّكر والاغتيال والغدر والاحتيال ، وكان أمير المؤمنين من أعقل النّاس من دون أن يكون أدّهاهم))[٦] ، فقد جاء جواب (لولا) الامتناعية فعلاً ماضياً مثبتاً مقترناً باللام للتوكيد في (لكنتُ) ، كقوله تعالى :﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٧] ، وقال الخوئي : ((قوله (عليه السلام) (وَلَوْلا كَرَاهِيةُ الغَدْرِ) أي : المكر واستلزامه للكذب والغش والخيانة والفجور المنافي

---

[١] الطارق : ٤ .

[٢] بهج الصباغة ١٠ / ٤٩ .

[٣] شرح المفصل ٨ / ١٤٦ ، وينظر : الجنى الداني : ٥٤١ .

[٤] الكتاب ٤/ ٢٣٥ .

[٥] نهج البلاغة ، الخطبة ٢٠٠ / ص٤٠١ .

[٦] بهج الصباغة ٧ / ٤١١ .

[٧] الصافات : ١٤٣ . ١٤٤ .

لمرتبة العصمة (لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاس) فيدلُّ أنَّ الجملة بمقتضى مفاد (لولا) الامتناعية على امتناع اتصافه بالدهاء المُلازم للغدر))[١] .

ومنه كذلك قوله (عليه السلام) في التوحيد :((لاَ يُشْمَلُ بِحَدٍ ، وَلاَ يُحْسَبُ بِعَدٍ ، وَإِنّما تُحَدُّ الأدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ الآلاتُ إِلَى نَظَائِرِها ، مَنَعَتْها (مُنْذُ) القِدْمَةَ ، وَحَمَتها (قَدُ) الأزَلِيَّةَ ، وجَنَّبتْها (لَوْلاَ) التَّكْمِلَةَ))[٢] ، قال التستريّ : ((إنَّ الأداة (لولا) إنّما تعين الحد لنفسها من الممكنات ، وتشير إلى نظائرها من المخلوقات ، ولا يمكن أنْ تحدَّ البارئ تعالى وتشير إليه جلَّ وعلا))[٣] .

وقال ابن أبي الحديد : ((إطلاق لفظ (لولا) على الأدوات والآلات يجنّبها التكملة ، ويمنعها من التمام المطلق ؛ لأنَّ لفظ (لولا) وضع لامتناع الشيء لوجود غيره ، كقولك: لولا زيدٌ لقامَ عمرو ، فامتناع قيام عمرو إنَّما هو لوجود زيد ، وأنت تقول في الأدوات والآلات وكل جسم ما أحسنه لولا أنه ... فيكون المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذه الرواية بيان أنَّ الأدوات والآلات مُحدثة ناقصة))[٤] ، فهو يبيّن أنَّ وجود (لولا) الامتناعية الامتناعية جنّبَ هذه الأدوات والآلات الكمال المطلق وجعلتها ناقصة .

---

[١] منهاج البراعة ١٢ / ٣٦٦ .

[٢] نهج البلاغة ، الخطبة ١٨٦ / ص٣٤٣ .

[٣] بهج الصباغة ١ / ٢٩٦ .

[٤] شرح ابن أبي الحديد ١٣ / ٧٧ .

الخاتمة

فيما يأتي أهم نتائج البحث:

١ . يُعدُّ المحقق الشيخ محمد تقي التستريّ من العلماء الأفذاذ الذين طرقوا معارف وفنون شتى ، فضلاً عن تخصصه الرئيس (علم الفقه) ، فقد طرق علوم العربية وفنونها ، وبرع في النحو والصرف والمعجم والدلالة والأدب العربي ، ويشهد على ذلك منجزه (بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) فقد كانت نظرته شمولية فيما يخصّ بيان دلالة كثير من المواد اللغوية التي تندرج تحت الظواهر النحوية .

٢ ـ يقف شرح التستريّ اليوم من بين الشروح في صدارتها ؛ لأنه الشرح الوحيد الذي انماز بوحدة الموضوعات ، إذ ألّفه على وفق منهج موضوعي ، فجعله في ستين فصلاً ، بدأها في فصل التوحيد ، وختمها في فصل موضوعات مختلفة .

٣ . لمّا كانت شروح المتون النثرية تعنى بدلالة الألفاظ ، والتراكيب ، والأدوات ، برز الجانب الدلالي بمستوياته الأربع (الصوتي ، والصرفي ، والنحوي، والدلالي) في شرح التستري ، وكثرت المباحث الدلالية كثرة بالغة ، ولمّا وقفت في دراستي على الجانب النحوي منها ، تبيّن أنَّ التستريّ لم يكن معنياً في شرحه بفلسفة النحو ، وسرد القواعد النحوية بمعزل عن المعنى ، بل كان يتلمس الدلالة النحوية في جميع مسائله ، فكان يقرن الإعراب بدلالته ، والتراكيب بدلالاتها ، وحروف المعاني بدلالاتها .

٤ . في توجيه إعراب الأسماء المنصوبة ، أظهر التستري لعلامة النصب (الفتحة) دلالات إعرابية كثيرة قرنها بمعانيها ، وتعددت دلالات النصب لديه بحسب تعدد روايات النهج ، واختلاف المعنى تبعاً لذلك ، وكان يفاضل بين تلك الروايات ، وينتقي ما يراه مناسبا لسياق أقوال وخطب وحكم أمير المؤمنين .

وفي دلالة النصب برّز التستريّ آراءً معينة له انفرد بها عن غيره من الشرّاح ، منها ، أن يكون (اختياراً) في قوله (عليه السلام):(وَعَلِمَ أنَّ اللهَ زَواهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً) مفعول له لقوله (زوى) مبيناً لسبب انزواء الدنيا عن النبي الأكرم ، فيكون الاختيار بمعنى التخيير و التفضيل على سائر الناس الذين انكبوا على الدنيا ، وليس منصوباً على الحالية ، أو نزع الخافض كما ذهب الشرّاح قبله .

ومنها في توجيهه (أمراً) في قول الإمام(عليه السلام) :((أَمْرًا تَشَابَهَتِ القُلُوْبُ فِيْهِ))إذ خالف الشراح الذين سبقوه ، فقد رأى أنَّ الصواب كونه خبراً لكان المحذوفة ، وحذف كان مع اسمها وإبقاء خبرها ولو بعد (إنْ) و(لو) كثيراً في كلام العرب.

وقد انفرد التستري في إعراب (أسمعَ وأعجلَ) في قول أمير المؤمنين : ((أَسْمَعَ دَاعِيهِ ، وأَعْجَلَ حَادِيهِ)) فعلانِ ماضيانِ ، فاعلهما (داعيه وحاديه) ، ومفعولاهما مقدران والمعنى : ((أسمعَ داعي الموتِ الناسَ وأعجلهم حاديه)) .

٥. وفي دلالة الأسماء المرفوعة كان للتستريّ آراءٌ انماز بها عن الآخرين ، منها في توجيه إعراب (شقوة) في قوله (عليه السلام) : ((فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ!)) ذهب إلى أنه مرفوع على أنّه مبتدأ خبره محذوف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، واستدلَّ على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ ، (فصبرٌ) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفاً أي : فأمري صبرٌ جَمِيلٌ ، أو فصبرٌ جميل أمثلُ ، ومنع أن يكون فاعل لفعل محذوف .

٦. وفي دلالة تعاقب الحركة الإعرابية انفرد التستريّ في بيان وجه النصب في(العِظَاتِ) وخرّجَهُ على أنَّهُ منصوب بنزع الخافض في قول أمير المؤمنين)): وَلقَد كَاشَفَتْكَ العِظَاتِ)) وأنكر أن يكون فاعل (كَاشَفَتْكَ) ورجّح أن تكون(الدُّنيا) هي الفاعل ، وقد حُذِفت لأنّها مذكورة في السياق ، وانفرد بتجويزه وجهاً آخر في إعراب (قريب) في قول أمير المؤمنين : ((وَقَرِيباً مَا يُطْرَحُ الحِجَابُ !)) هو أنْ يكون منصوباً على أنَّهُ صفة نائبة عن المفعول المطلق ، بتقدير : (ويطرح الحجاب قريباً ما) فـ (قريباً) صفة نائبة عن المفعول المطلق ، أي : (طرحاً قريباً) و(ما) على هذا التأويل زائدة لتوكيد القرب .

٧. وكانت عناية التستري في التراكيب النحوية كبيرة ، ويرى أن أهمية النحو وقيمته تكمن فيه، إذ يكشف تحليله للنصوص عن فهم عميق ، بحيث يتأتّى المعنى النحوي الدلالي الصحيح من توافق في الاختيار للمفردات بضمن تراكيبها ، ملتمساً في ذلك المناسبة بين اللفظ والمعنى ، وتحرّى في ذلك مزج الدراسة اللغوية للنصّ من نحوٍ وإعراب مع الدلالات التركيبية الأخرى من تعريف وتنكير، أو تقديم وتأخير ،أو حذف وذكر ، وبيان دلالاتها

على المعاني التي يقصدها العرب في كلامهم ، وقد اتخذ نظم القرآن الكريم والحديث الشريف ، والشعر العربي سبيلاً إلى ذلك .

وكذلك استظهر دلالة تنكير (أمْرٍ) في قوله(عليه السلام) : ((لَقَد اتْلَعُوا أعْنَاقَهُمْ إلى أمْرٍ لمْ يَكُونُوا أهْلَهُ)) ليس المراد به أمر الخلافة ، بل أمر الحرب ويكون الفاعل في (اتلعوا) مطلق قريش ، وهو بهذا نقض قول ابن أبي الحديد في أن المقصود هو أمر الخلافة .

٨ . وفي دلالة الضمائر انفرد عن سائر الشراح في أنَّ الضمير في (تَقمَّصَها) في قوله (عليه السلام) : ((أمَا وَاللهِ لَقَد تَقمَّصَها فُلانٌ ...)) لا يعود على مجهول لم يجرِ له ذكر سابق في الكلام ؛ لأنَّ أسانيد الخطبة كلها اشتمل على أنَّهُ ذُكِرَ (عليه السلام) عنده الخلافة وتقدّم من تقدم عليه بها فقال ما قال .

وكذلك استظهر التستريّ وقوع تصحيف في (بأزمتهما) و(مقاليدهما) في قوله (عليه السلام): ((وانْقَادتْ لَهُ الدُّنيا وَالآخِرةُ بأَزمَّتِها ... مَقالِيدَها)) والأصل بتثنيتهما إذ يقول : ((الظاهر وقوع تصحيف وكون الأصل (أزمَّتهما) و(مقاليدهما) بلفظ التثنية إرجاعا للأول إلى الدنيا والآخرة ، وللثاني إلى السموات والأرضين فإن أوّل الثاني يكون السموات والأرضون بلفظ الجمع فلا يتأتّى في الأول ، لكون كل من الدنيا والآخرة بلفظ المفرد ، وليسا في معنى الجمع حتى يعبّر عنهما بلفظ الجمع .

٩ . وفي دلالة الإضافة توقف الشارح عندها ، وبرّز أهم المعاني التي أفادتها : ومنها تجويزه إضافة (الينابيع) إلى (العيون) كون الينبوع غير العين ، وأن الينبوع أصل العين محل خروج الماء ، والعين ماؤه المجتمع ، لا كما توهم من اتحادهما، فهو يرى أنَّهُما نظيران ، بينهما فارق دلالي يتمثل بالعموم والخصوص .

وكذلك جوّز التستريّ العدول عن الأصل في بناء التركيب ، لإفادة المبالغة في إضافة (عَوازِبُ) إلى (أحلامها) في قوله (عليه السلام) ((حَتّى تَؤُوبَ إلى العَرَبِ عَوَازِبُ أحْلاَمِهَا)) هي من إضافة الصفة إلى موصوفها ، والأصل فيها أحلامها العازبة .

١٠. وقد نظر التستريّ في دلالات التقديم والتأخير ، وما أفادته من معاني إضافية ، ففي تقديم المفعول على الفاعل راعى التستري ترتيب المعنى في السياق بغية زيادة الإفهام

والإيضاح ، وذلك في تقديم المفعول به(النبأةَ) على الفاعل(مَنْ) في قوله (عليه السلام) : ((وَكيفَ يُراعي النَّبأةَ مَنْ أصَمَّتهُ الصَّيحَةُ)) .

١١ . وفي مجيء الفاعل جملة عرض التستري للخلاف النحوي في هذه المسألة ، فالمشهور المنع مطلقاً ، وأجازه جماعة منهم ثعلب والفرّاء مطلقاً ، بينما قيّده التستري بشرط أن يكون مع الفعل (راعني) ومستقبله مسبوقاً بنفي ، كما في قوله (عليه السلام): ((فَمَا رَاعَني إلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إليَّ)) فقد جوّز التستري أن يكون الفاعل جملة (إلاَّ وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إليَّ) .

١٢. وفي دلالة حروف المعاني عني التستريّ في إبراز أهم المعاني التي خرجت بها ومنها الباء التي ذكر لها عدة معاني هي : السببية ، والاستعانة ، والمصاحبة ، والتعدية ، وانماز بآراء انفرد بها عن غيره من الشرّاح ، ومنها دلالة (ما) في (لَشَدَّ ما) استظهر التستري أن تكون تعجبية ، في قول الإمام(عليه السلام) : ((لَشَدَّ ما تَشَطَّرَا ضَرعيها فَصَيَّرَها في حوزةٍ خَشْنَاء)) وأصل التركيب (مَا أَشَدَّ) وهذا رأي انماز به عن سائر الشرّاح والنحويين ، الذين أطبقوا على أنَّ (لَشَدَّ ما) بمعنى صار شديداً ، وحجة التستريّ أنَّ الشيء كان في غاية الشدّة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

مصادر البحث ومراجعه

أولاً : المصادر والمراجع :

- **القرآن الكريم .**
- **الإتقان في علوم القران** : جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحـ : محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١. مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني . مصر . ١٣٨٧هـ /١٩٦٧ م .
- **أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعيّة:** د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي . ط١ . مطبعة الخلود . بغداد ١٩٨٦م.
- **إحياء النحو العربي** : إبراهيم مصطفى . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٩٥١م
- **اختيار مصباح السالكين** (الوسيط) كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت٦٧٩ هـ) مجمع البحوث الإسلامية . مشهد . إيران . د. ت .
- **ارتشاف الضرب من لسان العرب** : أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) تحـ: احمد مصطفى النماس . ط١ ـ مطبعة المدني . مصر ١٤٠٨ هـ /١٩٨٧ م .
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢م) ط٤ . دار إحياء التراث العربي . بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- **الأزهية في علم الحروف** : علي بن علي النحوي الهروي (ت٤١٥هـ) ، تح عبد المعين الملوحي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ – ١٩٧١م .
- **أساس البلاغة** : أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تقديم د. محمود فهمي حجازي . الهيئة العامة لقصور الثقافة . القاهرة ٢٠٠٣م .
- **أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني):** د. أحمد مطلوب – ط١ – دار غريب للطباعة – القاهرة ١٩٨٠م.
- **أساليب القسم في اللغة العربية**، كاظم فتحي الراوي، مطبعة الجامعة، بغداد، ط١ . ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

/ **أسرار العربية** : أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت٥٧٧هـ) ، تح: محمد بهجة البيطار ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م

/ **الأشباه والنظائر في النحو** : السيوطي، تح : د. عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١، ١٩٨٥م .

/ **الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب** : د. تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .

/ **الأصول في النحو** : ابن السراج ابو بكر بن محمد بن سهل البغدادي (ت ٣١٦ هـ) تحـ : د. عبد الحسين الفتلي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٧٣م .

/ **إعراب القرآن** : أبو جعفر أحمد بن محمّد بن النحّاس (ت ٣٣٨ هـ) ، وضع و تعليق : عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط١ ، منشورات محمّد عليّ بيضون ، دار الكتب العلمّية . بيروت ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م .

/ **أعلام نهج البلاغة** : علي بن ناصر الحسيني السرخسي (ت القرن السادس الهجري) تح : عزيز الله العطاردي . طهران ، ١٣٦٦هـ .

/ **الأغاني** ، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، تحـ سمير جابر ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت لات .

/ **أمالي ابن الحاجب** : لأبي عمرو عثمان بن الحاجب النحوي(ت٦٤٦هـ) ، دراسة وتحقيق د. فخر الدين صالح سلمان قدارة ، دار عمار ، عمان١٩٨٩م .

/ **أمالي ابن الشجري** : (أبو السعادات هبة الله بن علي الحسني العلوي ت٤٢هـ) ، تح : د. محمود محمد الطناحي ، مطبعة المدني ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٢م .

/ **أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه** : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ) تح: محمد ابراهيم البنا ، طبع دار السعادة بمصر– ط١ ، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

/ **أمثال العرب** : المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبي ، تح : د . إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت . لبنان ، ط٣ . ١٤٣٣ هـ . ١٩٨٣ م .

/ **الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة** : محمد الغروي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧ م .

/ **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن أبي الوفاء بن عبيد الله الأنباري (ت٥٧٧هـ) ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٩٦١ .

/ **الأوائل** : محمد تقي التستري (١٤١٥ هـ) مؤسسة مطالعات وتحقيقات . طهران ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

/ **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** : جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تقديم ووضع : د. أميل بديع يعقوب ، ط٢ ، منشورات : محمد علي بيضون .

/ **الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز** (من العلوم البيانية والأسرار القرآنية) يحيى بن حمزة العلوي (ت٧٤٩ هـ) تح. د . بن عيسى طاهر . دار المدار الإسلامي . ط١ ، ٢٠٠٧ م .

/ **الإيضاح** : لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (ت٣٧٧ هـ) تح ودراسة : كاظم بحر المرجان . عالم الكتب . بيروت . ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م .

/ **الإيضاح في علل النحو** : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٣٧هـ) تح: مازن المبارك ، ط٤ ، دار النفائس ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

/ **الإيضاح في علوم البلاغة** : المعاني والبيان والبديع : الخطيب القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت٧٣٩هـ) ـ تقديم د. علي أبو ملحم ، ط٢ ـ بيروت ١٩٩١م .

/ **البحر المحيط:** محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) – تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

/ **البرهان في علوم القرآن:** بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) – تح: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر للطباعة والنشر، ط٣ ، القاهرة ١٩٨٠ م

/ **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن** ، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم ابن الزملكاني (ت ٦٥١هـ) تح : د . أحمد مطلوب ، د . خديجة الحديثي ، ط١ ، بغداد . ١٩٧٤م .

/ **البسيط في شرح جمل الزجاجي** ، ابن أبي الربيع ، تح : د. عياد بن عيد الثبيتي ـ دار الغرب الإسلامي . ط ١ . بيروت ١٩٨٦.

/ **البلاغة والأسلوبيّة** : د . محمّد عبد المطّلب ـ مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب . مصر ١٩٨٤ م .

/ **بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة** : للمحقق محمد تقي التستري (ت١٤١٥ ه) مؤسسة التاريخ العربي ١٤٣٢ ه . ٢٠١١ م .

/ **تأويل مشكل القرآن** : ابن قتيبه . شرح ونشر : السيّد أحمد صقر . ط٣ . دار الكتب العلميّة . بيروت . ١٤٠١ هـ /١٩٨١ م .

/ **التأويل النحوي في القرآن الكريم**: د. عبد الفتاح أحمد الحموز – ط١ – مكتبة الرشيد الرياض ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.

/ **التبيان في إعراب القران** : أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) تحـ : علي محمد البجاوي دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت) .

/ **تاج العروس من جواهر القاموس** : الزبيدي ، (محمد مرتضى ت١٢٠٥هـ) ، دار صادر . بيروت . ١٩٦٦م .

/ **التبيان في تفسير القرآن**: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي – قم ١٤١٣هـ.

/ **التحرير والتنوير** : الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور (ت ١٢٨٧ ه) . الدار التونسيّة للنشر . تونس ١٩٨٤ م .

/ **تحف العقول عن آل الرسول** : الشيخ الحسن بن علي بن شعبة الحراني (ت ٣٣٦هـ) ، دار المرتضى . بيروت ، الرياض ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.

/ **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل:** أبو حيان النحوي، تح د. حسن هنداوي، دار القلم . ط١ دمشق . ١٩٩٧م . ٢٠٠٥م .

/ **التراكيب اللغويّة** : د . هادي نهر . دار اليازوريّ العلميّة للنشر والتوزيع . عمّان ٢٠٠٤ م .

/ **التراكيب النحويّة من الوجهة البلاغيّة عند عبد القاهر** : د . عبد الفتّاح لاشين . دار الجيل للطباعة . مصر . الناشر : دار المرّيخ . الرياض ١٩٨٠ م .

/ **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** : جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ، تح: محمد كامل بركات . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .

/ ا **لتعريفات:** علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ،دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد (د. ت).

/ **التعريف والتنكير في النحو العربي...** دراسة في الدلالة والوظائف النحوية والتأثير في الأسماء إعراباً وبناءً: د. أحمد عفيفي – مكتبة زهراء الشرق . القاهرة (د. ت).

/ **التفسير البياني للقرآن الكريم** : د . عائشة عبد الرّحمن (بنت الشاطئ) ، دار المعارف . مصر ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م .

/ **تفسير الجلالين** : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . ط١ . دار الحديث . د.ت .

/ **التفسير الكبير:** فخر الدين محمد بن عمر التميمي البكري الرازي (ت ٦٠٤هـ) ط١ . دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

/ **تلخيص المفتاح** : الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) – قرأه وكتب حواشيه وقدَّم له: د.ياسين الأيوبي – ط١ – المكتبة العصرية – بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

/ **تواريخ النبي والآل** : محمد تقي التستري (ت١٤١٥ هـ) ط١ ـ مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

/ **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك** : المرادي (أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم ت٧٤٩هـ) ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، ط١، دار الفكر العربي ، ، ٢٠٠٨م .

/ **توضيح نهج البلاغة** : السيد محمد بن المهدي الشيرازي ، قم ، ١٤١٠هـ .

/ **التوطئة** : الشلوبين (أبو علي عمر بن محمد بن عمر ت ٦٤٥هـ)، تح: د. يوسف أحمد المطوع ط٢، مطابع سجل العرب ، القاهرة، ، ١٩٨١م .

/ **تناوب حروف الجّر في لغة القرآن** : د. محمد حسن عوّاد ـ ط١ ـ دار الفرقان ـ عمان ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م.

/ **الجامع لأحكام القرآن:** أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) – اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري – ط١ – دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر – بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

/ **الجملة الفعلية** : د . علي أبو المكارم . مؤسسة المختار . القاهرة ـ ط١ ـ ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م .

/ **الجملة العربية والمعنى** : د . فاضل صالح السامرائي ـ دار ابن حزم للطباعة ـ ط١ . ١٤٣١ هـ . ٢٠٠٠ م .

/ **الجمل في النحو** : الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تح : د. فخر الدين قباوه ، دار الجيل ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٩٥م .

/ **جمهرة اللغة:** أبو بكر بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) – علّق عليه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين – ط١ – منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

/ **الجنى الداني في حروف المعاني** ، حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) ، تح: د . طه محسن . بغداد ١٩٧٤–١٩٧٥م.

/ **جـواهر البلاغـة:** أحمـد الهاشـمي – إشـراف: صـدقي محمـد جميـل – مؤسسـة الصادق (عليه السلام) للطباعة والنشر – طهران (د. ت).

/ **حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك** : محمد بن علي الصبان (ت١٢٠٦هـ) – تحـ : محمـود بـن الجميـل – ط١ – مكتبـة الصـفا – القـاهرة ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م .

/ **الحجّـة فـي القراءات السبع** : ابن خالويـه ـ تحقيق : أحمد فريد المزيديّ ـ تقديم : د.فتحـي حجـازيّ ـ ط١ ـ منشورات : محمّد علـيّ بيضـون ـ دار الكتـب العلميّـة ـ بيـروت ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

/ **حـدائق الحقـائق فـي شـرح نهـج البلاغـة** : قطـب الـدين أبـو الحسـين محمـد بـن الحسـن البيهقـي النيسـابوري الكيـدري (ت القـرن السـادس الهجـري) ، تحـ : عزيـز الله العطاردي ، طهران ١٣٧٥ هـ .

/ **حروف المعاني:** أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧هـ) – تح: علي توفيق أحمد – ط٢ – دار الأمل – بيروت ١٩٨٦م.

/ **خزانـة الأدب ولـب لبـاب لسـان العرب:** البغدادي(عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ) ،تح عبد السلام محمد هارون . ط ٤ . مكتبة الخانجي . القاهرة . ،٢٠٠٠م .

/ **الخصائص:** أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) . تح: محمد علي النجار . ط٤ . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ١٩٩٠م.

/ **دراسات فـي فقـه اللغـة:** د. صبحي الصالح ، ط٤ – دار العلم للملايين – بيروت ١٣٧٠هـ/ ١٩٧٠م.

/ **دلائل الإعجاز** : عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) – تصحيح وتعليق : محمود محمد شاكر مطبعة المدني – السعودية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

/ **دلالات التركيب** : محمد أبو موسى ، دار التضامن ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧م .

/ **دلالة الألفاظ** : د. إبراهيم أنيس – ط٣ – مكتبة الانجلو المصرية – مطابع مجلة العرب – مصر ١٩٧٢ م .

/ **الدلالة الزمنيّة في الجملة العربيّة** : د . عليّ المنصوريّ ـ ط١ ـ مطبعة جامعة بغداد . بغداد ١٩٨٤م .

/ **الدلالة والنحو** : د. صلاح الدين صالح حسنين . ط١ . منشورات كلية الآداب . جامعة القاهرة . ٢٠٠١م .

/ **ديوان امرئ القيس** : أبو وهب بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٨٠ ق.هـ) تح : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت ، ط٢/١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

/ **ديوان البحتري** : تح: حسن كامل الصيرفي . دار المعارف . القاهرة . ١٩٦٣م .

/ **ديوان جرير**: كرم البستاني – دار صادر ودار بيروت – بيروت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

/ **ديوان ذي الرمة** : غيلان بن عقبة بن مسعود بن عبد مناة (ت ١١٧هـ) اعتنى به وشرحه : د . عبد الرحمن المصطاوي . دار المعرفة . بيروت . لبنان ط ١ـ ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦ م .

/ **ديوان زهير بن أبي سلمى** ، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، ط ٢ ، بيروت . لبنان ، ، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .

/ **ديوان عمر بن أبي ربيعة**: تحـ. فوزي خليل عطوي، بيروت، لبنان، ١٩٦٨ م.

/ **ديوان القطاميّ**: تحـ. د. ابراهيم السامرائي، د. احمد مطلوب . دار الثقافة بيروت . ط١ . ١٩٦٠ م.

/ **ديوان قيس بن ذريح** ، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي ، ط٢ ، دار المعرفة . بيروت . لبنان . ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .

/ **ديوان لبيد بن ربيعة العامري** : تحقيق الدكتور إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢.

/ **ديوان ليلى الأخيلية** : تحقيق وشرح : د . واضح الصمد ، ط٢، دار صادر ـ بيروت ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .

/ **ديوان النابغة الذبياني** : زياد بن معاوية بن ضباب بن ذبيان(ت نحو ١٨ ق . هـ) ، شرح وتقديم : حمدو طمّاس ، ط٢، دار المعرفة – بيروت ، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥ م .

/ **رصف المباني في شرح حروف المعاني** : أحمد بن عبد النور المالقي (٧٠٣هـ) تـح :محمـد الخيـاط ، مجمـع اللغـة العربيـة ، دمشـق ، مطبعـة زيـد بـن ثابـت ، دمشـق ١٩٧٥م .

/ **زاد المسير فـي علـم التفسير**:أبوالفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن محمد بن علي الجوزي(ت ٥٩٧هـ) ط٣، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، ، ١٩٨٣م .

/ **سر صناعة الإعراب** : ابن جنّي . تح : محمّد حسن إسماعيل وأحمد رشديّ شحاتة . ط١ . منشورات محمّد عليّ بيضون . دار الكتب العلميّة . بيروت ٢٠٠٠ م

/ **سنن ابن ماجة** : لأبي عبد الله محمد بن زيد القزويني (ت٢٧٥هـ) ، تح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٢م .

/ **سنن الترمذيّ** : أبو عيسى محمّد بن عيسى الترمذيّ السلميّ (ت ٢٧٩ هـ) .

/ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (ت٧٦٩هـ) : تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥م .

/ **شرح ابن الناظم** :بدر الدين أبو عبدا لله محمد بن جمال الدين بن مالك ت٦٨٨هـ، عني بتصحيحه محمد بن سليم اللبابيدي ، طهران .

/ **شرح الأشموني على ألفية بن مالك** : الأشموني (ت ٩٢٩هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٤م.

/ **شرح التسهيل** : ابن مالك، تح: د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون ، ط١، دار هجر للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٩٠م .

/ **شرح التصريح على التوضيح** : الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت٩٠٥ هـ) – ط١ – مطبعة الاستقامة – دار إحياء الكتب العربية – مصر ١٩٥٤ م .

/ **شروح التلخيص** : سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٢هـ) – مطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر ١٩٣٧ .

/ **شرح جمل الزجاجي** : لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) ، تح: صاحب أبو جناح . جامعة الموصل ١٩٨٢م .

/ **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** : ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) تح : أميل بديع يعقوب . ط١ . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦ م .

/ **شرح شواهد المغني** : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت٩١١هـ) تصحيح وتعليق : محمد محمود التركزي الشنقيطي . دار مكتبة الحياة . د.ت .

/ **شرح عمدة الحافظ وعدّة اللافظ** : ابن مالك جمال الدين (ت٦٧٢هـ) ، تح:عدنان عبد الرحمن الدوري مطبعة العاني ، بغداد ١٣٩٥هـ – ١٩٧٧م ، وزارة الأوقاف ، إحياء التراث الإسلامي .

/ **شرح القصائد التسع المشهورات** : صنعة أبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ) تح : أحمد خطاب عمر ، سلسلة كتب التراث (٢٣) العراق ، ١٩٧٣م.

/ **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** : لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري (ت٣٢٨هـ) ، تح: عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٣م .

/ **شرح قطر الندى وبل الصدى** : ابن هشام (أبو محمد عبدالله جمال الدين ت٧٦١هـ) ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٢م .

/ **شرح الكافية في النحو لابن الحاجب** : رضي الدين الاستراباذي ، تصحيح : يوسف حسن عمر . منشورات جامعة قار يونس . بنغازي . ط ٢ . ١٩٩٦ م .

/ **شرح الكافية الشافية** : لأبي عبد الله جمال الدين بن مالك الطائي (ت٦٧٢هـ) تح : علي محمد معوّض و عادل أحمد عبد الموجود . منشورات : محمد علي بيضون . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م .

/ **شرح المفصّل** : الشيخ موفّق الدين بن عليّ بن يعيش النحويّ (ت ٦٤٣ هـ) ـ تحقيق وشرح أحمد السيّد أحمد ، مراجعة ، إسماعيل عبد الجوّاد عبد الغنيّ ، المكتبة التوفيقية ، مصر (د . ت) .

/ **شرح نهج البلاغة** : عز الدين عبد الحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم . ط٢ـ دار أحياء التراث العربي . ١٣٨٥هـ . ١٩٦٥م.

/ **شرح نهج البلاغة** : كمال الدين ميثم بن علي البحراني (ت ٦٧٩هـ) ، منشورات دار الثقبين . بيروت ١٩٩٩هـ

/ **شرح نهج البلاغة** : الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ) ، تح: محمد عاشور ومحمد البنا ،القاهرة ، ١٩٦٨م.

/ **شرح نهج البلاغة** : محمد كاظم القزويني الحائري . مطبعة النعمان . النجف الأشرف . ١٣٧٨هـ . ١٩٥٩ م .

/ **شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي** : علي أنصاريان . طهران . ١٤٥٨هـ.

/ **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها** : أبو الحسن احمد بن فارس (ت٣٩٥ هـ) – تعليق : احمد حسن بسيج – الطبعة الأولى– منشورات احمد بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٨ /١٩٩٧ م .

/ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت ٣٩٨هـ) تح: أحمد عبد الغفور عطّار – ط٢ – دار العلم للملايين – بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

/ **صحيح مسلم** : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ) – تحـ : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الآفاق العربية ، مصر ، ٢٠٠٥م.

/ **طبقات أعيان الشيعة** : آغا بُزُرك الطهراني ـ الجزء الأول ـ المطبعة العلمية في النجف . ١٣٧٣ هـ . ١٩٥٤ م .

/ **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**: د. طاهر سليمان حمودة – الدار الجامعية للطباعة والنشر – مصر ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٥م.

/ **علم الدلالة**: أحمد مختار عمر – ط١ – مكتبة دار العروبة للنشر – الكويت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

/ **العين** : لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي . الجمهورية العراقية، ١٩٨١م.

/ **فقه اللغة وأسرار العربية**: أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت (د. ت).

/ **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم** : د . فتحي أحمد عامر ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٥م:١٤٠ .

/ **في ظلال نهج البلاغة** : محاولة لفهم جديد : الشيخ محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ) عناية سامي الغريري لبنان ٢٠٠٥م.

/ **في أدلة النحو** : د عفاف حسانين . جامعة عين شمس ، ط١ ، المكتبة الأكاديمية ١٩٩٦ م .

/ **قاموس الرجال** : الشيخ محمد تقي التستري (ت١٤١٥هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م .

/ **القاموس المحيط:** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) – تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي – ط٢ – دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر – بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

/ **الكتاب:** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) (ت ١٨٠هـ) – تح: عبد السلام هارون – ط٤– الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

/ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، شرحه وضبطه وراجعه: يوسف الحمّادي ، دار مصر للطباعة ، مصر (د. ت).

/ **الكلّيّات** (معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة) : أبو البقاء الحسين الكفويّ(ت ١٠٩٤ هـ) ، إعداد : د . عدنان درويش ومحمّد المصريّ ، ط٤ ، مؤسّسة الرسالة . بيروت ١٩٩٨ م .

/ **اللامات** : أبو القاسم الزجاجي ، تحـ : د. مازن المبارك – ط٢ – دار صادر – بيروت١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

/ **اللباب في علل البناء والإعراب** : العكبري (أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبد الله ت ٦١٦ هـ) ، تح : غازي مختار طليمات ـ ط١ ـ دار الفكر ـ دمشق . ١٩٩٥ م .

/ **لسان العرب:** جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظورالأفريقي (ت ٧١١هـ) – تح: عامر أحمد حيدر – ط١ – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

/ **اللغة العربية معناها ومبناها:** د. تمام حسّان – ط٥ – عالم الكتب – القاهرة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

/ **اللُّمع في العربية:** ابن جني – تح: د. سميح أبو مُغلي – ط٣ – دار مجدلاوي للنشر – عمان ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

/ **المتَّبع في شرح اللمع :** أبو البقاء العكبري . تح . عبد الحميد الزوي . ط١ . جامعة قار يونس / بنغازي ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤ م .

/ **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :** ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٠هـ) – تقديم د. احمد الحوفي و د. بدوي طبانة – دار نهضة مصر للطباعة والنشر – القاهرة (د.ت) .

/ **مجمع الأمثال :** أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة بيروت لبنان .

/ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :** ابن جني ، تح: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود.عبد الفتاح شلبي ، مطابع التجارية ، القاهرة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م .

/ **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :** أبو محمد عبد الحق بن عطيّة الأندلسيّ (ت ٥٤١ هـ) . الطبعة الأولى . دار ابن حزم . بيروت ٢٠٠٢ م .

/ **المساعد على تسهيل الفوائد :** الإمام بهاء الدين بن عقيل ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد كامل بركات ، دار الفكر ، دمشق (١٤٠٠هـ–١٩٨٠م).

/ **المستدرك على الصحيحين:** للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا . بيروت . ١٤١١هـ .١٩٩٠م .

/ **المستقصى في الأمثال :** الزمخشري . حيدر آباد الدكن . ١٩٦٢م .

/ **مسند أبي يعلى** : لأبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تح: حسين سليم أسد، دمشق، ط١ ـ ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤ م.

/ **مسند الإمام احمد** : لأبي عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤٢هـ) ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر . مصر (د.ت) .

/ **معاني الحروف** : أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي – تحقيق وتقديم : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي – ط٣ – دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة – جدة١٤٠٤هـ /١٩٨٤ م .

/ **معاني القران** : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء (ت٢٠٧هـ) – تقديم وتعليق : إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .

/ **معاني القران وإعرابه** : أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ) – شرح وتحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي – ط١ – عالم الكتب – بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م .

/ **معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام**: د. محمد هادي الأميني – ط١ – (د. م) ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

/ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) ، تح : د. محمد محي الدين عبد الحميد ط٥ ، دار الشام للتراث ١٣٧٨هـ .

/ **مفتاح العلوم**: أبو يعقوب يوسف بن أبي محمد علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت ١٣٤٨هـ.

/ **المفردات في غريب القران** : لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) .

/ **المفصل في صنعة الإعراب** : الزمخشري (محمود بن عمر بن احمد ت ٥٣٨هـ) ـ تح : بدر الدين النعساني ـ دار الجيل بيروت ـ (د ـ ت).

/ **المقتصد في شرح الإيضاح** : عبد القاهر الجرجاني ، تحـ : د . كاظم بحر المرجان ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ م .

/ **المقتضب** : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) ، تح: محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م .

/ **المقرب في النحو** : أبو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور الحضرمي الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) تحـ : د. احمد عبد الستار الجواري و د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني – بغداد (د.ت) .

/ **من أسرار اللغة** : د . إبراهيم أنيس ، ط ٥ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٥م .

/ **منازل الحروف** : الرماني (أبو الحسن علي بن عيسى بن علي ت ٣٨٤ هـ) تحقيق ، إبراهيم السامرائي ، دار الفكر . عمان ، (د .ت) .

/ **من الأنماط التحويلية في النحو العربي** : د. محمد حماسة عبد اللطيف . مكتبة الخانجي . القاهرة . ط١ . ١٩٩٠م .

/ **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** : قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ) تح : عبد اللطيف الكوهكمري عنيت بطبعة مكتبة المرعشي ،١٤٠٦هـ

/ **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** : السيد حبيب الله بن السيد محمد الموسوي الخوئي (ت١٣٢٤هـ) تصحيح إبراهيم الميانجي ـ ط٤ ، منشورات المكتبة الإسلامية . طهران .

/ **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث** : د. علي زوين – ط١ – طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ١٩٨٦ م .

/ **مواهب الرحمن في تفسير القرآن**: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري (ت ١٤١٤هـ) . ط٣ . مطبعة الديواني . بغداد ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

/ **الميزان في تفسير القرآن**: السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠١ هـ) – ط٢ – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

/ **النجعة في شرح اللمعة** : محمد تقي التستري (ت١٤١٥ هـ) مؤسسة التاريخ العربي بيروت . ط١ . ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م .

/ **نحو القرآن** : د. احمد عبد الستار الجواري . مطبعة المجمع العلمي العراقي . بغداد ١٩٧٤م .

/ **النحو والدلالة** : مدخل لدراسة المعنى النحويّ الدلاليّ : د . محمّد حماسة عبد اللطيف . ط١ . (د . م) ١٩٨٣ م .

/ **نظرية المعنى في الدراسات النحوية:** د. كريم حسين ناصح الخالدي – ط١ . دار صفاء للنشر والتوزيع . عمان ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

/ **نهج البلاغة** : تح: صبحي الصالح ، ١٤٢٩هـ . مطبعة وفا . إيران . قم

/ **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع:** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تح: أحمد شمس الدين . ط١ . دار الكتب العلمية . بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

ثانياً : البحوث والرسائل الجامعية :

/ **أثر المعنى في الدراسات النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري** : د . كريم حسين ناصح الخالدي . أطروحة دكتوراه . جامعة بغداد . كلية الآداب . ١٩٩٠ م.

/ **البحث الدلالي في تفسير ابن عطية** : رسل عباس محمد ـ جامعة بابل ـ كلية التربية للبنات ١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م (رسالة ماجستير) .

/ **الجملة الفعلية ودلالتها في آيات الآخرة** : مجيد طارش . رسالة ماجستير ـ جامعة بغداد . كلية التربية للبنات . ١٩٩٧م .

/ **الدلالة عند ابن جني** : د . عبد الكريم مجاهد عبد الرحمن ـ مجلة الدارة السعودية . السنة التاسعة . العدد ١ . لسنة ١٩٨٣ م . (بحث مطبوع) .

/ **الدلالة في النحو العربي:** د. كريم حسين ناصح الخالدي/ مجلة كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد/ العدد الثامن/ ١٩٩٧م(بحث مطبوع) .

/ **عود الضمير في البحر المحيط** : لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) محمد خالد رحّال . كلية الآداب / جامعة بغداد . ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م (أطروحة دكتوراه) .

Abstract in English

Undoubtedly, the Nahj longer text high in rhetoric, and eloquence, a total chosen Sharif Razi (d. 406 AH) of speeches and messages and the rule of the faithful; therefore Me linguists since the appearance between burner, and explainer, and investigator, and Mustadrak, has reached us a range of Annotations approach, namely: Qubool Nahj of Bayhaqi (d. 556 e) and Platform ingenuity in explaining the Nahj to Ghotbeddin Rawandi (d. 573 AH), and gardens facts in explaining the Nahj to Ghotbeddin Alkidra (d. 610 AH), and explain the Nahj by Ibn Abi iron (d. 645 AH), and explain the approach Rhetoric Maytham Bahrani (d. 679 AH). The annotations modern manifold including: Platform dexterity Habibullah Khoei (d. 1324 AH), and explain the Nahj Mohammed Abdo, and explain the Nahj Mohammed Jawad Mughniyeh,

Since not received library Nahj died and an explanation of the lesson and analysis, has signed an optional on one of these annotations, which explain (joyous dyeing in explaining Nahj) to Muhammad Taqi Tustari, which is one of detailed explanations, and distinctive; because explanation only follow unit topics , as he followed commentator in his commentary approach independent differs from annotations other whole, as written on the basis of the unity of topics, Fjolh in sixty chapters, initiated in separate unification and the fifty-three titles, and stamped in separating different topics and a hundred title and four. Board documented approach me by edition Subhi Saleh accuracy in controlling the Metn and contain many illustrative indexes.

After a careful reading of (joyous dyeing) to determine the topics significance grammatical when Tustari have accumulated material grammatical semantic many, required research methodology to be this study in the introduction and pave three chapters, and a conclusion the main results, In Advance offered to the importance of the subject and why he has chosen, and the boot has made him In two

requirements: tackled in the first life Tustari name and lineage, scientific and upbringing, and his works, and his death, and in the other requirement: I studied his approach, and the motives of the author, and resources to explain, and means of documenting the significance in his commentary.

The first chapter: I have studied (significance syntactic in joyous dyeing) and was in four sections: the first titled (significant monument) and the slot as a voice of the impact on the diversity of meaning, and plurality of position to another, and the second: (denote Lift) and it popped denote names filed by diversity in the context of the approach, and the third: (kinetic significance progressions) and where she studied different approach in terms of novels multiplicity expressed between the monument and lift, And fourth: (indication shop Bedouin) and it showed significant expression of sentences, and the diversity of expression according to the difference in understanding the context.

The second chapter: it was entitled (significance synthetic in joyous dyeing) has encompassed six sections, the first: (denote definition and indefinite articles) as different meaning as defined word sometimes, and Tnkerha at other times., II: (indicative pronouns) and pronouns in English several meanings depending on the type yield, matching between conscience and back, and the third: (added significance) and fourth (sign of submission and delays) There is no doubt that the difference Rank does not fall haphazardly; but very Istdeiha meaningful context. And fifth: (denote deletion and male) and the demonstrated significant phenomenon to delete one of the pillars of installation mayor was or leftover, and VI: (indicative wholesale)) as touched Tustari it into four types: (nominal and actual, current, and objecting).

The third chapter: Fajssth entitled (denote letters meanings in joyous dyeing) has included three sections, dealing with at the beginning: (denote tools unilateral), which examined the meaning of (Ba, and Fa, lam, and Waw)

and II: (denote tools bilateral) and included (as , for, not, what, of, my appeal) and third: (denote triple over) and included (Annie, then, to, was, though, lattes, what, Lula, when) and closed altogether conclusion recorded the most important findings, The study support research sources and references.

The sources of research, they are many and varied, in the forefront of the annotations approach printed as books, and wrote the interpretation of the Koran on the different types, and language Almagamat, and modern books that meant him about the linguistic and grammatical significance of, and collections of poetry.

I could have been made of the effort in this research in which it was conceived right as much as I can, but I would argue that I did not spare no effort not Njazh best possible and God is the source of strength is the praise first and foremost.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Baghdad
college of Arts Arabic language

Grammatical significance in joyous dyeing in explaining the Nahj's eloquence(Muhammad Taqi Tustari T.1415 A.H)

Message presented by
Ali Hussein Farhan
To the Board of the Faculty of Arts / University of Baghdad
It is part of the requirements of a master's degree in philosophy of Arabic Language and Literature

Supervision
Dr: Mustafa Kazem Chgadl

1433 AH **2012AD**